

سَمَاءُ الْمَوْمِنِينَ

فِي الْمَوَاعِظِ وَالْحِكْمِ وَالْقِصَصِ

محمَّد ابجد سار

توزيع

دار النشر الإسلامية



حقوق الطبع محفوظة
الطبعة السادسة

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

قامت بطبعته وإخراجه دار البسائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ٥٩٥٥ - ١٤ ويُطلب منها

سَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

فِي الْمَوَاعِظِ وَالْحِكْمِ وَالْفَصَحِ

مَجْدُ الْبَحَارِ

توزيع

دار البشائر الإسلامية

تَقْرِيط

لشاعر طبيبة الأستاذ
ضياء الدين الصّابوني

للهِ دُرُكٌ يَا "مَجَّارٌ" مِنْ حِلْمٍ
يَهْوِي الْعَالِي وَالْأَيُّهُنِي بِهَا بَدَلًا
أَخَارَ مِ الْعِلْمِ الْفَقَاكَ لِلدَّيْلَةِ لَنَا
هَذَا مَجْهُورٌ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ
أَصْبَحْتَ حَقًّا لِقُلُوبِ الْهَدَى مَثَلًا
نَزَلْتَ فِي "طَيْبَةٍ" الزَّهْرَاءُ فِي رَحْدٍ
مَحَبَّةً لَا عَمَزِلًا وَحُبًّا مِنْ مَنَازِلَ
فَقَدْ لَمِنَ رَأْسٌ فِي الْعَلِيَاءِ وَمَنْزِلَةٌ
هَذَا الْكُنَافَةُ "سَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ" هَدَى
لِلْمُتَّقِينَ، وَنَبْرًا لِمَنْ هَمَلَا
فِي شَرْحِ الصِّدْرِ مِنْ أَعْبَارِ الرَّائِعَةِ
وَيُشَاجُّ الْقَلْبَ بِمَا هَزَهُ وَخَلَا
وَهَبْتَ رُوحَكَ لِلْإِسْلَامِ تَرْفَعُهُ
فَمَا وَنَيْتَ، وَمَا فِي نَصْرِهِ بِخَلَا
إِنِّي لَأَسْأَلُكُمْ مِنْ حَقِّهَا لَهْفَتِي
وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِجَزَائِكُمْ، وَقَدْ فَعَلَا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على نعمائه ، والصلاة والسلام على خير أنبيائه .
وبعد :

لقد طلب مني بعض الأحاب ، أن أقوم بنشر هذا الكتاب
وأقدمه للشيوخ والشباب ، وكل من يحمل مشعل الإيمان ،
وفكرة الإسلام ، فهو صريح أن يكون أنيساً في الوحدة ، وسميراً
عند الوحشة ، فقد جمع - والحمد لله - من القصص الطريفة ،
والحكايات الظرفية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، مع حكم
عليه ، وأشعار أدبية ، تجلو عن القلب الصدى ، وتزيل
عنه الردى . - فالله - تعالى أسأل أن يعمم به النفع ، ويفتح
به السمع ، ويلطف به الطبع ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

محمد البحار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

PHONE: 22948
29174

TELE: NADWA

Abul Hasan Ali Nadwi

DARULULOOM NADWATULULAMA
LUCKNOW - 226007 (INDIA)

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

مندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

الحمد لله والصلوة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد ، فقد اطلعت على كتاب "سيرة المؤمنين" لفضيلة الشيخ
محمد الهادي بن علي بن علي ، وأنا في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأجلت
ال نظر في محتوياته ، فوجدت أن الرسم قد طبق المسمى ، والكتاب كهيئة
زاهية واسعة متنوعة الزهار والرياحين ، يفتقل الإنسان فيطأ من جميل
إلى جميل ومن مفيد ممتع إلى مفيد ممتع ، فالرسم لا يمل ، وهذا شأن السمر
النافع الممازق ، ففيه الخطب والوصايا والشعر الأدي وقطوف من السيرة النبوية
وحكايات أبطال المسلمين والأئمة والمرشدين وفصائل السور ولطائف من
التفسير ومنازع من الوعظ والنصائح وأمثلة من الأسلوب الحكيم ومجموعة من
مجموع الدعاء .

نسأل الله أن ينفع به ويتخذه من يريده خيراً سعيماً ، وأن ينفع به
في دينه ودنياه ، وجزى الله جامعاً ومؤلفه والذي عني بنشره وطبعه و
إيصاله إلى راعيه ومقديه .

كتبه
أبو الحسن علي الحسيني الندوي
على عجل وزاحم أقال
٥٠ من ربيع الآخر
سنة ١٤٠٥ هـ

الخطب والوصايا

الحمد لله الذي أنزل على قلب نبيه القرآن، وعلمه البيان، ومنحه فصاحة اللسان، حتى ساد مَنْ قَبْلَهُ وَمَنْ بعده من فرسان البلاغة والخطابة والبيان، فكان نطقه - والحمد لله - مصوناً عن الخطأ والزلل والنسيان.

وبعد؛ فإن الخطب والوصايا أسلوب من أساليب الوعظ والإرشاد، وضرب من ضروب التذكير المحمود والنصح المحبوب، فإن من البيان ما يسحر القلوب، ويذل النفوس، ويخضع العقول.

فالوصايا والخطب: يهذبان الطبع، ويذهبان بالإنسان من اتجاه إلى اتجاه، ومن منهج إلى منهج، ومن سبيل إلى سبيل.

ولقد كانت الخطابة عند العرب: تنطلق عن سليقة من نفوسهم عفواً بلا عناء، تقع في الأذان، وتؤثر في الجنان. وتسحر الأذهان!

والوصايا ضرب من ضروب التذكير، ونوع من أنواع النصح والتبشير، فقد التزمها الكثير من السلف، وأوصى بها الجُم الغفير من الخلف، ولهذا قد وشَّحنا هذه العُجالة بكلا النوعين، لتكون للقارئ قرّة عين. واللّه تعالى أسأل، أن ينفع بها القريب، ويقرب البعيد.

الخطبة الأولى التي خطبها النبي
عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة:
بعد أن حمّد الله تعالى وأثنى عليه قال:

«إِنَّ الرَّائِدَ^(١) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَتْ النَّاسَ جَمِيعاً مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ جَمِيعاً مَا غَرَرْتُكُمْ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَاللَّهُ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتَحَاسِبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً، وَبِالسُّوءِ سُوءاً، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا، أَوْ لِنَارٍ أَبَدًا»^(٢).

خطبة الوداع للنبي ﷺ:

بعد أن حمّد الله تعالى وأثنى عليه قال:
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا.

أيها الناس! إن دماءكم، وأموالكم عليكم حرامٌ إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم، فيسألکم عن أعمالکم، فمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أُتِّمِنَ عَلَيْهَا؛ وَإِنْ كَلَّ رِبَاً مَوْضُوعٌ وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ»^(٣)

خطبة النبي عليه الصلاة والسلام في النساء:

روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال:
«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ الْاسْتِغْفَارَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ!»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزَلَةٌ^(٤): وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟!.

(١) الرائد: الدليل الذي يتقدم القوم.

(٢) «السيرة الحلبية» (١/٢٧٢)، «والكامل» لابن الأثير: (٢/٢٧).

(٣) راجع: «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» ﷺ.

(٤) الجزلة: تامة الخلق. ويجوز أن تكون ذات كلام جزل أو قوي شديد. اهـ. النهاية.

قال: «تُكْثِرُنَّ اللَّعْنَةَ، وَتَكْفُرُنَّ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَغْلَبَ لَدِي لِبِ مَنْكُن!».

قالت: يا رسول الله! وما نقصانُ العقلِ والدينِ؟.

قال عليه الصلاة والسلام: «أما نقصانُ العقلِ، فشهادةُ امرأتينِ تعدُّ شهادةَ رجلٍ، فهذا نقصانُ العقلِ، وتمكُّثُ اللياليِ بما تُصلي، وتُفطر في رمضانَ، فهذا نقصانُ الدينِ»^(١).

خطبة الصديق رضي الله عنه:

بعد أن حمّد الله وأثنى عليه قال:

«أيها الناس! نحنُ المهاجرونَ أُولُ الناسِ إسلاماً، وأكرمُهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنُهم وجوهاً، وأكثرُ الناسِ ولادةً في العربِ، وأمسُّهم رَجْماً برسولِ الله ﷺ أسَلَمْنَا قَبْلَكُمْ، وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٢).

فنحنُ المهاجرونَ، وأنتم الأنصارُ إخواننا في الدينِ، وشركاؤنا في الفِئِءِ^(٣)، وأنصارنا على العدوِّ، آويتم وواسيتم^(٤)، فجزاكم الله خيراً، فنحنُ

(١) رواه مسلم.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) الفِئِء: الخراج والغنيمة. يقال: أفاء الله علينا مالَ الكفار بالمدِّ يَفِيء إفَاءة. ومنه قوله

تعالى في سورة الحشر، آية: ٧: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾.

(٤) آسأه بـماله مؤاساة: أي جعله أسوته فيه؛ وواسأه لغة ضعيفة فيه.

الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين^(١) العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله!».

رثاء السيدة عائشة رضي الله عنها:

وقفت رضي الله عنها، على قبر أبيها فقالت: «نضر الله وجهك، وشكر لك صالح سعيك، فلقد كنتَ للدنيا مُذلاً بإعراضك عنها، وللآخرة مُعزاً بإقبالك عليها. وإن أجل الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤك^(٢)، وأعظم المصائب بعده فقؤك».

خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه عليه الصلاة والسلام، فهدانا به من الضلالة، وجمعنا به من الشتات، وألف بين قلوبنا، ونصرنا على عدونا، ومكن لنا في البلاد، وجعلنا به إخواناً متحابين، فاحمدوا الله على هذه النعمة، واسألوه المزيد فيها، والشكر عليها، فإن الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم؛ وإياكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة! فقلما كفر قوم بنعمة، ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم، وسلط عليهم عدوهم!».

خطبة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

«أيها الناس! إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم من الجنة التي غرضها السموات والأرض! واعلموا أن الأمان

(١) تخضع وتذل وتنقاد: بمعنى.

(٢) الرزء: المصيبة.

غداً لمن خاف الله اليوم، وباع قليلاً بكثير، وفائتاً بياق! ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيُخلفها من بعدكم الباقون، كذلك تردون على خير الوارثين.

خطبة طارق بن زياد:

بعد أن عبر طارق وجنوده البحر، نزلوا في شواطئ الأندلس بعد خروجهم منه، فأخذ يفكر طارق إلى خطة رهيبة، ليضع جنوده أمام الأمر الواقع! فقام بإحراق الناقلات من السفن التي عبر بها البحر، حتى لا يفكر أحد في الرجوع إلى بلاده؛ بل يُقاتل العدو بكل بسالة دون أن يحسب أي حساب للعودة قبل النصر.

فوقف في الجنود خطيباً فقال: «أيها الناس! أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم - والله - إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام على مأذبة اللثام!

وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته وأقواته موفرة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، واعلموا أنني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه».

خطبة أبي طالب:

بمناسبة عقد النبي ﷺ على خديجة رضي الله عنها:

«الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكام على الناس..

ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي، من لا يؤزن به فتى من قريش إلا رجح عليه: براً، وفضلاً، وكرماً، وعقلاً، ومجداً، ونُبلاً؛ وإن كان في المال قل؛ فإن المال ظل زائل، وعارية مُسترجعة!.

وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أُحِبُّتُمْ من الصِّدَاقِ فعَلِيٌّ، وهو - والله - بعدَ هذا له نبأ عظيم، وخطرٌ جليلٌ جسيم^(١).

نموذج من مدح أبي طالب للنبي ﷺ:

والله لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ
فاصدع بأمرِكَ ما عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ^(٢)
ودَعَوْتُنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ صَادِقِي
ولَقَدْ عَلِمْتُ بَأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
وَأَبْشُرُ بِذَاكَ وَقَرٌّ مِنْكَ عُيُونَا
ولَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

وله أيضاً:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
يُثَمَالُ^(٣) الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

خطبة قس بن ساعدة الإيادي^(٤):

«أيها الناس! اِسْمَعُوا وَعُودُوا^(٥)، مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا

(١) موقف أبي طالب مع النبي ﷺ وذبحه عنه الأعداء، وخطبته هذه وشعره!

فهذه المشاهد تعرب عما يكنه في نفسه، من إجلال وإعظام، وحب واعتقاد بالنبي ﷺ بأنه أفضل الأولين والآخرين. راجع: «التاج» (١٣٧/٤) تجد بعض رأي الأئمة الأعلام حول عم النبي عليه الصلاة والسلام.

(٢) الغضاضة: الذلة والمنقصة. اهـ. مختار.

(٣) ثمال: ملجأ اليتامى وغيائهم. راجع «النهاية» (١٣٤/١)؛ مادة «ثمل».

(٤) خطب قس بن ساعدة الأيادي هذه الخطبة بسوق عكاظ، وهو يعني النصيح والإرشاد. وروى أن الرسول ﷺ قد سمعه يُلقى هذه الخطبة، على جمل أورق - لونه أسود في غبرة، أو لونه لون الرماد - وهو من مشاهير خطباء العرب وحكمائهم.

وقد نسبوا له أوليات الخطابة؛ كما نسبوا أوليات الشعر لامرئ القيس؛ زعموا أنه أول من علا على شرف، وأول من قال في كلامه: «أما بعد» وأول من اتكأ في خطبة على سيف أو عصا، وعاش ولم يدرك البعثة.

(٥) وعى القول يعني إذا أحسن فهمه.

هو آتٍ آتٍ، لَيْلٌ دَاجٍ^(١)، وَنَهَارٌ سَاجٍ^(٢)، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ،
وَنَجُومٌ تَزْهَرُ^(٣)، وَبِحَارٌ تَزْخَرُ^(٤)، وَجِبَالٌ مَرْسَاةٌ، وَأَرْضٌ مَذْحَاةٌ^(٥)، وَأَنْهَارٌ
مَجْرَاةٌ، إِنْ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرٌ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرٌ! مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ
وَلَا يَرْجِعُونَ؟! أَرْضُوا فَأَقَامُوا أَمْ تَرْكُوا فَنَامُوا؟!.

يُقَسِّمُ قِسٌّ بِاللَّهِ قَسَمًا لَا إِثْمَ فِيهِ: إِنْ لِلَّهِ دِينًا هُوَ أَرْضِي لَكُمْ، وَأَفْضَلُ مِنْ
دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْكَرًا. ثُمَّ أَنْشَدَ فَقَالَ:
فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِّلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمْضِي الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيَّ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ^(٦)
أَيَقْنَتُ أَنِّي لَا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ^(٧)

وصية سيدنا نوح عليه السلام لابنه:

رُويَ أَنَّ سَيِّدَنَا نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ،
وَقَاصِرُهَا كَيْ لَا تَنْسَاهَا؛ أُوصِيكَ بِاثْنَتَيْنِ؛ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ:

-
- (١) مِنَ الدَّجَى، وَالدَّجِيَّةُ: الظَّلَامُ.
 - (٢) اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ سَجَا يَسْجُو إِذَا هَدَأَ وَسَكَنَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾.
 - (٣) تَضِيءُ وَتَتَلَأَلَأَ.
 - (٤) تَمْتَلِيءُ وَيَرْتَفِعُ مَدَهَا.
 - (٥) مِنْ دَحَا يَدْحُو، فَهِيَ مَذْحُوةٌ. يُقَالُ: دَحَا الرِّقَاقَةَ، إِذَا مَدَهَا وَبَسَطَهَا.
 - (٦) الْبَاقِي: الْمَقِيمُ.
 - (٧) مِنْ فَعَلَ صَارَ، وَصَارَ هُنَا تَامَةً، بِمَعْنَى آلٍ وَانْتَهَى الْأَمْرُ. رَاجِعُ: «مَخْتَارُ الصَّحَاحِ» فِي حُلِّ هَذِهِ الْأَلْفَافِ.

أما اللتان أوصيك بهما، فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يُكثران
الولوج على الله تعالى:

١ - أوصيك بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرض لو كانتا حلقَةً قَصَمَتْها،
ولو كانتا في كفة وزنتها.

٢ - وأوصيك بسبحان الله وبحمده، فإنهما صلاةُ الخلق؛ وبهما يُرزق
الخلق. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا
غَفُورًا﴾^(١).

وأما اللتان أنهاك عنهما؛ فيُحجب الله منهما، وصالح خلقه، أنهاك
عن الشرك، والكبر.

وصية سيدنا يحيى عليه السلام:

رَوَى عن الحارث الأشعري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه
قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَ،
وَيَأْمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ».

فقال له عيسى عليه السلام: إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ تَعْمَلَ
بِهِنَّ، وَتَأْمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَ؛ فَإِنَّمَا أَنْ تُبْلِغَهُنَّ، وَإِنَّمَا أَنْ أُبْلِغَهُنَّ.
فقال يحيى عليه السلام: يَا أَخِي! إِنِّي أَخْشَى أَنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذِّبَ،
أَوْ يُخَسِّفَ بِي.

قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ
المسجد، ففَعَدُوا عَلَى الشُّرْفِ، فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

(١) الإسراء: ٤٤.

إن الله عز وجل أمر بخمس كلمات أن تعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن:

١ - أولاهن: أن تعبدوا الله تعالى: لا تُشركوا به شيئاً؛ فإنَّ مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بَورق^(١) أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده! فأياكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله تعالى خلقكم ورزقكم، فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً!

٢ - ثانيهن: وأمركم بالصلاة، فإن الله تعالى ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا!

٣ - ثالثهن: وأمركم بالصيام، فإنَّ مثل ذلك كمثل رجلٍ معه صرةٌ من مسكٍ في عصابة، كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك!

٤ - رابعهن: وأمركم بالصدقة، فإنَّ مثل ذلك كمثل رجلٍ أسرَّ العدو، فشدوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير، حتى فكَّ نفسه!

٥ - خامسهن: وأمركم بذكر الله تعالى كثيراً، فإنَّ مثل ذلك كمثل رجلٍ طلبه العدو سراعاً في أثره، فأتى حصناً فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى^(٢).

وصية عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما:

كتب عمر بن الخطاب إلى عاملة أبي موسى رضي الله عنهما فقال:

«أما بعد؛ فإنَّ للناس نفرةً من سلطانهم، فأعوذ بالله أن تُدركني

وإياك!

(١) الورق بكسر الراء: الفضة.

(٢) «البداية والنهاية» (٢/٥٢).

فَأَقِمِ الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ، وَإِذَا حَضَرَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا لِلَّهِ، وَالْآخَرُ لِلدُّنْيَا، فَاتَّبِعْ نَصِيحَتَكَ مِنَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا تَفْقَدُ، وَالْآخِرَةُ تَبْقَى؛ عُدْ مَرِيضَ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْضِرْ جَنَائِزَهُمْ، وَافْتَحْ بَابَكَ، وَبَاشِرْ أُمُورَهُمْ بِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ جَمَلًا؛ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ نَشَأَ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ هَيْئَةٌ فِي لِبَاسِكَ، وَمَطْعَمُكَ، وَمَرْكَبُكَ، لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلُهَا!.

فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ بِمَنْزِلَةِ الْبَهِيمَةِ، مَرَّتْ بِوَادٍ خَضِبٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا هَمٌّ إِلَّا السِّمَنُ، وَإِنَّمَا حَتَفَهَا فِي السِّمَنِ!.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَامِلَ إِذَا زَاغَ زَاغَتْ رَعِيَّتُهُ، وَأَشَقَى النَّاسِ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ!.

وصية عثمان ذي النورين رضي الله عنه:

حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَتَشُّوا خَزَائِنَهُ، فَوَجَدُوا فِيهَا صَنْدُوقًا مُقْفَلًا فَفَتَحُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ وَرَقَةً مَكْتُوبَةً فِيهَا:

هَذِهِ وَصِيَّةُ عُمَانَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، عُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ لِيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ، إِنْ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، عَلَيْهَا يَحْيَا، وَعَلَيْهَا يَمُوتُ، وَعَلَيْهَا يُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

وصية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: لَمَّا طُعِنَ أَبُو عَبِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْأَرْدُنِّ، دَعَا مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ:

«إِنِّي مُوصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ، إِنْ قَبِلْتُمُوهَا لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ: أَقِمُوا الصَّلَاةَ

وصوموا شهرَ رمضانَ، وتَصَدَّقُوا، وحُجُّوا، واعتَمروا، وتواصَّوا، ولا تُلهِكُمْ الدنيا، فإنَّ امرأً لو عُمِّرَ أَلْفَ حَوْلٍ، ما كان له بُدٌّ من أن يصيرَ إلى مَضَرَعِي هذا الذي ترون!.

إنَّ اللهَ كَتَبَ الموتَ على بني آدمَ فهم ميتونَ، فأَكْبِسُهُم أطوعُهُم لربه، وأَعْمَلُهُم ليومَ مَعَادِهِ، والسلامُ عليكم ورحمةُ الله!.

وصية لقمان لابنه:

«يا بُنَيَّ إن كُنْتَ تَشْكُ في الموتِ فلا تَنَم! فكمَا أنكَ تنام كذلك تموتُ.

وإن كُنْتَ تَشْكُ في البعثِ فلا تَتَّبِعْ بعدَ نومِكَ! فكذلك تُبعثُ بعد موتك».

وصية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

قال: «صاحبُ المعروفِ لا يَقَعُ، وإن وَقَعَ وَجَدَ متكأً».

وقال: «لَمَّا ضُرِبَ الدرهمُ والدِّينارُ، أَخَذَهُ إبليسُ فَوَضَعَهُ على عَيْنِيهِ، وقال: أَنْتَ ثَمَرَةُ قَلْبِي، وَقُرَّةُ عَيْنِي، بَكَ أَطْغِي، وبَكَ أَكْفُرُ، وبَكَ أُدْخِلُ النَّارَ!».

معاوية يستوصي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

رَوَى عن معاويةَ رضي الله عنه، أَنه كَتَبَ إلى عائشةَ رضي الله تعالى عنها: أَنْ اكِتَبِي إِلَيَّ كِتَاباً، تُوصِينِي فِيهِ ولا تُكْثِرِي!.

فكَتَبَتْ: «سَلامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«من التَّمَسَ رضا الله بسخط الناس، كفاه الله مؤنة الناس، ومن التَّمَسَ رضا الناس بسخط الله، وكله الله تعالى إلى الناس والسلام»^(١).

وصية الحسن البصري لبعض طلابه :

قال : «يا بُني ! خذ هذه البطاقة، فهي خيرٌ لك من ألف كتاب :

١ - لا تغتر بمكانٍ صالحٍ ، فلا مكانَ أفضلُ من الجنة ، فقد لقيَ فيها أبونا آدمُ ما لقي ! .

٢ - ولا تغتر بكثرة العبادة ؛ فإن إبليس بعدَ مُكثه في العبادة فانظرَ ماذا لقي ! .

٣ - ولا تغتر بروية الصالحين ، فلا شخصَ أعظمُ من المصطفى ﷺ ، فلم يتفُغ به الكفار والمنافقون ! .

٤ - ولا تغتر بكثرة العلم ، فإن بلعامَ بنَ باعوراء بعدَ نظره في اللوح المحفوظِ فانظرَ ماذا لقي ؟^(٢) .

(١) رواه الترمذي .

(٢) في تفسير القرطبي : كان بلعم من بني إسرائيل في زمن سيدنا موسى عليه السلام ، وكان بحيث إذا نظر رأى العرش ، وكان في مجلسه - إذا حدث الناس - اثنا عشر ألفَ محبرةٍ للمتعلمين الذين يكتبون عنه ؛ وهو المعنى بقوله تعالى :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ .

قصته مبسطة في كتب التفسير عند شرح هذه الآية ، في سورة الأعراف :

وصية الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى:

حُكِيَ أَنَّ الْفَضِيلَ بْنَ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَعَظَ أَصْحَابَهُ وَأَوْصَاهُمْ، وَفِيهِمُ الشَّابُّ وَالشَّيْخُ فَقَالَ:

«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! كَمْ مِنْ زَرْعٍ أَدْرَكَتْهُ الْآفَةُ قَبْلَ بُلُوغِهِ وَتَمَامِهِ!.

وَيَا مَعْشَرَ الشُّيُوخِ! هَلْ يُخَصَّدُ الزَّرْعُ إِلَّا بَعْدَ نُضْجِهِ وَتَمَامِهِ؟ وَمَا الَّذِي تَنْتَظِرُونَ؟ وَبِأَيِّ عُذْرٍ تَعْتَذِرُونَ؟ وَمَا الَّذِي يَقُولُ مِنْكُمْ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ؟ إِذَا قَالَ لَكُمْ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ:

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾^(١).

وصية مالك بن دينار لبعض طلابه:

«إِذَا رَأَيْتَ قَسَاوَةً فِي قَلْبِكَ؛ وَوَهْنًا فِي بَدَنِكَ؛ وَحِرْمَانًا فِي رِزْقِكَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ!».

(١) فاطر: ٣٧. وهو متناول لكل عُمْرٍ تمكن منه المكلف من إصلاح نفسه وإن قَصُرَ، إلا أن التوبيخ في المتطاوُل أعظم!.

ثم قيل: هو ثمان عشرة سنة، وقيل: أربعون، وقيل: ستون سنة. ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ الرسول عليه الصلاة والسلام، الذي أرسله الله تعالى بشيراً ونذيراً. وقيل: النذير هو المشيب.

وروى البخاري: «من عَمَّرَهُ اللَّهُ سِتِينَ سَنَةً، فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ» أي: أسقط عذره حيث أمهله الله طولَ هذه المدة ولم يعتذرا.

وفي تفسير القرطبي: «والمعنى أن من عَمَّرَهُ اللَّهُ سِتِينَ، لَمْ يَبْقَ لَهُ عَذْرٌ؛ لِأَنَّ السِتِينَ قَرِيبٌ مَعْتَرِكُ الْمَنَایَا. وَهُوَ سَنُ الْإِنَابَةِ وَالْخُشُوعِ، وَتَرْقُبِ الْمَنِيَةِ، وَلِقَاءِ اللَّهِ؛ فَفِيهِ إِعْذَارٌ بَعْدَ إِنْذَارٍ».

وصية السلطان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه :

قيل لسلطان الزاهدين إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه : أوصنا بما

ينفعنا! فقال رضي الله تعالى عنه :

- ١ - «إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا؛ فاشتغلوا أنتم بأمر الآخرة.
- ٢ - وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم؛ فاشتغلوا بتزيين بواطنكم.
- ٣ - وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور؛ فاشتغلوا بعمارة القبور.
- ٤ - وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين؛ فاشتغلوا بخدمة رب العالمين.
- ٥ - وإذا اشتغلوا بغيوب الناس؛ فاشتغلوا بغيوب أنفسكم.
- ٦ - واتخذوا من هذه الدنيا زاداً يوصلكم إلى الآخرة؛ فإنما الدنيا مزرعة الآخرة».

ولله در القائل :

إن لله عباداً فطناً	طلّقوا الدنيا وخافوا الفتن
نظروا فيها فلمّا علّموا	أنها ليست لحيّ وطن
جعلوها لجةً واتخذوا	صالح الأعمال فيها سفناً

وقال بعضهم :

تَزوّد للذي لا بُدّ منه	فإن الموت ميقات العباد
وتُبّ ممّا جُنيت وأنت حيّ	وكن متنبهاً قبل الرقاد
ستندم إن رحلت بغير زادٍ	وتشقى إذ يُناديك المنادي
أترضى أن تكون رفيق قومٍ	لهم زاد وأنت بغير زادٍ!

وصية السلطان محمد الفاتح لابنه :

«ها أنذا أموت، ولكنني غير آسف؛ لأنني تارك خلفاً مثلك».

كُن: عادلاً، صالحاً، رَحيماً، وأبسط على الرعية حِمَايتَكَ بدون

تمييز.

واعمل على نشر الدين الإسلامي، فإن هذا هو واجبُ الملوك على الأرض.

قَدِّم الاهتمامَ بأمر الدين على كل شيء، ولا تفتُر في الفواظبة عليه، ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين، ولا يجتنبون الكبائر، وينغمسون في الفحش! وجانبِ البدع المفسدة، وباعد الذين يُحرَضونك عليها.

وسَّع رُقعة البلاد بالجهاد، واحرس أموال بيت المال من أن تتبدد. إياك أن تمدَّ يدك إلى مال أحدٍ من رَعيتِكَ إلا بحق الإسلام، واضمّن للمعوزين قوتهم، وابذل إكرامك للمستحقين.

وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبوثة في جسم الدولة، فعظّم جانبهم وشجّعهم، وإذا سمِعتَ بأحدٍ منهم في بلدٍ آخر، فاستقدّمه إليك، وأكرمه بالمال!

حذار، حذار! لا يغرّنك المال ولا الجُند! وإياك أن تُبعدَ أهلَ الشريعة عن بابك، وإياك أن تُميلَ إلى أيِّ عمل يُخالف أحكام الشريعة؛ فإن الدين غايتنا، والهداية منهجنا، وبذلك انتصرنا!

خُذ مِنِّي هذه العبرة! حضرتُ هذه البلادَ كنملةً صغيرة، فأعطاني الله تعالى هذه النعمَ الجليلة!

فالزِم مَسَلَكِي، واحذُ حَذَوِي، واعمل على تعزيز هذا الدين وتوفير أهله، ولا تصرف أموال الدولة في ترفٍ أو لهوٍ، أو أكثر من قَدْر اللزوم، فإن ذلك من أعظم أسباب الهلاك.

وصية أسماء بنت خارجة :

حُكِيَ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ خَارِجَةَ قَالَتْ لَابْتِهَا لَيْلَةَ زِفَافِهَا :

« يَا بُنَيَّةُ ! إِنَّكَ خَرَجْتِ مِنَ الْعَشْرِ الَّذِي فِيهِ دَرَجَتِي، فَصُرْتِ إِلَى فِرَاشٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ، وَقَرِينٍ لَمْ تَأَلَفِيهِ ! فَكُونِي لَهُ أَرْضَاءً، يَكُنْ لَكَ سَمَاءٌ، وَكُونِي لَهُ مِهَاداً يَكُنْ لَكَ عِمَاداً، وَكُونِي لَهُ أُمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا، وَاحْفَظِي أَنْفَهُ، وَسَمْعَهُ، وَعَيْنَهُ : فَلَا يَشَمَّ مِنْكَ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا حَسَنًا، وَلَا يَنْظُرُ إِلَّا جَمِيلًا »^(١).

وصية علي الخواص رحمه الله تعالى :

« يَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ، إِذَا حَضَرَهُ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، أَنْ لَا يَأْكُلَ مِنْهُ حَتَّى يَقُولَ بِتَوَجُّهِ تَامٍ هَذَا الدُّعَاءَ :

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي هَذَا الطَّعَامِ شُبْهَةٌ حَرَامٍ فَاحْمِنِي مِنْهُ ! وَإِنْ لَمْ تَحْمِنِي مِنْهُ، فَلَا تَجْعَلْهُ يُقِيمُ فِي بَطْنِي ! وَإِنْ جَعَلْتَهُ يَقِيمُ فِي بَطْنِي فَاحْفَظْنِي مِنَ الْمَعَاصِي النَّاشِئَةِ مِنْ أَكْلِهِ، فَإِنْ لَمْ تَحْفَظْنِي مِنْهَا فَمَنْ عَلَيَّ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ ! فَإِنْ لَمْ تَمَنْ عَلَيَّ بِالتَّوْبَةِ فَالْطُّفْ بِي وَلَا تَوَاخِذْنِي يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ ! وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ! »^(٢).

(١) النور يتجلى من خلال هذه الحروف، التي صدرت عن قلب مليء بالإيمان، ونفس فائضة بالإخلاص، كيف لا ! وقد غرست «أسماء» المرأة الصالحة، في نفس ابنتها حقوقاً وآداباً، لو عملت بها الفتاة في بيت زوجها، وتَحَلَّتْ بِهَا الْمَرْأَةُ لَسَعِدَتْ الْبُيُوتُ، وَتَمَّ الْوِفَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَنَشَأَ الْأَوْلَادُ عَلَى الْفَضِيلَةِ، حِينَئِذٍ يَرُونَ تَبَادُلَ الْحُبِّ وَالتَّقْدِيرِ بَتَرَاوُحٍ بَيْنَ الْأَبْوَيْنِ، كُلُّ يَسْعَى لِمَصْلَحَةِ الْآخَرِ، وَيُقَدِّمُ رَاحَتَهُ عَلَى رَاحَةِ نَفْسِهِ، فَهَنَّاكَ تَتَجَلَّى السَّعَادَةُ الْمَغْبُوطَةُ بِأَبْهَى حُلَلِهَا، وَهَنَّاكَ تَسْعَدُ الْأَسْرُ بِسَعَادَةِ الزَّوْجَيْنِ.

(٢) «المنن والعهود».

الشعر الأدبي

روائع شعرية

حمداً لله تعالى، وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمد رسول الله .
وبعد؛ لقد أحببنا أن نقدم في كتابنا هذا نموذجاً من الشعر الأدبي البعيد
عن التعقيد اللفظي، أو الغموض المعنوي .

فهذا النوع مما يُرَقِّق القلب، ويَهْدُب النفس، ويلطِّف الطبع ! .
والشعرُ منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم؛ وما ورد في ذم الشعر
والشعراء كقوله عليه الصلاة والسلام:

«لأنَّ يَمْتَلَىءَ جوفُ رجلٍ قبحاً حتى يَرِيَهُ، خيرٌ له من أن يَمْتَلَىءَ
شعراً»^(١).

فالمراد به: الغزل المُرِّي، مِنْ ذِكْرِ ما لا يُستحسنُ: من أوصاف الخدود
والقدود، ووصف الخمرة مما يُستقبح ويُستهجن؛ لأنه يحرك النفوس المريضة
إلى ما لا يحل ! .

والمحمودُ منه ما اخترناه لك في هذا المختصر، وعليه يحمل قوله عليه
الصلاة والسلام:

(١) متفق عليه .

«إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ، وَإِنْ مِنْ الْبَيَانِ لِسِحْرَاءُ»^(١).

وقوله لحسان:

«أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيْدِهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ»^(٢).

وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام سَمِعَ الشَّعْرَ، وارتاح لسماعه.

وقال للنايخة الجعدي عندما سمعه يقول قصيدة طويلة، فلما وصل إلى

قوله:

فلا خير في حلمٍ إذا لم يكن له بواذرٌ تحمي صفوه أن يُكذرا
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له عليه الصلاة والسلام: «لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ».

فلم ينكسر له سنٌّ مع طول عمره! قيل: عاش مائتين وأربعين سنة.

ويحمل على القسم الأول قوله سبحانه: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ

الْغَاوُونَ﴾^(٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا

يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢٧﴾.

وقد جاء أن حسان بن ثابت رضي الله عنه، اعتذر عما نسب إليه في شأن

عائشة رضي الله عنها؛ لأنه تأثر من حديث الأفاكين؛ وعلى رأسهم رأسُ

المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول. فقال من قصيدة طويلة مادحاً عائشة أم

المؤمنين بقوله:

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزَنُّ بَرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ

(١) الشطر الأول رواه البخاري، والثاني أبو داود.

(٢) قال ابن حجر في «الإصابة»: رُوِيَ فِي الصَّحِيحِينَ.

(٣) الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧.

حَلِيلَةُ خَيْرِ النَّاسِ دِينًا وَمَنْصِبًا نَبِيُّ الْهُدَى ذِي الْمَكْرَمَاتِ الْفَوَاضِلِ
مَهْدَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خَيْمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا سَمِعْتُ بِشَيْءٍ مِنَ الشُّعْرِ
أَحْسَنَ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ، وَمَا تَمَثَّلْتُ بِهِ إِلَّا رَجَوْتُ لَهُ الْجَنَّةَ».

وَمِنْ شَعْرِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِأَبِي سَفِيَّانَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْإِسْلَامَ:
هَجَوْتُ^(١) مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا^(٢) رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَتِي وَعِزِّي لَعَرَضَ مُحَمَّدٌ مِنْكُمْ وَقَاءُ
فَإِنْ أَغْرَضْتُمَا عَنَّا اغْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَالْأَفْصِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَرْتُ جُنْدًا هُمْ الْأَنْصَارُ غُرَضَتْهَا الْإِقَاءُ
يُلَاقِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ^(٤) سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدُحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
وَجَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ لَفَاءُ^(٥)

لِلْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدَنِّسَهُ وَثَوْبُكَ الدَّهْرَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

(١) الهجاء: ضد المدح، وبابه عدا.

(٢) برُّ وبار. وجمعه: أبرار. ضد العقوق.

(٣) الحنيف: المسلم.

(٤) معد: أبو العرب، وهو معد بن عدنان.

(٥) اللفاء: بالفتح، الخسيس من الشيء، وكل شيء يسير حقير فهو لفاء.

عتاب أدبي:

عَتَبْتُ عَلَى الدُّنْيَا لِرَفْعَةِ جَاهِلٍ
بُنُو الْجَهْلِ أَبْنَائِي لِهَذَا رَفَعْتُهُمْ
وَأَرْضَعُ أَوْلَادًا لَضُرَّتِي الْآخَرَى
وَأَهْلُ التَّقَى أَبْنَاءُ ضُرَّتِي الْآخَرَى

احذر البغي:

قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْبَغْيَ يَضْرَعُ أَهْلَهُ
وَمَنْ يَحْتَفِرُ بئْرًا لِيُوقِعَ غَيْرَهُ
وَأَنَّ عَلَى الْبَاغِي تَدَوُّرُ الدَّوَائِرِ
سَيُوقَعُ فِي الْبئْرِ الَّذِي هُوَ حَافِرُ

مُعَانِقُ الدُّنْيَا:

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا
يُمْسِي وَيُضْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَّارًا
هَلَّا تَرَكْتَ لَدَى الدُّنْيَا مُعَانِقَةً
حَتَّى تُعَانِقَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَبْكَارًا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا
فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَأْمَنَ النَّارَا

ذم الحرص:

دَعِ الْجِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا
فَلَا تَجْمَعْ مِنَ الْمَالِ
فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ
فَقِيرٌ كُلُّ ذِي جِرْصٍ
وَفِي الْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعُ
فَمَا تَدْرِي لِمَنْ تَجْمَعُ
وَسَوْءُ الظَّنِّ لَا يَنْفَعُ
غَنِيٌّ كُلُّ مَنْ يَقْنَعُ

الزهد في الزهد:

تَرْحَلُ عَنْ مَقَامِ الزُّهْدِ قَلْبِي
الزُّهْدُ فِي سِوَاكَ وَلَيْسَ شَيْءٌ
فَأَنْتَ الْحَقُّ وَحَدَّكَ فِي شُهُودِي
أَرَاهُ سِوَاكَ يَا سِرَّ الْوُجُودِ

الموت والغفلة :

ونحنُ في غفلةٍ عمّا يُرادُ بنا
ولو توشَّحتَ من أثوابها الحسنَا
أينَ الذين هُم كانوا لنا سَكنا
فصيرتُهُم لأطباقِ الشُّرى رَهنا

الموتُ في كلِّ حينٍ يُنْشُرُ الكَفْنا
لا تَطْمَئِنُّ إلى الدُّنيا وزينَتِها
أينَ الأَجِبَةُ والجيرانُ ما فعلوا
سَقَاهُم الموتُ كَأْساً غيرَ صافيةٍ

الموت كالبحر :

يَغْرُقُ فيه المَاهِرُ السابِحُ
مَقالَةٌ قَدْ قالها ناصِحُ
إِلَّا التَّقَى والعَمَلُ الصَّالِحُ

الموتُ بحرٌ مَوْجُهُ طافِحُ
وَيَحْكُ يا نَفْسُ قِفِي واسْمَعِي
لا يَنْفَعُ الإنسانُ في قبره

القناعة :

واجعلْ نصيبَكَ منها راحةَ البدنِ
هَلْ راحَ مِنْها سِوَى بالقُطنِ والكفنِ

خُذِ القناعةَ مِنْ دُنْيَاكَ وارضَ بها
وانظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنيا بأَجْمَعِها

اغتنام الوقت :

فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَه
ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَه

اغْتَنِمْ في الفَراغِ فَضْلَ ركوعِ
كَمْ صَحِيحٍ تَرَاهُ مِنْ غَيْرِ سَقَمِ

وما أحسن قول القائل :

فَإِنَّ لِكُلِّ خافِقَةٍ سَكُونُ
فما تَدْرِي السَّكُونُ متى يَكُونُ
فإنَّ الدَّهْرَ عادَتُهُ يَخُونُ

إذا هَبْتَ رِياحَكَ فاغْتَنِمِها
ولا تَغْفُلْ عن الإحسانِ فيها
إذا ظَفِرَتْ يَدَاكَ فلا تُقْصِرْ

وقال الأعشى:

إذا أنت لم ترَ حُلَّ بزادٍ من الثُّقَى
ولا قِيتَ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ قد تزودا
نَدِمتُ على أن لا تكونَ كمثله
وأنَّكَ لم تُرَصدَ كما كان أرصداً

البهلول يخاطب هارون الرشيد:

هَبْ أُنْكَ قد ملكْتَ الأرضَ طُرّاً
ودانَ لك العبادُ فكان ماذا؟
أليسَ غداً مَصِيرُكَ جَوْفَ قَبْرٍ
وَيَحْثُو التُّرْبَ هذا ثُمَّ هذا

للقاضي ابن عسرون:

أؤمِّلُ أنْ أُحْيَا وفي كلِّ ساعةٍ
تَمُرُّ بي المَوْتَى تُهَزُّ نَعوشُها
وما أنا إلا منهمْ غيرَ أنَّ لي
بقايا ليلٍ في الزمانِ أَعِشُها

الخليل لا يدوم:

لكلِّ اجتماعٍ من خَليلَيْنِ فُرْقَةٌ
وإنَّ افتقادي واحداً بعدَ واحدٍ
وكلُّ الذي دُونَ المماتِ قليلٌ
دليلٌ على ألاَّ يدومَ خليلٌ

القدوم على كريم:

تَوَلَّى العُمُرُ واقتَرَبَ الرَّجِيلُ
وَزَادِي في الثُّقَى زادٌ قليلٌ

وفي لَحْدِي إِذَا كَانَ النُّزُولُ فَهَنُونِي أَحِبَّائِي وَقُولُوا
لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمٍ

قبض الكف وبسطها:

وفي قَبْضِ كَفِّ الْبُطْلِ عِنْدَ وَلادَتِهِ
دَلِيلٌ عَلَى الْجِرْصِ الْمُرْكَبِ فِي الْحَيِّ
وفي بَسْطِهَا عِنْدَ الْمَمَاتِ إِشَارَةٌ
أَلَّا فَاشْهَدُوا أَنِّي خَرَجْتُ بِمَا شِئْتُ

الاستعداد للموت:

الْمَوْتُ لَا بُدَّ مِنْهُ فَاسْتَعِدُّ لَهُ
إِنَّ الْبَلِيبَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ مَشْغُولٌ
وَكَيْفَ يَلْهُو بِعَيْشٍ أَوْ يَلْدُّ بِهِ
مَنْ التَّرَابُ عَلَى خَدَّيْهِ مَجْعُولٌ

الشح في السلام:

غَاضَ مَاءُ الْحَيَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ
فَقَدَا كَالْحِجَابِ الْجَوَانِبِ قَفْرًا
وَتَفَشَّى الْعُقُوقُ فِي النَّاسِ حَتَّى
كَادَ رَدُّ السَّلَامِ يُحَسَّبُ بِرًا

التزود للآخرة:

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي
إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ؟
فَكَمْ مِنْ فَتًى يُمَسِّي وَيُصْبِحُ لَاهِيَا
وَقَدْ نَسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لَا يَذَرِي

وَكَمْ مِنْ غُرُوسٍ زَيَّنُّوهَا لَزُوجِهَا
وَقَدْ قَبِضَتْ أَرْوَاحَهُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
وَكَمْ مِنْ صَفَارٍ يُرْتَجَى طَوْلُ عَمَرِهِمْ
وَقَدْ أَدْخَلَتْ أَجْسَادَهُمْ ظُلْمَةَ الْقَبْرِ
وَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ

قُلْ إِذَا أَعْجَبَكَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا:
لَا تَرْغَبَنَّ إِلَى الثَّيَابِ الْفَاحِشَةِ
وَإِذَا رَأَيْتَ زَخَارِفَ الدُّنْيَا فَقُلْ
لَاهُمْ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ

الضَّحْكَ وَالْبُكَاءُ:
وَلَدْنَكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بَاكِئًا
وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورًا
فَاخْفِظْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ إِذَا بَكَوْا
فِي يَوْمِ مَوْتِكَ ضَاحِكًا مُسْرُورًا

الحُبُّ الْبَاقِي:

تَنْقُضِي الدُّنْيَا وَتَفْنِي	وَالْفَتَى فِيهَا مُعْنَى
لَيْسَ فِي الدُّنْيَا سُرُورٌ	لَا وَلَا عَيْشٌ مُهْنَى
يَا غَنِيًّا بِالدُّنَانِ	يَرِ مُجِبُّ اللَّهِ أُغْنَى

المبادرة إلى العمل:

إِذَا أَمْسَيْتَ فَابْتَدِرِ الْفَلَاحَا وَلَا تُهْمِلْهُ تَنْظِرِ الصَّبَاحَا
وَتُبَّ مِمَّا جَنَيْتَ فَكَمْ أَنَاسٍ قَضَوْا نَحْبًا وَقَدْ بَاتُوا صِحَاحَا

عز العلم:

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْجُهَّالِ مَالُ
فَعِزُّ الْمَالِ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَعِزُّ الْعِلْمِ بَاقٍ لَا يَزَالُ

فرس المرء:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا رَاكِبٌ ظَهَرَ عُثْرُهُ
عَلَى فَرَسٍ يُفْنِيهِ فِي الْيَوْمِ وَالشَّهْرِ
يَبِيتُ وَيُمْسِي كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
بَعِيداً عَنِ الدُّنْيَا قَرِيباً مِنَ الْقَبْرِ

الرضا والتسليم:

سَلِّمْ أَمْرَكَ لِللطيفِ الْعَالِمِ
وَأَرِخْ فُرَادَكَ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا تَشَا
بَلْ مَا يَشَاءُ اللَّهُ أَحْكَمُ حَاكِمِ
فَاطْرَبْ وَطِبْ وَأَنْسَ الْهَمُومَ بِأَسْرَهَا
إِنَّ الْهَمُومَ تُزِيلُ لُبُّ الْحَاكِمِ
لَا يَنْفَعُ التَّدْبِيرُ عَبْدًا عَاجِزًا
فَاتْرُكْهُ تَبَقَّ فِي نَعِيمٍ دَائِمِ

لولا فئة لعذب الآخرون:

لولا عباد لآله رُكِعَ وصِيئة من اليتامى رُضِعَ
ومُهَمَّلَاتٌ في الفلاة رُتِعَ صَبَّ عليكم العذاب الأوجِعُ

للجوهرى:

لو كان لي بدُّ من الناس قطعتُ حبلَ الناسِ بالياسِ
العِزُّ في العِزْلَةِ لكنه لا بُدَّ للناسِ من الناسِ

قال بعضهم:

لا يَنعمُ المرءُ بمحبوبِهِ حتى يرى الحِكْمَةَ فيما قَضَى

شعر:

دواءُ قلبِكَ خَمْسٌ عِنْدَ قَسْوَتِهِ قَدُمٌ عَلَيْهَا تَفُزُ بِالْخَيْرِ وَالظَّفَرِ
خَلَاءُ بطنٍ وَقَرَأَنَ تَدْبُرُهُ كَذَا تَضُرُّعُ بِإِ سَاعَةِ السُّحْرِ
كَذَا قِيَامُكَ جُنَحَ اللَّيْلِ أَوْسَطُهُ وَأَنْ تُجَالِسَ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْخَبَرِ

كتب رجل إلى صالح بن عبدالقدوس:

الموتُ بابٌ وكلُّ الناسِ دَاخِلُهُ

يا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ؟

فأجابه بقوله:

الدَّارُ جَنَّةٌ عِدَنِ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا

يُرْضِي الْإِلَهِ وَإِنْ فَرَطْتَ فَالنَّارُ

هَما مَحَلَّانِ ما للمرءِ غَيْرُهُما

فانظرَ لِنَفْسِكَ ماذا أَنْتَ مُخْتَارُ؟^(١)

(١) أدب الدنيا والدين: ص [١٣١].

القلب القاسي:

وليس يزجرُكم ما تُوعِظُونَ به
والبهمُ يزجرُها الراعي فتنزجرُ
أبعدَ آدمَ تَرْجُونَ الخلودَ وهل
تَبْقَى فروع إذا ما الأصلُ يُنْقَرُ
لا ينفعُ الذِّكرُ قلباً قاسياً أبداً
والحَبْلُ في الحَجَرِ القَاسِي له أثرُ

أصول الدين:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتُ
مُسْنَدَاتُ مَنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا
لَيْسَ يَغْنِيكَ وَاعْمَلَنَّ بِنِيَّةِ

آداب الزيارة:

عليك بإغْبَابِ الزُّيَارَةِ إِنَّهَا
إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكَا
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْغَيْثَ يُسْأَلُ دَائِماً
وَيُسْأَلُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أُمْسَكَ

لأبي نواس:

أَلَا يَا ابْنَ الدِّينِ فَتَنُوا وَمَاتُوا
أَلَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لِتَبْقَى!!

وقال بعضهم :

يَتَمَنَّى الْمَرْءُ فِي الصَّيْفِ الشُّتَا فَإِذَا جَاءَ الشُّتَاءُ أَنْكَرَهُ
فَهُوَ لَا يَرْضَى بِحَالٍ وَاحِدٍ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ

وقال بعضهم :

وَالْمَرْءُ يُرْزَقُ لَا مِنْ حَيْثُ يَحْتَسِبُ
وَيُضْرَفُ الرُّزْقُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الدَّاهِي

التنفير من شرب الدخان :

فِي النَّاسِ قَوْمٌ سَخَافٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ
قَدْ أَبْدَلُوا عَوْضَ التَّسْبِيحِ دُخَانًا
أَنْبُوبَةً فِي فَمٍ وَالنَّارُ دَاخِلُهَا
تَجْرُ لِقَلْبٍ دُخَانًا وَنِيرَانًا
لَوْ كَانَ ذَلِكَ ذِكْرَ اللَّهِ مَا قَرُبْتُ
إِلَيْهِمُ النَّارُ إِجْلَالًا لِمَوْلَانَا
حَرٌّ وَنَارٌ وَتَضْفِيرٌ لَشَارِبِهِمْ
لَكِنْ مِنْ جَهْلِهِمْ قَدْ كَانَ مَا كَانَ!

أَنَا أَغْنِي النَّاسَ :

أ. ا. اهيم بن مسعود قال : كان رجل من كبار المدينة يختلف إلى
جعفر بن محمد وهو حسن الحال ، فتغيرت حاله فجعل يشكو إلى جعفر !
فقال جعفر :

فَلَا تَجْزَعُ وَإِنْ أَعْسَرَتْ يَوْمًا فَقَدْ أُيْسِرَتْ فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ

ولا تَيْأَسُ فَإِنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ لعلَّ الله يُغْنِي عن قَلِيلٍ
ولا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوْءٌ فَإِنَّ اللهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ

قال الرجل: فخرجت من عند جعفر وأنا أغنى الناس.

للإمام عبدالله بن المبارك:

يا طالبَ العلمِ بادِرِ الورعِنا وهاجرِ النومَ وافجرِ الشُّبْعَنا
يا أيُّها الناسُ أنتمُ عُشْبُ يحصدُه الموتُ كُلُّما طَلَعْنا

اقتباس:

لا تعجلنَّ فليسَ الرزقُ بالعَجَلِ الرزقُ في اللوحِ مكتوبٌ معَ الأجلِ
فلو صَبَرْنَا لكانَ الرزقُ يَطْلُبُنَا لَكِنَّهُ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ

وقال بعضهم:

لا تَحْمِلَنَّ مِنْ الْأَنَا مَ عَلَيْكَ إِحْسَاناً وَمِنَّةً
واخْتَرِ لِنَفْسِكَ حَظَّهَا واضْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ جُنَّةً
مِنْ الرُّجَالِ عَلَى الْقُلُوبِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الْأَسِنَّةِ

مَنِ الْغَنِيُّ يَا ثَرِيٌّ؟:

إِضْرَعْ إِلَى اللَّهِ لَا تَضْرَعْ إِلَى النَّاسِ واقْنَعْ بعزٍّ فَإِنَّ الْعِزَّ فِي الْيَأْسِ
وَاسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنَّ الْغَنِيَّ مَنْ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ

وقال بعضهم:

لا تَقْصِدِ الْمَخْلُوقَ رَبُّكَ أَقْرَبُ مَنْ يَقْصِدِ الْمَخْلُوقَ حَقًّا يَتَعَبُ
لَا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِّ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

سراقة المؤمن ؛ وأبو جهل الكافر :

أبو جهل يُحذّر قومَ سُرّاقة من سُرّاقة :

بني مُدَلِّجٍ إِنِّي أَخَافُ سَفِيهِكُمْ
عَلَيْكُمْ بِهِ أَلَّا يُفَرِّقَ جَمْعَكُمْ
سُرّاقَةٌ مُسْتَغْوٍ لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ
فِيصْبِحَ شَتَّى بَعْدَ عِزٍّ وَسُؤْدَدٍ

سراقة يرد على أبي جهل :

أَبَا حَكَمٍ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا
عَجِبْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنْ مُحَمَّدًا
عَلَيْكَ فَكَفَّ الْقَوْمَ عَنْهُ فَإِنِّي
لَأَمْرَ جَوَادِي إِذْ تَسُوخُ قَوَائِمُهُ
رَسُولٌ وَبُرْهَانٌ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهُ
إِحَالٌ لَهُ يَوْمًا سَتَبْدُو مَعَالِمُهُ

قصة سراقة :

بعد أن خرج رسولُ الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة، جعلت قريشُ فيه مائةَ ناقةٍ لمن رده عليهم ! .

فقام سراقة إلى فرسه، وأمر بِسلاحه فأخرج له ! .
ثم انطلق فلبسَ دِرْعَهُ، وحملَ سِلَاحَهُ وهو يرجو أن يرده على قريش
فياخذ المائة ناقة ! .

فركب على إثر النبي ﷺ، فلما بدا له النبي وصاحبه، فالتفت أبو بكر
فراى سراقة، فقال : « يا رسول الله لقد أتينا ! » .

فبسط يديه عليه الصلاة والسلام، ودعا الله تعالى، فعثر فرسُ سُرّاقة
به ؛ فذهبت يداه في الأرض ! وسقط عنه، ثم انتزع يديه من الأرض .

فعرف سُرّاقة أنه قد مُنع، وأنه عليه الصلاة والسلام سيظهر على قومه،
ويكون له شأن عظيم في المستقبل، وقصته مفصلة في كتب السيرة .

الموت:

تَذَكَّرْ فِي مَشِيئِكَ وَالْمَأْبِ
إِذَا وَافَيْتَ قَبْرًا أَنْتَ فِيهِ
وَفِي أَوْصَالِ جِسْمِكَ حِينَ تَبْقَى
فَلَوْلَا الْقَبْرُ صَارَ عَلَيْكَ سِتْرًا
خُلِقْتَ مِنَ التُّرَابِ فَصِرْتَ حَيًّا
وَعُدْتَ إِلَى التُّرَابِ فَصِرْتَ فِيهِ
فَطَلَّقْ هَذِهِ الدُّنْيَا ثَلَاثًا
نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ قَوْلِي وَنُصَحِي
خُلِقْنَا لِلْمَمَاتِ وَلَوْ تَرَكْنَا
يُنَادِي فِي صَبِيحَةِ كُلِّ يَوْمٍ
وَدَفْنِكَ بَعْدَ عِزِّكَ فِي التُّرَابِ
تُقِيمُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ
مُقَطَّعَةً مُمَزَّقَةً الْإِهَابِ
لَنَتْنَتَ الْأَبَاطِيحَ وَالرَّوَابِي
وَعُلِمْتَ الْفَصِيحَ مِنَ الْخَطَابِ
كَأَنَّكَ مَا خَرَجْتَ مِنَ التُّرَابِ
وَبَادِرُ قَبْلَ مَوْتِكَ بِالْمَتَابِ
فَمِثْلُكَ لَا يُدَلُّ عَلَى صَوَابِ
لِضَاقِ بَنِي الْفَسِيحِ مِنَ الرِّحَابِ
لِدَوَا لِلدُّودِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ

شروط شراء الدار:

اشترى شريح داراً، وأشهد شهوداً، وكتب كتاباً، فبلغ ذلك سيّدنا
عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال له: يا شريح اشتريت داراً؟
- نعم.

- وأشهدت شهوداً؟

- نعم.

- احذر أن تكون اشتريت من غير مالك! ووزنت مالا من غير جلّ،
وسوف يأتيك من لا ينظر في بينتك، ولا يسألك عن كتابك، ويزعجك عنها،
فتكون قد خسرت الدارين: الدنيا والآخرة.

ولو أنك حين أردت شراء الدار، أو أراد أحد شراء دار جاءني، لكنت
أكتب له كتاباً أزهّد فيه البائع المغرور، والمشتري.

- قالت: وما كُنتَ تَكْتُبُ؟ قال: كُنتُ أَكْتُبُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما اشترى عبدٌ ذليلاً من مَيِّتٍ قد أزعج بالرجيل، اشترى منه داراً من دُور الآفات، من الجانب الفاني من عسكر الهالكين، ومَجْمَعِ الغافلين! يجمع هذه الدار حدودُ أربعة:

١ - فالحدُّ الأول: ينتهي إلى الآفات.

٢ - والحدُّ الثاني: ينتهي إلى عِظَمِ المصِيبات.

٣ - والحدُّ الثالث: ينتهي إلى الغفلات.

٤ - والحدُّ الرابع: ينتهي إلى الشيطان المُغوي، والهوى المُردِي، وإليه يُشرع بابُ هذه الدار، التي اشتراها هذا المزعجُ بالأجل، من هذا المغرور بالأمل، فما أدرك مُشترِي هذه الدار، فعلى مبلبل الأجسام^(١)، وقاصم الجبابرة، مثل كسرى، وقيصر، وسابور الأكبر، وتُبَّع، وجمير؛ ما أَوْضَحَ الحقُّ لذي عينين، إن الرجيلَ حقُّ أحدِ اليومين! اهـ.

اشترى مَيِّتٌ من مَيِّتٍ!:

حكى أن بعضَ أهلِ الكوفة اشترى داراً، وقَدَّمَ لأمير المؤمنين قُرطاساً يكتب له بذلك كتاباً؛ فكتب له بعد التسمية:

هذا ما اشترى مَيِّتٌ من مَيِّتٍ؛ دارٌ في بلد المذنبين، وسكة الغافلين. ثم أشار لمخطط الدار قائلاً:

١ - الحدُّ الأول: ينتهي إلى الموت.

(١) مبلبل الأجسام: أي محركها ومهيجها.

٢ - الحدُّ الثاني : ينتهي إلى القبر.

٣ - الحدُّ الثالث : ينتهي إلى الحساب.

٤ - الحدُّ الرابع : ينتهي إمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النار، وأنشدَ قائلاً:

النفْسُ تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ
أَنَّ السَّلَامَةَ فِيهَا تَرُكُ مَا فِيهَا
لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا
إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَبْنِيهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهُ
وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا
أَيُّنَ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ مُسْلِطَةً
حَتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ الْمَوْتِ سَاقِيهَا
أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا
وَدُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا
كَمْ مِنْ مَدَائِنَ فِي الْآفَاقِ قَدْ بُنِيَتْ
أُمْسَتْ خَرَاباً وَأَفْنَى الْمَوْتُ أَهْلِيهَا
لِكُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ
مِنْ الْمَنِيَّةِ أَمَالُ تُوَفِّيهَا
فَالْمَرْءُ يَبْسُطُهَا وَالْدَّهْرُ يَقْبِضُهَا
وَالنَّفْسُ تَنْشُرُهَا وَالْمَوْتُ يَطْوِيهَا

حاضر... لكنه غائب:

يَكُونُ الْفَتَى مُسْتَوْجِباً لِلْعُقُوبَةِ	تُصَلِّي بِلا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا
تَزِيدُ احْتِيَاطاً رُكْعَةً بَعْدَ رُكْعَةٍ	تَظَلُّ وَقَدْ أُتِمَّتْهَا غَيْرَ عَالِمٍ
وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تَنْحَنِي غَيْرَ مُخْبِتٍ	فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضاً

تَخَاطَبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلًا
 وَلَوْ رَدَّ مَنْ نَاجَاكَ لِلْغَيْرِ طَرَفَهُ
 أَمَا تَسْتَجِي مِنْ مَالِكِ الْمَلِكِ أَنْ يَرَى
 إِلَهِي أَهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَخُذْ بِنَا
 عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لَغَيْرِ ضَرُورَةٍ
 تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
 صُدُودَكَ عَنْهُ يَا قَلِيلَ الْمُرُوءَةِ
 إِلَى الْحَقِّ نَهَجًا فِي سَوَاءِ الطَّرِيقَةِ

وقال بعضهم:

فَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ مَالَهُ مِنْ صَلَاتِهِ
 تَرَاهُ عَلَى سَطْحِ الْحَصِيرَةِ قَائِمًا
 سِوَى رُؤْيَةِ الْمِحْرَابِ وَالْخَفْضِ وَالرَّفْعِ
 وَهَمَّتْهُ فِي السُّوقِ فِي الْأَخْذِ وَالِدْفَعِ

عظ نفسك؛ ثم عظ الناس:

روي عن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ -
 عَنِ النَّبِيِّ قَالَ:

«مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ وَيَنْسِي نَفْسَهُ، كَمَثَلِ السَّرَاجِ، يُضِيءُ لِلنَّاسِ
 وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ!»^(١).

وقال أبو الأسود الدؤلي:

بَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَعْلَمُ غَيْرَهُ
 ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَنْ غَيْرِهَا
 فَهُنَاكَ يُسْمَعُ مَا تَقُولُ وَيُسْتَفَى
 لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ
 تَصِفُ الدَّوَاءَ لَذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَا
 هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
 فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
 بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
 عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
 كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ

(١) رواه الطبراني في الكبير.

أبيات في التصوف:

قال ابن الحاج في «المدخل»:

ليس التَّصَوُّفُ لُبْسُ الصُّوفِ تَرْقَعُهُ
ولا صِيَاخٌ ولا رَقَصٌ ولا طَرْبٌ
بَلِ التَّصَوُّفُ أَنْ تَصْفُوَ بِلا كَدِرٍ
وَأَنْ تُرَى خَاشِعاً لَهِ مُكْتَشِياً
ولا بُكَاءُكَ إِنْ غَنَّى الْمُغْنُونَا
ولا اخْتِباطُكَ إِنْ قَدِ صِرْتَ مَجْنُونَا
وَتَتَّبِعِ الْحَقَّ وَالْقُرْآنَ وَالِدِينَا
على ذُنُوبِكَ طَوْلَ الدَّهْرِ مَخْزُونَا

على هامش الهجرة، لأحد إخواننا الجن:

حُكِيَ أَنَّ شَاعِراً جَنِيًّا سَمِعَ صَوْتَهُ، وَلَمْ يُرَ شَخْصُهُ، يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ
وَصَاحِبَهُ يَوْمَ الْهَجْرَةِ فَقَالَ:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ
رَفِيقَيْنِ قَالَا^(١) خَيْمَتِي أُمُّ مَعْبِدٍ
هُمَا نَزَلَا بِالْبَرِّ ثُمَّ تَرَحَّلَا
فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
فِي الْقُصِيِّ مَا زَوَى اللَّهَ عَنْكُمْ
بِهِ مَنْ فِعَالٍ لَا تُجَازِي وَشُؤْدِدِ

عمر وصاحب كسرى، لحافظ إبراهيم:

وَرَاغَ صَاحِبَ كِسْرَى أَنْ رَأَى عُمَرَا
بَيْنَ الرُّعْيَةِ عُظْلًا وَهُوَ رَاعِيهَا
وَعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الْفُرْسِ أَنْ لَهَا
سُوراً مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَخْرَاسِ يَحْمِيهَا

(١) قالوا: مأخوذة من القيلولة، وهي النوم وقت الظهيرة.

رَأَاهُ مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِهِ فَرَأَى
فِيهِ الْجَلَالََةَ فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا
فَوْقَ الثَّرَى تَحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا
بِبَرْدَةٍ كَادَ طُولُ الْعَهْدِ يُبْلِيهَا
فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يَكْبِرُهُ
مِنْ الْأَكَاسِرِ وَالذُّنْيَا بِأَيْدِيهَا
فَقَالَ قَوْلَةً حَقٌّ أَصْبَحَتْ مَثَلًا
وَأَصْبَحَ الْجَيْلُ بَعْدَ الْجَيْلٍ يَرْوِيهَا
أَمِنْتَ لِمَا أَقَمْتَ الْعَدَلَ بَيْنَهُمْ
فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

ولهِ أَيْضًا:

وَمَوْقِفٍ لَكَ بَعْدَ الْمَصْطَفَى افْتَرَقْتُ
فِيهِ الصُّحَابَةُ لِمَا غَابَ هَادِيهَا
بَايَعْتَ فِيهِ أَبَا بَكْرٍ فَبَايَعَهُ
عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا
وَأُطِفِئْتُ فِتْنَةً لَوْلَاكَ لَاسْتَعَرْتُ
بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَانْسَابَتْ أَفَاعِيهَا

الْمَالِ سِلَاحٍ وَلِسَانٍ:

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمْتُ
شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ
وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ
وَرَأَيْنَاهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَلَا

لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزُهِو بِهَا
لَرَأَيْتَهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا
قَالُوا: صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُحَالًا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا
قَالُوا: كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالًا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً
وَهِيَ السَّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالًا

سخاء وحلم:

حُكِيَ أَنَّ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ، اتَّفَقَ نَفَرٌ عَلَى إِغْضَابِهِ، وَقَالُوا: مَنْ يُغْضِبُهُ فَلَهُ
مِائَةٌ بَعِيرٍ!.

وكان بينهم شاعرٌ ووعدهم بذلك، فلما مثَّلَ بينَ يدي الأميرِ، لم يُحِيه
تحيةَ الملوكِ! ونطق قائلاً:

أَتَذْكُرُ إِذْ لِحَافُكَ جِلْدُ شَاةٍ وَإِذْ نَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ
فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا وَعَلَّمَكَ الْجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ

- الأمير: أَذْكَرُهُ وَلَا أَنْسَاهُ؛ وَهَلْ أَحَدٌ يَنْسَى قَدِيمَهُ!.

- الشاعر:

سَأَرْحَلُ عَنْ دِيَارٍ أَنْتَ فِيهَا وَإِنْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى الْفَقِيرِ

- الأمير: إِنَّ جَاوَرْتَنَا فَمَرْحَبًا بِالْإِقَامَةِ، وَإِنْ فَارَقْتَنَا فَصَاحِبُكَ

السلامة!.

- الشاعر:

فَجُدْ لِي يَا ابْنَ نَاقِصَةٍ بِمَالٍ فَإِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْمَسِيرِ
- الأمير: وهب له مع هذه الإهانة ثلاثة آلاف ديناراً.

- الشاعر:

قَلِيلٌ مَا أُتَيْتَ بِهِ وَإِنِّي لِأُطْمَعُ مِنْكَ فِي الْمَالِ الْكَثِيرِ
- الأمير: أعطاه مثل ما أعطاه!

- الشاعر: لم يزل يطلبُ الزيادة، حتى تمت منحة الأمير عشرة آلاف
دينار، ولم تظهر عليه بوادر الغضب!

- الشاعر: ينطلق لِسَانُهُ بالشكر والثناء على الأمير قائلاً:

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُبْقِيَكَ ذُخْرًا فَمَا لَكَ فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ نَظِيرِ
فَمِنْكَ الْجُودُ وَالْإِفْضَالُ حَقًّا وَفَضْلُ يَدَيْكَ كَالْبَحْرِ الْغَزِيرِ
- الأمير: أعطيناك عشرة آلاف على ذمنا، فلنعطينك عشرة آلاف على
مَدْحِنَا!

هارون الرشيد ومتوكل على الله:

حكى أن هارون الرشيد أراد أن يعاقب رجلاً من أهل التوكل فلم يقدر
عليه! فأمر بسجنه! فقبل له: إنه خرج من السجن وهو في بستان. فأخضره
وقال له: مَنْ أَخْرَجَكَ مِنَ السِّجْنِ؟

- قال: الذي أدخلني؟

- قال: مَنْ أَدْخَلَكَ؟

- قال: الذي أخرجني؟ فأركبه على فرس، وأمر مُنادياً ينادي عليه:

هذا جزاء عبدٍ أراد هارون الرشيد إهانته فأعزّه الله؛ وأنشد قائلاً:

إِذَا أَكْرَمَ الرَّحْمَنُ عَبْدًا بَعَزَهُ فَلَنْ يَقْدِرَ الْمَخْلُوقُ يَوْمًا يُهِنُهُ
وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ الْعَزِيزُ أَهَانَهُ فَلَا أَحَدٌ بِالْعَزِّ يَوْمًا يُعِينُهُ

وقال بعضهم :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَمَا خَابَ حَقًّا مَنْ عَلَيْهِ تَوَكُّلًا
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ وَارْضَ بِحُكْمِهِ تَنْلِ مِثْلَ مَا تَرْجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلاً

أثر الصاحب وموقعه، قال ابن عطاء الله :

رَبِّمَا كُنْتَ مُسِيئًا فَأَرَاكَ الْإِحْسَانَ مِنْكَ صُحْبَتِكَ مَنْ هُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْكَ ؛
لَا تَصْحَبْ إِلَّا مَنْ يُنْهَضُكَ حَالُهُ ، أَوْ يَدُلُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ .

وقال بعضهم :

عَاشِرَ حِمَارًا لَا تُعَاشِرُ جَاهِلًا شَرَّانِ خَيْرُ الشَّرِّ شَرُّ سَاكِتٍ
إِنَّ الْجَهْلُولَ حِمَارٌ عَقْلٍ نَاطِقٍ يَعْيِي الْوَرَى أَمَّا الْحِمَارُ فَصَامِتٌ

طين . . لكنه على الرؤوس ! :

وقال الأستاذ الأديب الشيخ بشير الغزي الحلبي :

رَأَيْتُ الطِّينَ فِي الْحَمَامِ يَوْمًا بَكَفِ الْحَبِّ أَثَرَ ثُمَّ نَسَمَ
فَقُلْتُ لَهُ : أَمْسُكَ أَمْ عَبِيرُ لَقَدْ صَيَّرْتَنِي بِالْحَبِّ مُغْرَمَ
أَجَابَ الطِّينُ أَنِّي كُنْتُ تُرْبًا صَحَبْتُ الْوَرْدَ صَيَّرَنِي مُكْرَمَ
أَلْفَتْ أَكَابِرًا وَازْدَدْتُ عِلْمًا كَذَا مِنْ عَاشِرِ الْعِلْمَا تَكْرَمَ

هذه الأبيات فارسية الأصل ، عَرَّبَهَا الشيخ رحمه الله .

من حكم ابن عطاء الله الإسكندري رضي الله تعالى عنه :

... فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ الصُّحْبَةُ مَعَ اللَّهِ؟ .

قال : فَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى حَسْبِهِ :

١ - صُحْبَةُ اللَّهِ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ ، واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

٢ - وَصُحْبَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، أَنْ يُعْمَلَ بِهِمَا .

٣ - وَصُحْبَةُ الْمَلَائِكَةِ ، أَنْ يُمْلِيَهُمَا الْحَسَنَاتِ .

٤ - وَصُحْبَةُ السَّمَاءِ بِالتَّفَكُّيرِ فِيهَا .

معاوية وميسون :

حُكِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا مَعَاوِيَةَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْبَادِيَةِ ، اسْمُهَا مَيْسُونُ ، فَنَقَلَهَا إِلَى قَصْرِ الْخِلَافَةِ فِي الشَّامِ ، فَكَانَتْ تُكْثِرُ الْحَنِينَ إِلَى وَطَنِهَا ، وَمَسْقَطِ رَأْسِهَا ! فَسَمِعَهَا يَوْمًا تُنَشِّدُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفٍ ^(١)	لَبِيتُ تَخْفِيقَ الْأَرْوَاحِ ^(٢) فِيهِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ ^(٣)	وَلُبْسِ عِبَاءَةٍ ^(٤) وَتَقَرُّ عَيْنِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْلِ الرِّغِيفِ	وَأَكْلِ كُنْثَرَةٍ فِي كِسْرِ ^(٥) بَيْتِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَقْرِ الدُّفُوفِ ^(٦)	وَأَصْوَاتِ الرِّيَّاحِ بِكُلِّ فَجٍّ ^(٧)

(١) الأرواح : بالواو جمع ريح .

(٢) المنيف : العالي .

(٣) العباءة : نوع معروف من الأكسية .

(٤) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق .

(٥) كسر البيت : شقة الخباء التي تلي الأرض من حيث يكسر جانباه .

(٦) الفج : الطريق الواسع .

(٧) الدفوف : جمع دف بضم ، وهو الآلة التي يضرب عليها وقت الفرح .

وَكَلْبٌ يَنْبَحُ الطَّرَاقَ دُونِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِطِّ الْوَرِ
وَجِرْقٌ^(١) مِنْ بَنِي عَمِّي نَحِيفٌ^(٢) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِجَلٍ^(٣) عَلِيفٍ^(٤)

فَطَلَّقَهَا وَرَدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا وَلَمْ يُوَاخِذْهَا! حَلَمًا مِنْهُ وَكِرْمًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ
مَشْهُورًا بِالْحَلَمِ وَسَعَةِ الصُّدْرِ، وَتَحْمُلِ الْأَذَى !.

من الأدب العربي:

حُكِيَ أَنَّ الْحِجَاجَ أَصْدَرَ مَرْسُومًا بَأَنَّ الْخُرُوجَ بَعْدَ الْعِشَاءِ مَمْنُوعٌ، وَأَنَّ
مَنْ خَرَجَ يُقْتَلُ! فَبَيْنَمَا الْجُنْدُ يَتَجَوَّلُونَ إِذْ رَأَوْا ثَلَاثَةَ أَوْلَادٍ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِمْ
وَجَاءُوا بِهِمْ إِلَى قِسْمِ التَّحْقِيقِ، وَسَأَلُوهُمْ مَنْ هُمْ؟.

فأجاب الأول:

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ تَنْزِلِ الدَّهْرَ قِذْرُهُ
وَإِنْ نَزَلْتُ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهُ وَقُعُودُ

وأجاب الثاني:

أَنَا ابْنُ الَّذِي خَاضَ الصُّفُوفَ بِعَزْمِهِ
وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
رِكَابَاهُ لَا تَنْفَكُ رِجْلَاهُ مِنْهُمَا
إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَّتْ

(١) الخرق: السخي.

(٢) النحيف: الهزيل.

(٣) العجل: ولد البقر.

(٤) العليف: الذي يعلف ولا يُرسل للرعي.

وأجاب الثالث:

أنا ابنُ الذي دانت الرُقَابُ له
ما بينَ مَخْزُومِها وهاشِمِها
تأتي إليه الرُقَابُ صاغِرةً
ياخذُ من مالِها ومن دِمِها
فلما رُفِعَ أمرُهُم للحجاج، وسمع شِعْرَهُم، تبَيَّنَ أن الأولَ أبوه: فوال! والثاني: حائك! والثالث: حلاق! فعند ذلك قال الحجاج:
علموا أولادكم الأدب، فوالله لولا الأدبُ لَضُرِبَتْ أعناقُهُم، ونطق قائلاً:

كُنْ ابْنُ مَنْ شِثْتَ وَانْتَسَبْ أَدَباً
يُغْنِيكَ مَخْمُودُهُ عَنِ النُّسَبِ
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَذَا
لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

شعر:

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِماً
وَإِنْ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ
وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
صَغِيرٌ إِذَا التَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

شعر:

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَبْوَابٌ مُصَنَّفَةٌ
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْجِلْمُ رَابِعُهَا
وَالصَّبْرُ سَابِعُهَا وَالشُّكْرُ ثَامِنُهَا
فَالْعَقْلُ أَوَّلُهَا وَالصُّمْتُ ثَانِيُهَا
وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالصِّدْقُ سَادِسُهَا
وَاللِّينُ تَاسِعُهَا وَالْبِرُّ عَاشِرُهَا

آخر:

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ كَانَ حَاسِداً
لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

حذيفة وإبراهيم:

حكى أنه قيل لحذيفة المرعشي - وقد كان خدماً لإبراهيم بن أدهم وصحبه: ما أعجب ما رأيت منه؟

قال حذيفة: بقينا في طريق مكة - حرسها الله تعالى - أياماً لم نجد طعاماً، ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجدٍ خرابٍ...

فنظر إليَّ إبراهيم بن أدهم وقال:
يا حذيفة! أرى بك الجوع؟ فقلت: هو ما رأى الشيخ، فقال إبراهيم:
عليَّ بدواةٍ وقرطاسٍ! فجئتُ بهما فكتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أنت المقصود بكل حال، والمشار إليه بكل معنى، ثم قال:

أنا حامدٌ، أنا شاكرٌ أنا ذاكرٌ	أنا جائعٌ أنا ضائعٌ أنا عاري
هي ستةٌ وأنا الضَّمينُ لنصفها	فكن الضَّمينَ لنصفها يا باري
مدحني لغيرك لهبٌ نارٍ خضتها	فأجر عبيدك من دخول النار
والنارُ عندي كالسؤال فهل ترى	أن لا تُكَلِّفَنِي دخول النار

ثم دفع إليَّ الرقعة فقال: أخرج ولا تعلق قلبك بغير الله!، وادفع الرقعة إلى أول من تلقاه!

قال: فخرجت فأول من لقيتُ رجلٌ راكبٌ على بغلةٍ، فدفعتها إليه، فأخذها وبكى!

وقال: ما فعل صاحبُ هذه الرقعة؟

فقلتُ: هو في المسجد الفلاني، فدفع إليَّ صُرة فيها ستمائة دينار. ثم
لقيتُ رجلاً فقلتُ له: مَنْ صاحبُ هذه البغلة؟

فقال: نصراني! فجئتُ إبراهيمَ وأخبرته، فقال:
لا تَمسّها! فإنه يَجِيءُ الآنَ، فلما كان بعدَ ساعةٍ جاءَ وأكبَّ على رأسِ
إبراهيمَ وأسلمَ.

إِحْذَرِ صَغَائِرَ الذُّنُوبِ!

وقال بعضهم:

لا تَحْقِرَنَّ ضَعِيفاً عِنْدَ رُؤْيَيْهِ
وَاللَّشَّارَةَ حَقَّرُ حِينَ تَنْظُرُهَا
إِنْ الْبُعُوضَةُ تُذِمِّي مُقَلَّةَ الْأَسَدِ
وَرَبِّمَا أَضْرَمْتَ نَاراً عَلَى بَلَدٍ

وقال بعضهم:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا
وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أُرْ
وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً
ضَرَّ الشُّوكُ يَحْذَرُ مَا يَرَى
إِنْ الْجِبَالُ مِنَ الْحَصَى

وقال بعضهم:

كُلُّ الْمَصَائِبِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ
كَمْ نَظْرَةٌ فَعَلَتْ فِي قَلْبٍ صَاحِبِهَا
فِي أَعْيُنِ الْغَيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
يَسِرُّ مُقَلَّتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ
فِعْلَ السَّهَامِ بِلا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ
لَا مَرَحَباً بِسُرُورٍ جَاءَ بِالضَّرَرِ

آثَارُ الْمَعَاصِي:

وللمعاصي آثار سيئة! قبيحة مذمومة، مضرّة بالقلب والبدن، في الدنيا
والآخرة:

١ - ومنها: حرمانُ العلمِ ! لأن العلم نورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، وَالْمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ.

٢ - ومنها: وحشةٌ يَجِدُهَا الْعَاصِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، لَا يُوَازِيهَا وَلَا يُقَارِبُهَا وَحْشَةُ الْبَتَّةِ !.

٣ - ومنها: تعسرُ أمره عليه، فلا يتوجه لأمرٍ إِلَّا وَيَجِدُهُ مُغْلَقاً دُونَهُ.

٤ - ومنها: ظُلْمَةٌ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ، يُحَسُّ بِهَا كَمَا يُحَسُّ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، وَكَلَّمَا قَوِيَتْ الظُّلْمَةُ أَزْدَادَتْ حَيْرَتَهُ، وَظَهَرَتْ الظُّلْمَةُ عَلَى وَجْهِهِ، بِحَيْثُ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ.

٥ - ومنها: تُوهِنُ الْبَدَنَ وَالْقَلْبَ وَتُضْعِفُهُمَا.

٦ - ومنها: حرمانُ الطَّاعَةِ، وَمَحَقُّ بَرَكَةِ الْعُمْرِ.

٧ - ومنها: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ تَوْرَثُ الذُّلَّةَ، وَتَفْسِدُ الْعَقْلَ فَإِنَّهُ نَوْرٌ، وَالْمَعْصِيَةُ تَطْفِئُهُ.

٨ - ومنها: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتَجْلِبُ الْفَقْرَ، فَمَا زَالَتْ مِنَ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ ارْتَكَبَهُ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ فَعَلَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ^(١).

قال ابنُ عطاءِ الله:

من أنفق عافيته وصحته في معصية الله تعالى، فمثاله كمن خلف له أبوه ألف دينار، فاشترى بها حياتٍ وعقاربَ، وجعلها من حوله: تلدغه هذه مرة! وتلسعه هذه أخرى! أفما تقتله؟.

(١) الشورى: ٣٠.

وقال أيضاً:

«إياك والمعصية! فقد تكون سبباً لتوقف الرزق».

روي عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«إياكم ومحقرات الذنوب! فإنما مثل محقرات الذنوب، كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»^(١).

لعبد الله باشا فكري:

إذا نام غر في دجى الليل فاشهر
وقم للمعالي والعوالي وشمر
وسارع إلى ما رمت ما دمت قادراً
عليه وإن لم تبصر النجح فاصبر
وأكثر من الشورى فإنك إن نصبت
تجد مادحاً أو تخطيء الرأي تعدر
وعود مقال الصديق نفسك وأرضه
تصدق ولا تركن إلى قول مفتري
ولا تقف زلات العباد تعدها
فلست على هذا الورى بمسيطر

الفرح بالنبي ﷺ:

رؤي أبو لهب بعد موته في النوم^(٢)، فقيل له: ما حالك؟.

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده».

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»: (٢/٢٧٣): ذكر السهيلي وغيره: أن الرائي له هو أخوه العباس، وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبي لهب، بعد وقعة =

قال: في النار؛ إلا أنه خُفِفَ عَنِّي كُلُّ لَيْلَةٍ اثْنِينَ، فَأَمَصُّ مِنْ بَيْنِ أَصْبَعِي هَاتَيْنِ مَاءٌ بِقَدَرِ هَذَا، وَأَشَارَ بِرَأْسِ أَصْبَعِهِ، وَإِنْ ذَلِكَ بِإِعْتَاقِي «ثُؤْيَبَةَ» عِنْدَمَا بَشَّرْتَنِي بِوِلَادَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِإِرْضَاعِهَا لَهُ.

فَإِذَا كَانَ أَبُو لَهَبٍ الْكَافِرُ، الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمِّهِ، جُوزِي فِي النَّارِ بِفَرَحِهِ لَيْلَةَ مَوْلَدِهِ بِهِ! فَمَا حَالُ الْمُسْلِمِ الْمَوْجِدِ فِي أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ!؟

وَاللَّهُ دَرِ الْقَائِلِ:

إِذَا كَانَ هَذَا كَافِرًا جَاءَ ذَمُّهُ
أَتَى أَنَّهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنِينَ دَائِمًا
فَمَا الظَّنُّ بِالْعَبْدِ الَّذِي كَانَ عُمُرُهُ
وَتَبَّتْ يَدَاهُ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدًا
يُخَفَّفُ عَنْهُ لِلْسُرُورِ بِأَحْمَدًا
بِأَحْمَدٍ مَسْرُورًا وَمَاتَ مُوَجَّدًا

فِي الصَّبْرِ:

اضْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ
وَاضْبِرْ كَمَا صَبَرَ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا
وَإِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ تُشْجِي^(١) بِهَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
نُوبٌ تَنُوبُ الْيَوْمَ تُكْشَفُ فِي غَدِ
فَاذْكُرْ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

وَقَالَ آخِرُ:

تَذَكَّرْتُ لَمَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
وَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْمَنَايَا سَيَلُّنَا
فَعَزَّيْتُ نَفْسِي بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي يَوْمِهِ مَاتَ فِي غَدِ

= بدر، وفيه أنه قال للعباس: إنه ليخفف علي في مثل يوم الاثنين. قالوا: لأنه لما بشرته «ثُؤْيَبَةُ» بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله ﷺ أعتقها من ساعته، فجوزي بذلك لذلك.

(١) تشجى بها: تحزنك وتهمك.

وقال آخر :

عليك إذا ضاقتُ أمورك والتوت
ولا تشكون إلا إلى الله وحده
عسى فرج يأتي به الله إنه
إذا لاح عُسر فارح يسراً فإنه

الإنسان مرآة أخيه :

قنعت بالقوت في زماني
فمن رآني بعين عز
ومن رآني بعين ذل
من كنت عن بابه غنياً

في الحج المبرور :

إذ حججت بمال أضله سحت^(١)
لا يقبل الله إلا كل خالصة

ابتداء الإنسان وانتهاءه :

وكننت أمشي على رجلين معتدلاً

وقال بعضهم :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه
فقد رفع الإسلام سلمان فارس

بصبر فإن الضيق مفتاحه الصبر
فمن عنده تأتي الفوائد والبشر
له كل يوم في خليقته أمر
قضى الله أن العسر يعقبه يسر

لصون عرضي من الهوان
رأيتُه كامل المعاني
رأيتُه مثل ما رآني
فلا أبالي إذا جفاني

فما حججت ولكن حجبت العير
ما كل من حج بيت الله مبرور

فصرت أمشي على أخرى من الشجر

فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب

(١) السحت: الحرام.

رِثَاءَ رَقِيقٍ لِبَعْضِ شِعْرَاءِ الْبَصْرَةِ :

إِنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ يَوْمَ تُوْفِي
مَا دَرَى نَعْشُهُ وَلَا حَامِلُوهُ
كَادَتْ النَّفْسُ أَنْ تَفِيضَ عَلَيْهِ
هَزُّ رُكْنًا مَا كَانَ بِالْمَهْزُوزِ
مَا عَلَى النَّعْشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ
إِذْ غَدَا حَشَوَ رَيْطَةً وَبُرُودِ

الْحُبِّ اللَّطِيفِ :

بَكَيتُ عَلَى سِرْبِ الْقَطَا إِذْ مَرَزَنَ بِي
أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مِنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ
فَجَاوَبْتَنِي مِنْ فَوْقِ غُصْنِ أَرَاكِةٍ
وَأَيُّ قِطَاةٍ لَمْ تُعِرْكَ جَنَاحَهَا
فَقُلْتُ وَمِثْلِي بِالْبِكَاءِ جَدِيرُ
لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوِيْتُ أُطِيرُ
أَلَا كُلُّنَا يَا مُسْتَعِيرُ يُعِيرُ
تَعِيشُ بِذُلٍّ وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ

الشَّاءِ الرَّقِيقِ :

شَرَبْنَا شَرَابًا طَيِّبًا عِنْدَ طَيْبِ
شَرَبْنَا وَأَهْرَقْنَا عَلَى الْأَرْضِ فَضْلَهُ
كَذَاكَ شَرَابُ الطَّيِّبِينَ يَطِيبُ
وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكَرَامِ نَصِيبُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ اللَّيِّبَ كَنَفْسَهُ
وَالْمَرْءُ يُصْلِحُهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ

السيرة النبوية

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، ولعظيم سلطانك،
وأصلي وأسلم على رسولك سيدنا محمد، صلاة تليق بجنابه العظيم، وقدره
الرفيع.

وبعد؛ فإن أفضل الحديث كتاب الله تعالى - الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه - وخير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ، فهو الوسيلة
العظمى، والواسطة الكبرى، لنيل السعادة الأبدية، والفوز برضاء الله تعالى.
ولا يليق بالمسلم الذي يدين بالإسلام، ويحمل في نفسه لواء الإيمان،
أن يكون جاهلاً بسيرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

ولهذا جئت بهذا الموجز المختصر، ليتشوق القارئ لمطالعة كتب
أخر، مما ذكر فيها من سيرة خير البشر، والله أسأل أن يفتح قلوبنا بمحبته، وأن
ينور بصائرنا بمتابعة سنته.

وها أنا ذا أفتح موضوع السيرة، مُتبركاً بذكر نسبه الشريف فأقول:

أما نسبه الشريف عليه الصلاة والسلام فهو:

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، بْنِ هَاشِمٍ، بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، بْنِ قُصَيٍّ،
بِ بْنِ كِلَابٍ، بْنِ مُرَّةَ، بْنِ كَعْبٍ، بْنِ لُؤَيٍّ، بْنِ غَالِبٍ، بْنِ فِهْرٍ، بْنِ مَالِكٍ، بْنِ
النَّضْرِ، بْنِ كِنَانَةَ، بْنِ خُزَيْمَةَ، بْنِ مُدْرِكَةَ، بْنِ إِيَّاسَ، بْنِ مُضَرَ، بْنِ نَزَارٍ، بْنِ
مَعَدٍ، بْنِ عَدْنَانَ. فالعربُ كُلُّهم من وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَقُحْطَانَ.

ما ورد في نسبه الشريف عليه الصلاة والسلام:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«بُعْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقُرُونِ الَّتِي
كُنْتُ فِيهَا»^(١).

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اصْطَفَى كِنَانَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ
كِنَانَةٍ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٢).

تنبيه:

واعلم أنه عليه الصلاة والسلام: لَمْ يَشْرِكْهُ فِي وَلَادَتِهِ مِنْ أَبَوَيْهِ أَخٌ وَلَا
أُخْتُ.

ما أجمع عليه العلماء:

قال ابن دحية: أجمع العلماء على أن رسول الله ﷺ لَمْ يَتَجَاوَزْ نَسَبَهُ
الشريف عَدْنَانَ.

وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول: كَذَبَ النَّسَابُونَ - يَعْنِي مَا
وَرَاءَ عَدْنَانَ.

أولاده الكرام:

أما بناته عليه الصلاة والسلام فَأَرْبَعُ:

زَيْنَبُ، وَرُقِيَّةُ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ، وَفَاطِمَةُ: رضي الله تعالى عنهن.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

وأما أبنائوه عليه الصلاة والسلام فتلاثة :
القاسم ، وعبدالله ، وإبراهيم : رضي الله تعالى عنهم .

١ - أما القاسم :

فهو أول ولد له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة في مكة المكرمة ، وبه
يُكنى ، وعاش حتى مشى .

٢ - وأما زينب :

فهي أكبر بناته ، ولدت سنة ثلاثين من مولد النبي ﷺ ، وأدركت
الإسلام .

٣ - وأما رقية :

فولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده عليه الصلاة والسلام ، وتزوجها
عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وتوفيت والنبي ﷺ بيد ، فزوجه أم
كثوم ، وسمي ، بذي النورين .

٤ - وأما فاطمة الزهراء :

فولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ ، وسميت فاطمة ،
لأن الله تعالى قد فطمها وذريتها عن النار .

وتزوجت بعلي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - في السنة الثانية ، ولها
من العمر خمس عشرة سنة ، وخمسة أشهر ونصف .

ولعلي إحدى وعشرون سنة ، وخمسة أشهر . وهي أفضل بناته وأحبها
إليه ، وكان يقول :

«فاطمة بضعة مني ، فمن أغضبها أغضبني» (١) .

(١) رواه البخاري .

وقال لها:

«أَوْ مَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟» (١).

تُوُفِّيَتْ بعده عليه الصلاة والسلام بِسَنَةِ أَشْهَرٍ، وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقِبٌ إِلَّا مِنْ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ.

٥ - وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ:

فَقِيلَ: مَاتَ صَغِيرًا بِمَكَّةَ، وَاخْتَلَفَ هَلْ وُلِدَ قَبْلَ النَّبِوةِ أَوْ بَعْدَهَا.

٦ - وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ:

فَمِنْ مَارِيَةِ الْقِبْطِيَّةِ، وَوُلِدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ.

٧ - وَأَمَّا أُمُّ كَلْثُومٍ:

فَهِيَ أَصْغَرُ مِنْ فَاطِمَةَ؛ وَلَيْسَ لَهَا اسْمٌ غَيْرُ هَذِهِ الْكُنْيَةِ، فَاسْمُهَا كُنْيَتُهَا، وَلَدَتْ بَعْدَ الْبَعْثَةِ، وَتَزَوَّجَهَا عَثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، بُوْحَيٍّ مِنْ اللَّهِ، بَعْدَ مَوْتِ أُخْتِهَا رُقِيَّةَ، وَلِذَا لُقِّبَ بِذِي النُّورَيْنِ.

وَلَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ الْجَرْدَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ: «فَتْحُ الْعِلَامِ» (١٨١/١): أَوْلَادَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَزَوْجَاتُهُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْجَمِيعِ - بِشَكْلِ وَاسِعٍ.

وَكَانَ لِي - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - خِدْمَةُ التَّرْتِيبِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْحَدِيثَةِ وَقَدْ تَصَحَّيْحِي لَهُ، فَارْجِعْ إِلَيْهِ إِنْ شِئْتَ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

أزواجه الطاهرات؛ هن إحدى عشرة امرأة:

خديجة، عائشة، حفصة، أم حبيبة، أم سلمة، سودة، زينب،
ميمونة، زينب، جويرية، صفية.

١ - أما خديجة:

هي بنت خويلد - رضي الله تعالى عنها - فقد تزوجها رسول الله ﷺ وهي ثيب، ولها من العمر أربعون سنة. وكان سنه عليه الصلاة والسلام خمساً وعشرين سنة. وهي أول من آمن من النساء.

وكان عليه الصلاة والسلام، لا يسمع شيئاً من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عنه، وهي التي خطبت النبي ﷺ لنفسها قائلة له:

يا ابن عمي! إني قد رغبت فيك لقرايتك، وأمانتك، وصدق حديثك.

وقد خطبها الكثير من الرجال من كبار قومها، فأبت؛ واختارت لنفسها
التقي النقي، زين الشباب، وفخر الرجال.

وكان وليه عليه الصلاة والسلام في زواجه عمه أبا طالب.

راجع موضوع «الخطب والوصايا» صفحة [٧] من هذا الكتاب.

وقد قضى معها زهرة شبابه، فلم يتزوج عليها، ولا أحب أحداً من
البشر - مثل حبه لها.

وظل طول عمره يذكرها، ويكرم أصدقاءها ومعارفها.

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها، شديدة الغيرة منها لكثرة ذكره

لها.

فصل خديجة :

لقد بلغت خديجة الكبرى، المنزلة القُصوى عند الله ورَسُوله؛ كان يأتيها جبريلُ بالسَّلام من رَبِّها، من فوقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

وقد بَشَّرَها الله جَلَّ جَلَّالُه على لِسَانِ رُسُولِ الله عليه الصلاة والسلام، ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ^(١) لا صَخَبٍ^(٢) فيه ولا نَصَبٍ^(٣).

ورَوَى الشيخان: «خَيْرُ^(٤) نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ».

زارت النبي ﷺ امرأةٌ عَجُوزٌ في بيتِ عائشة رضي الله عنها، فأكرمَ مَثَوَاهَا، وَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ، وَبَالَغَ فِي الْحَفَاوَةِ بِهَا..

فلما انصرفتْ سَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنْهَا، لَتَعْلَمَ سَبَبَ إِكْرَامِهِ لَهَا؟ فَأَخْبَرَهَا ﷺ: أَنَّهَا كَانَتْ تَزُورُ خَدِيجَةَ.

وماتَتْ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَهِيَ ابْنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَ مُدَّةُ مُقَامِهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً.

٢ - وَأَمَّا سَوْدَةُ :

هي بِنْتُ زَمْعَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا، تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ، بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ.

وهي أَرْمَلَةُ السَّكْرَانِ بْنِ عَمْرٍو، مَاتَ زَوْجُهَا وَهُوَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَرِيقِينَ

(١) القصب: اللؤلؤ المجوف.

(٢) الصخب: الضوضاء والشغب.

(٣) النصب: التعب.

(٤) أي نساء كل زمن بالنسبة لها.

في الإيمان، ونال شرف الهجرة إلى الحبشة. وقد بلغت سَوْدَةُ من العمر الخامسة والخمسين، فهي أكبر سناً منه عليه الصلاة والسلام.

وقد أسلم من قوم سَوْدَةُ كثير من الناس، فدخلوا في دين الله لما رأوا من السيد الأمين، من هذا الزواج البعيد عن الأغراض النفسية، والمآرب الشهوية.

٣ - وأما عائشة:

هي بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، فخطبها النبي ﷺ بمكة سنة عشر من النبوة، وقبل الهجرة بثلاث سنين، وعمرها ست سنين، وأُعرِس بها بالمدينة ولها تسع سنين، وكانت أحب نسائه - ﷺ - إليه، وكانت إذا هويت شيئاً تابعها عليه.

وكانت مدة مقامها معه عليه الصلاة والسلام تسع سنين، ومات عنها ولها ثمان عشرة سنة، ولم يتزوج بغيرها.

وكانت فقيهة، عالمة، فصيحة، كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ. ماتت بالمدينة وهي ابنة ست وستين سنة، وما وَلَدَتْ قط. وكانت تُكنى: بأم عبد الله، بابن أختها عبد الله بن الزبير.

٤ - وأما حفصة:

وهي بنت عمر - رضي الله تعالى عنهما - وهي أرملة شهيد بذر، أنيس بن حذافة - رضي الله تعالى عنه - فقد أسلمت وهاجرت، تزوجها رسول الله ﷺ في سنة ثلاث من الهجرة.

والرسول عليه الصلاة والسلام قد بلغ الخامسة والخمسين من عمره المبارك، وطلقها تطلقاً واحدة ثم راجعها، نزل عليه الوحي: راجع حفصة! فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة.

رَوَى عَنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصُّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَاتَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ
خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ، وَهِيَ ابْنَةُ سِتِّينَ سَنَةً.

٥ - وَأَمَّا أُمُّ سَلَمَةَ:

هِيَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - وَاسْمُهَا هِنْدٌ، فَكَانَتْ قَبْلَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ أَبِي سَلَمَةَ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَكَانَتْ هِيَ
وَزَوْجُهَا أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

وَمَاتَ أَبُو سَلَمَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَخَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَبَتْ، وَخَطَبَهَا
عُمَرُ فَأَبَتْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَتْ
لَابْنَهَا: زَوِّجْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ! فَزَوَّجَهُ.

وكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ، وَمَاتَتْ عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، سَنَةَ تِسْعٍ
وخمسين، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ.

وَقَدْ حَفِظَ التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ ذِكْرًا مَجِيدًا؛ إِذْ كَانَتْ مِنْ
شَهِيرَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَامِلَاتِ وَرَاءَ صُفُوفِ الْمَجَاهِدِينَ فِي «أَحُد».

وَلَهَا خَصَافَةٌ فِي الْعَقْلِ، وَسَدَادٌ فِي الرَّأْيِ، وَزَوْجُهَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَمَّةِ
النَّبِيِّ ﷺ، وَأُخُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ.

وَلَمَّا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُهَا، اعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ: إِنِّي مُسِنَّةٌ، وَإِنِّي
أُمُّ أَيْتَامٍ، وَإِنِّي شَدِيدَةُ الْغَيْرَةِ.

فَأَجَابَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَوْلِهِ: الْأَيْتَامُ أَضْمَهُمْ إِلَيَّ، وَأَدْعُوا اللَّهَ أَنْ
يُذْهِبَ عَنْكَ الْغَيْرَةَ. وَلَمْ يَعْصِ بِالْسَّنِّ.

٦ - وَأَمَّا أُمُّ حَبِيبَةَ:

هِيَ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - وَاسْمُهَا رَمْلَةٌ، فَكَانَتْ

تحت عبید الله بن جحش، وهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، ثم تنصّر وارتد عن الإسلام، ومات هناك!

وثبتت أم حبيبة على الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي ليخطبها عليه، فزوّجها إياه وأصدقها عنه أربعمئة دينار، وبعثها إليه. وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين.

٧ - وأما زينب:

هي بنت جحش رضي الله تعالى عنها، هي ابنة عمّة النبي ﷺ: وأُمّها أُميمة بنت عبدالمطلب، فقد كان رسول الله ﷺ زوّجها زيد بن حارثة، فمكثت عنده مدة ثم طلقها، فلما انقضت عدتها منه، قال عليه الصلاة والسلام لزيد:

«اذهب فاذكّرني لها».

قال: فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: بعث رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل. فقامت إلى مسجد لها، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ (١).

فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، وكانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول:

«زَوَّجَكُنْ أَبَاؤُكُنْ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».

وكان تزويجها له ﷺ سنة خمس من الهجرة.

(١) الأحزاب: ٣٧.

وقالت عائشة في شأنها: لم تكن امرأة خيراً منها في الدين،
وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشدّ ابتذالاً
لنفسها في العمل، الذي تتصدق به ويقرّبها إلى الله.

وقد كان لهذا الزواج شأنه الكبير عند الناس، حيث ساوى الإسلام بين
الحُرِّ والعبد، وقضى على تلك الفوارق الجنسية، التي كانت العرب تعتز بها،
فأصبح العبد لا يشعر بعبوديته.

وقضى - أيضاً - على بدعة «التبني» التي كان العرب غارقين فيها إلى
أذقانهم.

فكيف يصح يا ترى للإنسان أن يلصق ولداً ليس من صلبه؟ فيعطيه
حقوق «البنوة» في الميراث كباقي الأولاد، ولا يحق له أن يتزوج زوجته من
بعده؟!

٨ - وأما زينب:

هي بنت خزيمة الهلالية - رضي الله عنها - فقد كانت تحت عبيد بن
الحارث بن عبدالمطلب، قُتل عنها يوم «بدر» فتزوجها رسول الله ﷺ سنة
ثلاث، ولم تلبث إلا شهرين أو ثلاثة.

وتوفيت في حياته عليه الصلاة والسلام، ودُفنت بالقيع، وهي أخت
ميمونة لأُمها.

٩ - وأما ميمونة:

هي بنت الحارث الهلالية - رضي الله تعالى عنها - وهي خالة خالد بن
الوليد، وخالة عبد الله بن عباس.

وقد بلغت الستين من عمرها، حينما تزوجها عليه الصلاة والسلام.
ومكثت عنده عامين فقط.

فقد كانت قبلُ عند أبي رهم . تزوّجها رسولُ الله ﷺ ، لما كان مُعتمراً
سنة سبع ، بعد غزوة خيبر ، جعلتُ أمراً إلى العباس ، فأنكحها النبي ﷺ ؛
وهو مُحَرَّم^(١) ، فلما رجع بنى بها بسرف^(٢) حلالاً .

قال ابن إسحق : ويقال : إنها وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وذلك أن خطبته
عليه الصلاة والسلام انتهت إليها وهي على بغيرها ، فقالت : « البعير ومن
عليه لله ورسوله » .

وتُوفيت بسرف سنة إحدى وخمسين ، وصلى عليها ابن عباس ودخل
قبرها .

١٠ - وأما جويرية :

هي بنت الحارث - رضي الله تعالى عنها - وهي أرملة مسافع بن
صفوان المصطلق

وكان زوّجها هذا من أشد أعداء الإسلام والمسلمين ، وأكثرهم خصومةً
للسول ﷺ .

وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس الأنصاري ، في غزوة
المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس ، فكاتبته على نفسها ، ثم
جاءت رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ! أنا جويرية بنت الحارث ، وكان
من أمري ما لا يخفى عليك ! ووقعتُ في سهم ثابت ، وإني كاتبُ نفسي ،
فجئتُ أسألك في كتابتي . فقال عليه الصلاة والسلام :

(١) هذه خصوصية له عليه الصلاة والسلام ، فالعقد وقت الإحرام باطل غير صحيح .
(٢) سرف : بكسر الراء : موضع من مكة على عشرة أميال ، وقيل : أقل وأكثر ، حلالاً :
أي متحلاً من الإحرام .

«فَهَلْ لَكَ مَا هُوَ خَيْرُ؟».

قالت: وما هُوَ يا رسولَ الله؟ قال عليه الصلاة والسلام:
«أُودِي عَنْكَ كِتَابَتُكَ، وَأَتَزَوَّجُكَ».

قالت: قد فعلتُ. فتسامعَ الناسُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قد تزَوَّجَ جُويريةَ،
فأرسلوا ما في أيديهم من السَّبي، وأعتقوهم.

قالت عائشة: فما رأينا امرأةَ أعظمَ بركةً على قَوْمٍ منها!.

ولما رأى بَنُو المصْطَلِقِ هذا السُّمُو، وهذا العَفْوَ والكَرَمَ، أَسْلَمُوا
جميعاً، وآمنوا بالله ورَسُولِهِ، فكانت جُويريةُ - رضي الله تعالى عنها - أَيْمَنَ
امرأةً على قَوْمِهَا.

١١ - وأما صفية:

هي بنتُ حيٍّ - رضي الله تعالى عنها - فهي من سبطِ هارون عليه
السلام.

كانت تحتَ كنانةَ بنِ أَبِي الحَقِيقِ، قُتِلَ يومَ خيبر.

قال أنس: لما افتتح عليه الصلاة والسلام خيبرَ، وجمع السَّبيَ، جاءه
دحيةُ الكلبي فقال: يا رسولَ الله! أعطني جاريةً.

فقال: اذهب فخذ جاريةً. فأخذ دحية صفية بنتَ حيٍّ.

فجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله! أعطيت دحيةً صفيةَ سيدةَ
قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ، ما تصلحُ إلا لك.

قال: ادعوه بها، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذْ جاريةً
من السَّبي. وأعتقها، وتزَوَّجها ﷺ.

ولقد أحسنَ الرسول ﷺ إلى صفيةَ، وأكرمها، وتلطف بها، حتى
أصبحت تُفضُّله على أهلها وعشيرتها.

وقد خيّرَها عليه الصلاة والسلام قبلَ زواجِها، بين العتقِ واللّحاقِ
بأهلها، وبين افتراءِها بها!.

فاختارت الله ورسولَه، وأعلّنت إسلامَها، وأظهرت حبّها القديم
للإسلام، وتركت قومَها وعشيرَتَها.

وزوّاجَ الرسول ﷺ بهذه المرأة، يحملُ معه حكمةً عاليةً، لا يُدرِكُها
إلا من أنار الله قلبه!.

وماتت في رمضان سنة خمسَين في زمن معاوية، ودُفنت بالبقيع.
فهؤلاء أزواجه اللاتي دخلَ بهنّ، لا خلاف في ذلك بين أهل السيرة
والعلم.

رد شبهة:

قد يتسرّب لبعض النفوس المريضة، البعيدة عن الحضارة الإسلامية،
المصابة بعمى الجهل، أنه عليه الصلاة والسلام أكثر من الزوجات لأموٍر
شهوانية، وغايات نفسانية!.

نعم؛ جاءت هذه الشبهة من أسيادهم الصليبيين، أعداء الإسلام
والدين، ليضلّلوا المسلمين عن دينهم، ويوقعوا الشك في نبيهم....

أقول: لقد علّم الناس جميعاً، أن النبي عليه الصلاة والسلام، تراوحت
حياته الشريفة، بين فترتين من العمر:

١ - الفترة الأولى:

من سنّ الطفولة إلى أن بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة، وهذه
الفترة هي من أخطر ما يمرُّ على الإنسان.

وقد قَضَى عليه الصلاة والسلام هذه الفترة الأولى من حياته، عُنفوان الشباب، وأيام العزوبة: بطهر، وعَفَاف، وشَرَف، ونَزَاهة، وَقَدَاسَة...

ولم يستطع أحد من الناس، حتى مُخَاصِمُوهُ بعد النبوة؛ أن يأخذوا عليه هَفْوَةً، أو يذكروا له سَقَطَةً أو يَعُدُّوا عليه زَلَةً، أو حَادِثَةً وَاحِدَةً؛ كما تُؤْخَذُ عن غيره من الشباب في هذا السَّن، تَمَسُّ من كَرَامَتِهِ، أو تَحْطُّ من قَدْرِهِ.

بل كان عليه الصلاة والسلام، مُخْتَشِماً في سُلُوكِهِ، طَاهِراً في آدَابِهِ النَادِرَةِ بَيْنَ أَهْلِ عَصْرِهِ.

قَضَى عليه الصلاة والسلام خمساً وعشرين سنة من عُمرِهِ السَّعِيدِ، في هذا الْوَقَارِ وَالْإِحْتِشَامِ، الذي يَشْهَدُ بِهِ غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ.

راجع «رسالة زُوجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ» للأستاذ الصُّوَّاف ص (٨٥).

٢ - الفترة الثانية:

ثم أُتَتْ عليه الفترة الثانية من العمر، بعد الخامسة والعشرين، التي تَزَوَّجَ فيها بِخَدِيجَةَ - رضي الله عنها - التي كان عُمرُها أربعين.

ومكثَ معها سِتّاً وعشرين سنة، في أتم الإلفة والمحبة بين الزوجين الرؤومين! حتى دخل سنة إحدى وخمسين من العمر، فالتحقت خديجة بالرفيق الأعلى، وكان لوفاتها صدمة قاسية في نفسه عليه الصلاة والسلام.

ثم تَزَوَّجَ بِسَوْدَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنها - وهي المرأة الطائفة في السَّن، التي تُوفِّي عنها زَوْجُهَا الْمُؤْمِنُ، وأصبحت لا عَائِلَ لَهَا ولا مُعِينَ.

مكثَ معها ثلاث سنوات، فقد أَمْضَى من العمر أربعاً وخمسين، ودخل في سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ، وهو على ما هو عليه، مُقْتَصِراً على الزَّوْجَةِ الْوَاحِدَةِ.

فلَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَقَامَتِ الْحُرُوبُ عَلَى قَدَمِ سَاقٍ،
وَشَبَّ الْقِتَالُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ.

فَشَرَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِتَعْدَادِ الْأَزْوَاجِ، لِيَتَأَلَّفَ بِهَذِهِ الْمَصَاهِرَةِ
الْقَبَائِلَ، وَيُضْمَّ إِلَيْهِ الْأَيْتَامُ وَالْأَرَامِلُ، مِمَّنْ اسْتُشْهِدَ أَزْوَاجُهُمْ وَأَبَاؤُهُمْ فِي
تِلْكَ الْحُرُوبِ.

وَقَدْ كَتَبَ الْأُسْتَاذُ الصَّابُونِيُّ فِي كِتَابِهِ: «تَفْسِيرُ آيَاتِ الْأَحْكَامِ» (ج ٢
ص ٣١٨) تَحْتَ عُنْوَانٍ: «حِكْمَةُ تَعَدُّدِ زَوَاجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ»:

إِنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ «تَعَدُّدِ زَوَاجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ» كَثِيرَةٌ وَمَتَشَعِّبَةٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ
نُجْمِلَهَا فِيمَا يَلِي:

— أَوَّلًا: الْحِكْمَةُ التَّعْلِيمِيَّةُ.

— ثَانِيًا: الْحِكْمَةُ التَّشْرِيعِيَّةُ.

— ثَالثًا: الْحِكْمَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ.

— رَابِعًا: الْحِكْمَةُ السِّيَاسِيَّةُ.

فَأُسْهَبَ وَأُطْنِبَ، وَيَبَيَّنَ وَوَضَّحَ، ثُمَّ أَحَالَ الْقِرَاءَةَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى
الْمَصَادِرِ التَّالِيَةِ:

«الْقُرْطُبِيُّ» الْجُزْءُ الرَّابِعُ عَشَرَ.

«الْأَلُوسِيُّ» الْجُزْءُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ.

«أَحْكَامُ الْقُرْآنِ» لِابْنِ الْعَرَبِيِّ.

رِسَالَةُ «زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ الرَّسُولِ ﷺ» لِلْأُسْتَاذِ الصَّوَّافِ.

فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِ النَّبِيِّ زَوَاجَاتِهِ خَيْرًا.

سراريه عليه الصلاة والسلام أربعة:

١ - الأولى: مارية القبطية، أم إبراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية، وماتت في خلافة عمر - رضي الله تعالى عنهما - ودُفنت بالبقيع.

٢ - الثانية: رِيحانة القرظية. وماتت قبل وفاته عليه الصلاة والسلام ودُفنت بالبقيع.

٣ - الثالثة: التي وهبتها له عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش.

٤ - الرابعة: أصابها في بعض السبي.

أعمام رسول الله ﷺ أحد عشر:

الحارث، وهو أكبر أولاد عبدالمطلب وبه يُكنى، وقثم، والزبير، وحمزة، والعباس، وأبو طالب، وأبو لهب، وعبدالكعبة، وحُجُل، وضرار، والغيداق^(١).

وأما عماته عليه الصلاة والسلام فست وهن:

صفية، وعاتكة، وأميمة، وأم حكيم البيضاء، وبرّة، وأروى^(٢).

من شمائله عليه الصلاة والسلام:

كان رسول الله ﷺ: لا يذمُّ أحداً، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلَّم إلا فيما رجا ثوابه.

(١) أسلم منهم: حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سناً، لأنه رضيع رسول الله ﷺ،

ثم العباس قريب منه في السن، وهو الذي كان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطلب،

وكان أكبر سناً من رسول الله ﷺ بثلاث سنين «تهذيب الأسماء واللغات» (٢٧/١).

(٢) أسلمت عمته صفية «إجماعاً» وهي أم الزبير بن العوام.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعِذْرَاءِ فِي خِذْرِهَا^(١)، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا جَلَسَ بِالْمَجْلِسِ احْتَبَى^(٢) بِيَدَيْهِ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ نَزَعَ خَاتَمَهُ، وَإِذَا شَرِبَ تَنَفَّسَ خَارِجَ الْإِنَاءِ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي أُمُورِهِ، وَيُحِبُّ الْحُلُوءَ وَالْعَسَلَ وَالْقِثَاءَ، وَيَجْمَعُ الْقِثَاءَ مَعَ الرُّطَبِ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَخْزَنُ لِسَانَهُ عَنْ فَضُولِ الْكَلَامِ وَعَمَّا لَا يَعْنِي.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَلْبَسُ خَاتَمًا فِي يَمِينِهِ مِنْ فِضَّةٍ نَقَشَ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ».

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يُعْجِبُهُ الدُّبَاءُ، وَالذَّرَاعُ، وَيَعُودُ الْمَرْضَى، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَيُكَافِيءُ عَلَيْهَا، وَيُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلَاثًا، لَتَفْهَمَ مِنْهُ وَتُحْفَظَ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَبْيَضَ مَلِيحًا، كَأَنَّمَا صِغَ مِنْ فِضَّةٍ مُقَصَّدًا.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مُشْرَبًا لَوْنُهُ بِحَمْرَةٍ، أَسْوَدَ الْحَذَقَةِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَزْهَرَ اللَّوْنِ، كَأَن عِرْقَهُ اللَّوْلُؤُ.

(١) الْعِذْرَاءُ: الْبَنْتُ الْبَكْرُ. وَالْخَذْرُ: السُّتْرُ.

(٢) احْتَبَى الرَّجُلُ إِذَا جَمَعَ ظَهْرَهُ وَسَاقِيَهُ بِيَدَيْهِ. وَالْإِحْتِبَاءُ يَقُومُ مَقَامَ الْإِسْتِنَادِ إِلَى الْجِدَارِ.

كان رسول الله ﷺ : أفلج الشيتين ، إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه .

كان رسول الله ﷺ : ضخم الرأس واليدين ، والقدمين ، ضليع الفم .
كان رسول الله ﷺ : فخماً مفخماً ، يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر .
كان رسول الله ﷺ : واسع الجبين ، أزج الحواجب ، كث اللحية ، سهل الخدين .

كان رسول الله ﷺ : كلامه كلاماً فصلاً ، يفهمه كل من سمعه .
كان رسول الله ﷺ : وجهه مثل الشمس والقمر ، مستديراً .
كان رسول الله ﷺ : أحب الألوان إليه الخضرة ، وأحب التمر إليه العجوة .

كان رسول الله ﷺ : أحب الشراب إليه الحلو البارد .
كان رسول الله ﷺ : أحب الطعام إليه الثريد من الخبز ، والثريد من الحيس .

كان رسول الله ﷺ : أحب الفاكهة إليه الرطب والبطيخ ، وأحب اللحم إليه الكتف .

كان رسول الله ﷺ : أحب الدين إليه أدومه .
كان رسول الله ﷺ : إذا أتى بياكورة الثمرة وضعها على عينيه ، ثم على شفتيه ، وقال : « اللهم كما أريتنا أوله ، فأرنا آخره » ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان .

من مظاهر عفوه عليه الصلاة والسلام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة. فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه ﷺ فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال:

عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكِر، وإن كنت تُريد المال، فسَلْ تُعطَ منه ما شئت.

فتركه النبي ﷺ، حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك.

فتركه رسول الله ﷺ، حتى كان من الغد، فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟» قال: ما قلت لك.

فتركه رسول الله ﷺ، حتى كان من الغد، فقال:

«ماذا عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك، إن تُنعم تُنعم على شاكِر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تُريد المال، فسَلْ تُعطَ منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: أطلقوا ثمامة!

فذهب إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك! فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ!

والله، ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك!

فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ!

والله، ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ.

وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟
فبشره النبي ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل:
أصبوت؟ قال: لا، ولكنني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله! لا
يأتيكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن رسول الله ﷺ^(١).

قصة ركانة:

قال ابن إسحاق: كان ركانة أشد قريشاً. فخلا يوماً برسول الله ﷺ في
بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ:

«يا ركانة! ألا تتقي الله، وتقبل ما أدعوك إليه؟»
قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لا أتبعك! فقال رسول الله ﷺ:
«أفرايت إن صرعتك، أعلم أن ما أقول حق؟»
قال: نعم؛ قال: «فقم حتى أصارحك».

قال: فقام «ركانة» إليه فصارعه، فلما بطش به رسول الله ﷺ، أضجعه
حتى أصبح لا يملك من نفسه شيئاً! ثم قال: عذ يا محمد! فعاد فصرعه!
فقال: يا محمد - والله - إن هذا للعجب، أتصرعني؟!.

قال عليه الصلاة والسلام: «وأعجب من ذلك، إن شئت أريكه، إن
اتقيت الله واتبعت أمري».

قال: وما هو؟ قال: «أدعوك هذه الشجرة التي ترى فتأيني».

(١) رواه الثلاثة.

قال ركانة: فادعها! فدعاها - ﷺ - فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، فقال لها: «ارجعي إلى مكانك».

فرجعت إلى مكانها. قال: فذهب «ركانة» إلى قومه، فقال: يا بني عبدة مناف! ساجروا بصاحبكم أهل الأرض - فوالله - ما رأيت أسحر منه قط!! ثم أخبرهم بالذي رأي والذي صنع.

وفي رواية: أنه عليه الصلاة والسلام صارعه ثلاث مرات، كل مرة على مائة من الغنم، فلما كان في الثالثة، قال: يا محمد ما وضع ظهري أحد إلى الأرض قبلك، وما كان أحد أبغض إلي منك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. ورد الرسول عليه غنمه^(١).

والذي سند ذكره في صفحة [٧٧] من ذكريات حسنة عن «أبطال المسلمين» نقطة واحدة من بحر بطولته عليه الصلاة والسلام، فهو إمام الجميع، علماً وعملاً، أدباً وخلقاً، شجاعةً وكرماً؛ فصلوات الله وسلامه عليه، كلما ذكره ذاكر، وغفل عن ذكره غافل.

(١) البداية والنهاية: (١٠٣/٣).

أَبْطَالُ السِّلَامِينَ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ

عُمَرُ الْفَارُوقُ

سبب إسلامه، وموقفه من أخته:

حكى أن فاطمة بنت الخطاب - أخت عمر - أسلمت إسلاماً صحيحاً،
وأسلم معها زوجها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما خوفاً من عمر،
وكان خباب بن الارت - رضي الله عنه - يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب،
يقرئها القرآن.

عمر يريد قتل النبي ﷺ:

روى أن عمر خرج يوماً متوشحاً سيفه، يريد قتل رسول الله ﷺ ورهطاً
من أصحابه! فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من
أربعين من بين رجال ونساء^(١). فلقيه نعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا
عمر؟ قال: أريد «محمداً» هذا الصابي، الذي فرّق أمر قريش، وسفّه
أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله!

فقال له نعيم: - والله - لقد غرّتك نفسك يا عمر!

(١) كان هذا قبل أن يفرض الحجاب.

أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا؟
أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ! قَالَ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟ قَالَ:
خَتْنُكَ وَابْنُ عَمِّكَ، وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ، فَقَدْ - وَاللَّهِ - أَسْلَمَا وَتَابَعَا «مُحَمَّدًا» عَلَى
دِينِهِ، فَعَلَيْكَ بِهِمَا فَرُدَّهُمَا إِلَى دِينِهِمَا!!

عمر يضرب أخته ويُدْمِيهَا:
فَرَجَعَ عُمَرُ عَائِدًا إِلَى أُخْتِهِ فَاطِمَةَ، كَانَ عِنْدَهَا خَبَابُ بَنِي الْأَرْتِ، وَمَعَهُ
صَحِيفَةٌ مِنْ سُورَةِ «طه» يُقْرِئُهَا إِيَّاهَا.

فَلَمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، تَغَيَّبَ خَبَابٌ فِي مَخْدَعٍ مِنْ مَخَادِعِ الْبَيْتِ،
وَأُخْفِتْ فَاطِمَةُ الصَّحِيفَةَ...

وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ ذَنَا إِلَى الْبَابِ قِرَاءَةَ خَبَابٍ عَلَيْهَا.
فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ عُمَرُ: مَا هَذَا الَّذِي سَمِعْتُ؟ قَالَا لَهُ: مَا سَمِعْتَ شَيْئًا.
قَالَ: بَلَى - وَاللَّهِ - لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابِعْتُمَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ!
وَبَطِشَ بِخَتْنِهِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ! فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ لَتَكْفَهُ عَنْ زَوْجِهَا،
فَضْرَبَهَا فَشَجَّجَهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتْنُهُ:

أُخْتُ عُمَرَ تَجْهَرُ بِإِسْلَامِهَا:
نَعَمْ؛ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ!! فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ
مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ، نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ!
وَقَالَ لِأُخْتِهِ: أُعْطِنِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي كُنْتُمْ تَقْرَءُونَ، كَيْ أَنْظُرَ مَا
هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ؟ - وَكَانَ «عُمَرُ» كَاتِبًا.

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا، قَالَ: لَا تَخَافِي!
وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لِيَرُدَّنَّهَا إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا!

أخت عمر تطمع في إسلام عمر:

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت: يا أخي! إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسه إلا المطهرون...

فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها «طه» فقرأها، فلما قرأ منها صَدْرًا قال:

عمر يمدح القرآن:

ما أحسن هذا الكلام وأكرمَه؟! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: واللَّهِ يا عُمَرُ! إني لأرجو أن يكونَ اللهُ قد خصَّك بدعوة نبيه ﷺ، فإني سمعته أمس وهو يقول:

«اللهم أيدِ الإسلامَ بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب».

فَاللَّهِ اللهُ يا عُمَرُ! فقال عند ذلك: فذُلُّني يا خَبَّابُ على مُحَمَّدٍ حتى آتيه فأسلم.

فقال له خباب: هو في بيتٍ عند الصفا معه نفرٌ من أصحابه.

عمر يدخل على النبي ﷺ:

فأخذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثم عمَدَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه، فَضَرَبَ عليهم البابَ. فلما سَمِعُوا صَوْتَهُ قام رجلٌ من أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ، فنظر من خلال الباب؛ فإذا هو بعمر متوشَّح بالسَّيف! فرجع إلى رسولِ اللهِ ﷺ - وهو فرجٌ - فقال: يا رَسولَ اللهِ! هذا عُمَرُ بنُ الخطاب متوشَّحاً بالسَّيف!.

موقف حمزة أسد الله:

فقال حمزة عم رسول الله وأسد الله: فأذن له! فإن كان جاء يُريد خيراً بذلناه، وإن كان يُريد شراً قتلناه بسيفه.

الرسول يأذن لعمر بالدخول:

فقال رسول الله ﷺ: إيدن له.

فأذن له، فلما دخل نهض إليه رسول الله ﷺ، فأخذ بمجمع رداءه، ثم جذبته جذبة شديدة فقال:

«ما جاء بك يا ابن الخطاب؟! فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعة».

فقال عمر: يا رسول الله! جئتُك لأومن بالله ورسوله، وبما جاء من عند الله.

فكبر رسول الله ﷺ - تكبيرة عرف أهل البيت أن عمر قد أسلم.

أبو جهل يضرب الباب في وجه عمر!:

قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة، حتى آتته فأخبرته أنني قد أسلمت؟! قلت: أبو جهل.

فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابي، فخرج إلي أبو جهل فقال: مرحباً وأهلاً بابن أختي ما جاء بك؟.

قلت: مجئت لأخبرك أنني قد آمنت بالله ورسوله، وصدقتُ بما جاء! فضرب الباب في وجهي، وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به!!.

عمر يعلن إسلامه في مجمع من قريش :

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى ابن عمر ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : لما أسلم عمر قال : أي قريش أثقل للحديث ؟ ف قيل له :

جميل بن معمر الجمحي ، فغدا عليه ، قال عبدالله : وغدوت أتبع أثره ، وأنظر ما يفعل - وأنا غلام أعقل كل ما رأيت - حتى جاءه ، فقال له : أعلمت يا جميل أنني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ ؟ .

قال ابن عمر : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه ، واتبعه عمر ، واتبعته أنا ، حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلا صوته : يا معشر قريش ! ألا إن ابن الخطاب قد صبأ ؟ قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكني قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

وثأروا إليه ، فما برح يُقاتلهم ويُقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم ! .

كلمة عبدالله بن مسعود :

قال عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه :

« ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة » .

فضله :

روى ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال عمر : « وافقت ربي في

ثلاث :

١ - في مقام إبراهيم .

٢ - وفي الحِجَاب .

٣ - وفي أُسَارَى بَدْرٍ^(١) .

فإنه قال للنبي ﷺ وهم عند الكعبة: «لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى» فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(٢) .

وفي الحِجَاب: فإنه قال للنبي ﷺ:

«لَوْ أَمَرْتُ نِسَاءَكَ بِالْحِجَابِ، فَإِنَّهُ يَرَاهُنَّ الْبِرَّ وَالْفَاجِرُ»، فنزلت آية الحِجَاب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَلِكُمْ أَدْنَىٰ أَنْ يَعْرِفْنَ﴾^(٣) .

وفي أُسَارَى بَدْرٍ: فإنه أشار على النبي بقتلهم، وأشار أبو بكر بأخذ الفداء وتركهم. فأخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر، رغبة في الرحمة؛ فنزلت هذه الآية التي تحبذ رأي عمر:

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشِخَّرَ﴾^(٤) «فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ»^(٥) .

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ» .

(١) رواه الشيخان .

(٢) البقرة: ١٢٥ .

(٣) الأحزاب: ٥٩ .

(٤) الإثخان: القتل .

(٥) الأنفال: ٦٧ .

وقال ابنُ عمر رضي الله عنهما: ما نَزَلَ بالناس أمرٌ قطُّ، فقالوا فيه،
وقال فيه عمر؛ إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر.

فبلغت الأمور التي نزل القرآن، يُوافق رأيه فيها خمسة عشر أمراً؛
رضي الله عنه، وأرضاه عنا، ونفعنا به!

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:
«بيننا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر،
فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر. فذكرتُ غيرته فوليتُ مدبراً؛ فبكى
عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟»^(١).

عن عقبه بن عامر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:
«لو كان بعدي نبي، لكان عمر بن الخطاب»^(٢).

خوفه من الله تعالى:

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: لما طعن عمرُ
رضي الله عنه، دخلتُ عليه فقلتُ له: أبشِرْ يا أمير المؤمنين! فإن الله تعالى
قد مَصَّرَ بك الأمصار، ودفع بك النفاق، وأفشى بك الرُّزق...

قال رضي الله عنه: أفي الإمارة تُثني عليَّ يا ابنَ عباسٍ؟! فقلتُ: وفي
غيرها.

قال عمر: والذي نفسي بيده، لو دِدْتُ أني خرجتُ منها، كما دخلتُ
فيها؛ لا أجر، ولا وزرًا!

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه الترمذي.

وضعه التراب على رأسه :

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ، وَضَعَ عُمَرُ التَّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : مَا يَتَعَبُّ اللَّهُ بِعُمَرَ بَعْدَ هَذَا ! ! .

قال : فنزل جبريل عليه السلام من الغد ، على رسول الله ﷺ فقال : إن الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة ، رحمة لعمرًا .

تعهد العجوز :

رَوِيَ أَنَّهُ خَرَجَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ فَرَأَاهُ طَلْحَةُ ، فَذَهَبَ عُمَرُ فَدَخَلَ بَيْتًا ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتًا آخَرَ .

فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت ؛ فإذا بعجوز عمياء مُقْعَدَةٌ ! فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ، ويخرج عني الأذى ! .

فقال طلحة : ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ يَا طَلْحَةُ ! أَعَثَرَاتِ عُمَرَ تَتَّبِعُ ! .

نظيره للدنيا :

عن الحسن قال : مرَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَلَى مَرْبَلَةٍ فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا ، فَكَأَنَّ أَصْحَابَهُ تَأَذَّوْا بِهَا ؛ فَقَالَ :

«هذه دُنْيَاكُمْ الَّتِي تَحْرِصُونَ عَلَيْهَا» ! .

زهده فيها :

قَالَتْ حَفْصَةُ بِنْتُهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَوْ لَبِثْتَ ثَوْبًا هُوَ أَلْيَنُ مِنْ ثَوْبِكَ ! وَأَكَلْتَ طَعَامًا هُوَ أَطْيَبُ مِنْ طَعَامِكَ ! فَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ الرِّزْقَ ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْخَيْرِ .

فقال: إِنِّي سَأُخَاصِمُكَ إِلَى نَفْسِكَ؟ أَمَا تَذْكُرِينَ مَا كَانَ يَلْقَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ الْعِيشِ؟! فَمَا زَالَ يُذَكِّرُهَا حَتَّى أَبْكَاها... وقال لها: والله إن قلتُ ذلك، أَمَا وَاللَّهِ لَكُنِ اسْتَطَعْتُ لِأَشَارِكَنَّهِمَا بِمِثْلِ عَيْشِهِمَا الشَّدِيدِ، لَعَلِّي أُدْرِكُ مَعَهُمَا عَيْشَهُمَا الرِّخِي.

فرار الشيطان وخوفه من عمر:

رَوَى عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، يَسْأَلُهُ وَيَسْتَكْثِرُهُ، عَالِيَةٌ أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ!.

فلما أذن له تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ، فَدَخَلَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ.

فقال عمر: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ! مَا يَضْحَكُكَ؟.

فقال ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ!»..

فقال عمر: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! - يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي - كُنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبَنَّكَ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ فَقَالَ:

أَيُّ عَدُوَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ! أَتَهَبْنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ!.

قلن: نعم، أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ^(١) مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) تنبيه: هذا في علم البلاغة أفعل تفضيل على غير بابه؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ليس بفظ ولا غليظ؛ بل هو: ألطف الناس جانباً، وألينهم عريكة، وأحلامهم حديثاً.

فقال عليه الصلاة والسلام :

«إيها يا ابن الخطاب، فوالذي نفس محمد بيده، ما لقيك الشيطانُ سالكاً فجاً، إلا سلك فجاً غيرَ فجِكَ»^(١).

عامله :

حُكي أن عُمر بن الخطاب، استعمل سعيد بن عامر، وإلياً على جَمَص، فلما قَدِمَ عُمرُ رضي الله عنه زائراً جَمَصَ قال: يا أهل جَمَص! كيف وَجَدْتُمْ عاملَكُمْ؟ فَشَكَّوه إليه، قالوا: نَشَكَّوه أربعا:

١ - لا يَخْرُجُ إلينا حتى يتعالي النهار!

قال عُمرُ: أَعْظَمُ بها! قال: وماذا؟

٢ - قالوا: لا يُجِيبُ أحداً بَلِيلٍ!

قال: وَعَظِيمَةٌ! قال: وماذا؟

٣ - قالوا: وله يومٌ في الشهر، لا يَخْرُجُ فيه إلينا!

قال: : وَعَظِيمَةٌ! قال: وماذا؟

٤ - قالوا: يَغْنِظُ^(٣) الغِنْظَةَ بينَ الأيام.

فَجَمَعَ عُمرُ بينهم وبينه، ليحاكِمَه على هذه الخِصَالِ المشوِّهةِ لِسُفْهةِ الؤَلَاةِ! فلما اجتمع وإياهم في مجلس الحُكْمِ - والحاكِمُ عُمر.

(١) وفي رواية: «إيه يا ابن الخطاب» أي: كف عن مناقشتهم، فإنهن ضعيفات لا يقدرن عليك؛ لأن الشيطان ما لقيك في فج - أي طريق - إلا سلك غيره خوفاً منك؛ فكيف بالنسوة؟!.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) الغنظ: أشد الكرب والجهد. وقيل: هو أن يشرف على الموت من شدته.

فقال عمر رضي الله عنه: ما تشكون منه يا أهل حمص؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار.

قال سعيد رضي الله عنه:

والله يا أمير المؤمنين! إن كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم، فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم.

فقال عمر: ما تشكون منه يا أهل حمص؟

قالوا: لا يجيب أحداً بليل.

قال عمر: ما تقول يا سعيد؟

قال سعيد: إن كنت لأكره ذكره يا أمير المؤمنين! إني قد جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله سبحانه.

فقال عمر: ما تشكون منه أيضاً؟

قالوا: إن له يوماً في الشهر، لا يخرج إلينا فيه.

قال عمر: ما تقول يا سعيد؟

قال: يا أمير المؤمنين! ليس لي خادم يغسل ثيابي، وليس لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار.

قال عمر: ما تشكون منه أيضاً؟

قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام.

قال عمر: ما تقول يا سعيد؟

قال سعيد: شهدت مضرع خبيب الأنصاري بمكة، وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة فصلبوه عليها وقالوا: أتحب أن محمداً مكانك، وأنت في أهلك وولدك؟!.

فقال رضي الله عنه: والله ما أحبُّ أنِّي في أهلي وولدي، وأنَّ
مُحمداً ﷺ شَيْكٌ بِشَوْكَةٍ!.

فقال سعيد: ما ذَكَرْتُ ذلكَ اليومَ، وتَرَكِي نُصْرَتَهُ في تلكَ الحالِ - وأنا
مُشْرِكٌ لا أؤمنُ باللهِ العظيمِ - إلا ظننتُ أن الله عزَّ وجلَّ لا يَغْفِرُ لي بذلكَ
الذنبَ أبداً، فتُصَيِّني تلكَ الغِنْظَةُ.

فقال عُمر: الحمدُ لله الذي لم يُفْلِ فرَاسَتِي. فبعثَ إليه بألفِ دينارٍ
وقال: استعِنْ بها على أمرك!.

فقالت امرأتُهُ: الحمدُ لله الذي أغنانا عن خدمتك!.

فقال لها: فهل لكِ خيرٌ من ذلك؟ نَدْفَعُها إلى من يأتينا بها أَحْوجَ ما
نَكُونُ إليها.

قالت: نعم؛ فدعا رجلاً من أهل بيته يثق به، فصرَّها صُراً ثم قال:

انطلق بهذه إلى أرملة آلِ فلان، وبهذه إلى يَتِيمِ آلِ فلان، وبهذه إلى
مُسْكِينِ آلِ فلان، وبهذه إلى مُبْتَلَى آلِ فلان.

فبقيت منها ذُهيَّةٌ، فقال لأهله: أنفقي هذه!.

ثم عاد إلى عَمَلِهِ. فقالت له امرأته يوماً: ألا تَشْتَرِي لنا خادِماً! ما فَعَلَ
ذلكَ المالُ؟ فأجابها رضي الله عنه قائلاً:

سَيَاتِيكَ أَحْوجَ ما تَكُونِينَ إليه!.

من مظاهر عدله:

حُكِيَ أن ولداً من أولاد عَمْرُو بنِ العاصِ والي مصر، ضَرَبَ أحدَ
الأقباطِ بِسَوْطِهِ! فَشَكَا القبطِيُّ إلى أميرِ المؤمنينِ عَمْرِ الفاروق رضي الله تعالى
عنه.

فكتب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص، يأمره بالحضور مع ابنه.
ودعا القبطي، فلما اجتمعوا في مجلس الحكم، واعترف ابن عمرو
بتعديده على القبطي، وضربه بدون مبرر ولا سبب!
فناول أمير المؤمنين القبطي سوطه، وقال له:
«اضرب ابن الأكرمين». فانهال القبطي بالسوط عليه فضربه.
فقال عمر: أدركها على صلعة عمرو!
فقال القبطي: يا أمير المؤمنين! لقد ضربت من ضربني.
فقال عمر: والله، لو فعلت ما منعناك!
فإنه إنما ضرب بسُلطان أبيه؛ ثم التفت إلى عمرو وقال كلمته الخالدة:
«يَا عَمْرُو! مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتُمُ امْتِهَانُهُمْ حَرَارًا؟»

حمزة بن عبد المطلب أسد الله ورَسُولُهُ

كان حمزة - رضي الله عنه - قبل إسلامه، رجلاً يُحِبُّ الحياةَ ويُقبل عليها، يتمتع بملذاتها وشهواتها؛ وقد اجتمع له: المال، والجاه، والقوة! .
بينما كان ابنُ أخيه مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ حق الله تعالى، وحق عباده، وليس في دين الإسلام طَلَّاسِمٌ ولا غُمُوضٌ! .
ولا يستطيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَغْلُظَ الدينَ - مهما كان، ومن أين كان - لنفسه دون غيره.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١)

وإذا أراد الله أن يُكْرِمَ عَبْدًا، أَدْخَلَ نُورَ الْهِدَايَةِ فِي قَلْبِهِ .
وإنَّ سيدنا حَمْزَةَ مِنَ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ، حَتَّى بَدَأَ يَشْعُرُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يُعْلِنَ إِسْلَامَهُ لِلنَّاسِ .

وفي يومٍ من أيامِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ، أَرْسَلَتِ الشَّمْسُ أَشْعَثَهَا عَلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَإِنْ حُبَّ هَذَا الْبَيْتِ يَمَلَأُ قُلُوبَ الْجَمِيعِ .

(١) يوسف: ١٠٨ .

غير أن للمؤمنين - الذين آمنوا بالله ورسوله - نظرة خاصة لهذا البيت الحرام...

وكان الناس يطوفون بالكعبة المشرفة على حسب دينهم؟ فالمشركون يعبدون اللات والعزى، وغيرهما من الأصنام التي صنعوها بأيديهم!

والمؤمنون يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً، بعدما أرسل الله إليهم من أنقذهم من الكفر إلى الإيمان، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله رب العالمين، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وفي صبيحة كل يوم، يتمادى المشركون في إيصال الأذى إلى رسول الله ﷺ، وصحابته المستضعفين - رضوان الله عليهم أجمعين - وكان أشد المؤذنين لرسول الله ﷺ وصحابته، ذلك الطاغية الكبير أبو جهل لعنه الله!

فكان يتفنن مع المشركين في إيصال الأذى إلى الرسول الكريم ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم.

وفي ذات يوم، عاد حمزة رضي الله عنه من «قنصه»^(١) متوشحاً قوسه، وكان إذا رجع لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، - حرسها الله وزادها شرفاً - متحدثاً عن صيده مع خلقاتها!

وهناك اقتربت منه مولاة لعبد الله بن جدعان وقالت:

- وأذلاه يا بني عبد مناف! يا أبا عمارة! لو لقيت ما لقي ابن أخيك

(١) القنص محرقة: المصيد.

«مُحَمَّدٌ» من أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ^(١)! وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ! ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، وَلَمْ يُكَلِّمْهُ «مُحَمَّدٌ» - ﷺ - .

دفاعه عن رسول الله ﷺ :

وهنا غَضِبَ حمزةٌ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَاذَا فَعَلَ ابْنُ أَخِي حَتَّى يَلْقَى كُلَّ هَذَا؟ أَوْ لَيْسَ يَدْعُوهُمْ إِلَى خَيْرٍ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَا بَعْدَهَا؟ أَلَا إِنَّ أَمْرَ ابْنِ أَخِي لَحَقٌّ! .

فَفَكَّرَ فِي أَيَّامِهِ الْخَوَالِيِ الَّتِي قَضَاهَا حَيَاةً جَاهِلِيَّةً كُلُّهَا شَهَوَاتٌ، وَحُبُّ نَفْسٍ، وَإِعْرَاضٌ عَنِ الْإِلَهِ الْخَالِقِ - جَلُّ جَلَالُهُ - وَفَكَّرَ فِي ابْنِ أَخِيهِ - الصَّادِقِ الْأَمِينِ - وَكَلِمَاتِ اللَّهِ الْخَالِدَةِ، الَّتِي تَنْزِلُ عَلَيْهِ بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْفَيْئَةِ! .

فَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ، حَتَّى يَتِمَّكَنَ مِنْ أَدَاءِ دَعْوَتِهِ! .

فَذَهَبَ يَسْعَى يَبْحَثُ عَنْ أَبِي جَهْلٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَوَقَعَ بِصُرَّةٍ عَلَيْهِ وَهُوَ بَيْنَ الْقَوْمِ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ وَرَفَعَ قَوْسَهُ فَضَرَبَهُ بِهَا فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً! ثُمَّ صَاحَ فِيهِ: أَتَشْتِمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ! أَقُولُ مَا يَقُولُ، فَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ .

هُنَا أُصِيبَ أَبُو جَهْلٍ وَالْمَشْرُكُونَ بِصَاعِقَةٍ نَزَلَتْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، أَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَعْلَوُ شَأْنُ مُحَمَّدٍ، وَتَكْثُرُ جَمَاعَتُهُ؟! .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢) .

(١) كانت كنيته: أبا الحكم، وعندما أصر على الكفر - بعدما رأى المعجزات على يد رسول الله ﷺ - كناه الرسول ﷺ: أبا جهل .

(٢) الصف: ٨ .

فكانت الصدمة لأبي جهل، أقوى من الضرب والشج، الذي ناله من حمزة.

وأراد بعض المشركين أن ينتقم من حمزة المؤمن، دفاعاً عن زعيمهم أبي جهل!

فقال لهم أبو جهل: دَعُوا أبا عُمارة، فإني - والله - لقد سببتُ ابنَ أخيه سَبًّا قَبِيحاً!

وهكذا انتهت هذه المعركة، بين حمزة وأعداء الله!

لقد تلاشت قوة الكفر، بجانب النفس المؤمنة المظمنة بنصر الله جل جلاله.

الله أكبر! مَنْ يَجْرُؤُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَ أَبِي جَهْلٍ كلاماً يُزَعِّجُه، فكيف بمن يَضْرِبُه؟! ولكن الحقيقة الإيمانية هي التي تجعل من الإنسان قوة فوق قوته.

هكذا أدخل الله النورَ الإيماني في القلب الرحيم، الذي أنصف رسوله محمداً ﷺ، ثم رجع حمزة رضي الله عنه إلى بيته... ولكن ما له يُفَكِّر؟ وما الذي يشغل باله؟ كلمة حقٍ نطق بها على مرأى ومسمع المشركين...

ولكن للإنسان شيطاناً يُوسوس له، فأتاه بصورة رجلٍ ناصح وقال له: أَنْتَ سَيِّدُ قَرِيشٍ، اتبعتَ هذا الصَّابِيءَ وتركتَ دينَ آبائِكَ! لَلْمَوْتُ خَيْرٌ لَكَ مما صَنَعْتَ!

ويُقبِلُ حمزة المؤمن على نفسه يقول: ما صَنَعْتُ؟ اللهم إن كان رُشْداً فاجعل تَصْديقَه في قلبي! وإلا فاجعل لي مما وَقَعْتُ فيه مَخْرَجاً... ويسكُت، وتُحدِّثُه نفسه مرةً أخرى:

إن عند صاحب الدين المؤنة الصادقة في أمره.

وينطلق إلى صاحب الدين . . . ويقف بباب «رسول الله» ﷺ خاشعاً . . .
ما لهذا النور في عيني هذا الرجل ، يقذف في قلب عمه المؤمن ، فلا
يستطيع الذي يراه إلا أن يُدْعِن بأنه مدد من السماء . . . من الله رب
العالمين . . . الذي ألهمه الإيمان قبل أن يفكر هو فيه ! سبحانك ربّي ما أعظمك .

وأقبل حمزة رضي الله عنه يروي القصة على الرسول الكريم ! .

- يا ابن أخي ! إني قد وقعت في أمر ، ولا أعرف المخرج منه ، وإقامة
مثلي على ما لا أدري ما هو ؟ أرشد أم غي ؟ .

فحدثني حديثاً . . . فقد رغبت أن تحدثني ! .

وأقبل رسول الله ﷺ يعظه ويذكره ، ويخوفه ويبشّره .

فيسمع حمزة كلام الرسول الصادق المصدوق ، ﷺ ، فيبكي . . .
ويبكي . . . يبكي على أيامه الخوالي من الإيمان .

حمزة يعلن إسلامه :

. . . ويدخل السرور إلى قلب سيدنا «محمد» ﷺ ، عندما أعلنها حمزة
مُخْلِصَةً : «أشهد أنك صادق ، شهادة الصدق ، فأظهر يا ابن أخي دينك ،
فوالله ما أحب أن لي ما أظلمته السماء وأنا على ديني الأول !» .

وأشدد رضي الله عنه حين أسلم أبياتا :

حَمَدْتُ اللَّهَ حِينَ هَدَى فَوَادِي	إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِدَيْنِ الْحَنِيفِ
لِدَيْنٍ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ	خَيْرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفِ
إِذَا تَلَيْتُ رَسَائِلُهُ عَلَيْنَا	تَحْدَرُ دَمْعُ ذِي اللَّبِّ الْحَصِيفِ
رَسَائِلُ جَاءَ أَحْمَدُ مِنْ هُدَاهَا	بِآيَاتِ مُبَيَّنَةِ الْحُرُوفِ

رؤيته لجبريل عليه السلام:

وَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ بِإِيمَانِ حَمْزَةٍ، وَانْخَذَلَ الْمُشْرِكُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِإِيمَانِ هَذَا
البطل!

وبعدما اطمئن قلبه بالإيمان، وبدأ يحضر مجالس النبي ﷺ ليتفقه في
دين الله...

وفي ذات يوم، خَظَرَ عَلَى بَالِهِ أَنْ يَرَى أَمِينَ الْوَحْيِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ
السلام.

فَطَلَبَ مِنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يُرِيَهُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
فَقَالَ لَهُ ﷺ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَاهُ».

فَقَالَ حَمْزَةُ: بَلَى! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَاقْعُدْ مَكَانَكَ!».

قال؛ فنزل جبريل عليه السلام على خَشَبَةٍ فِي الْكَعْبَةِ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ
يَضَعُونَ ثِيَابَهُمْ عَلَيْهَا إِذَا طَافُوا بِالْبَيْتِ!

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْفَعْ طَرْفَكَ»، فَنَظَرَ فَإِذَا قَدَمَاهُ مِثْلَ الزَّبْرِجَدِ
الْأَخْضَرِ، فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ!

جهاده في سبيل الله:

كان حمزة رضي الله عنه، حريصاً على الدِّفاعِ عَنِ دِينِ اللَّهِ، فَتَرَاهُ يَبْذُلُ
نَفْسَهُ رَخيصةً لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ.

فبعد أن هاجر الصحابة رضوان الله عليهم، من مكة المكرمة إلى
المدينة المنورة - برسولها ﷺ - كان من جُمْلَةِ الْمُهَاجِرِينَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، فَمَا أَنْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى «بَدْرٍ» مَعَ قَلِيلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، كَانَ حَمْزَةُ
مِنَ الْمُرَافِقِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَمَا وَقَعَتِ الْمَعْرَكَةُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي

«بَدْر» - وكانت غيرَ مُتَوَقَّعة - انطلق البطلُ الهمام «حمزة» يُقاتِلُ بسيفين، فأبلى بلاءً حسناً، وكانت همتهُ عالية، فسماه رسولُ الله ﷺ: «أَسَدَ اللَّهِ، وَأَسَدَ رَسُولِهِ» ﷺ، ودارت دَوْرَةُ العام، ووقعت غَزْوَةُ «أُحُد».

البطل الشهيد في أُحُد:

انتصر المسلمون في «أُحُد» قبل أن يُخَالِفَ الرُّمَاءُ عن أمر رسولِ الله ﷺ، ذلك أنهم رأوا إخوانهم قد انتصروا، وانهزم أعداءُ الله!!.

وبدأ المسلمون بجمع الغنائم ونَزَلَ الرُّمَاءُ، وظنَّ بعضهم أن الأمر قد انتهى! فكَرَّرَ عليهم خالد بنُ الوليد - وكان يومئذ مُشْرِكاً - فانقلب الجيش الإسلامي يَواجه المعركة من جديد، فتشتت صُفُوفُ المسلمين وفرَّ بعضهم. ولكن رسولُ الله ﷺ ثَبَتَ في مكانه وهو يقول: «هَلُمُّوا إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ!».

وبدأ يضرب المشركين، فالتَفَّ حوله - ﷺ - الصُّحَابَةُ ومن بينهم حمزة، فقاتلَ المشركين قتالَ الأبطال، حتى قَتَلَ منهم واحداً وثلاثين مُشْرِكاً في يوم واحد!.

وهنا لا يستطيعُ القلم أن يَكْتُبَ عن قِصَّةِ الغَدْرِ، التي أحاطتُ بسيدنا حمزة رضي الله عنه، إلا أن يمرَّ على الموضوع مرورَ الذي رأى ما يكرهه وهو يسير!.

نُحْيِي بطلاً جليلاً، نحمي عَمَّ رسولِ الله ﷺ وصاحبَه، الذي بقي يُدافع عن الإسلام دفاعَ مَنْ لا يخاف الموتَ، حتى أَكْرَمَهُ الله بالشَّهادة في سبيله، التي هي أُمْنِيَةُ الشَّبابِ المُسلم، الذي يعرف قَدْرَ الشَّهيد ومَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: فقد رسول الله ﷺ يوم «أحد» حمزة - رضي الله عنه - حين فاء الناس من القتال . . .

فقال رجل: رأيت عند تلك الشجرة وهو يقول: أنا أسد الله، وأسد رسوله، اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني الكفار - وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء - من اجتهدهم الخاطيء - فسار رسول الله ﷺ نحوه، فلما رأى جبهته بكى، ولما رأى ما مثل به شق، ثم قال: ألا كفن؟ فقام رجل من الأنصار فرمى بثوب! . . .

قال جابر رضي الله عنه: فقال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة: حمزة».

زهده حياً وميتاً:

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: لقد رأيت حمزة رضي الله عنه، وما وجدنا له ثوباً نكفنه فيه غير بردة!

إذا غطينا بها رجله خرج رأسه، وإذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، فغطينا رأسه ووضعنا على رجله الإذخر^(١)!

دفن سيدنا حمزة بن عبدالمطلب، وابن أخته عبد الله بن جحش، في قبر واحد عند جبل «أحد» وقبره مشهور يُزار.

فرضي الله عنك يا عم رسول الله ﷺ!، لقد جاهدت في الله حق جهاده، وبذلت نفسك رخيصة في سبيل نصر الدين الحنيف؛ الذي لولاه لَكُنَّا في ضلالة ضلأ، وجهالة عمياء!

(١) الإذخر: الحشيش الأخضر، حشيش طيب الريح.

رَضِيَ اللهُ عَنْكَ يَا أَسَدَ اللهِ وَرَسُولَهُ ! لَقَدْ عَلَّمْتَنَا كَيْفَ تَكُونُ التَّضَحُّيَةُ
فِي سَبِيلِ اللهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ ! .

رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ، وَحَشَرْنَا مَعَكَ فِي زُمْرَةِ الْمُجَاهِدِينَ
الصَّادِقِينَ، تَحْتَ لَوَاءِ ابْنِ أَخِيكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ... آمِينَ .. آمِينَ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

مَوْجِزٌ مِنْ حَيَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ :

لَقَبُهُ : أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ ﷺ .

اسْمُهُ : حَمْزَةُ .

نَسَبُهُ : ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، بْنِ هَاشِمٍ، بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، بْنِ قُصَيٍّ . أُمُّهُ هَالَةُ
بِنْتُ وَهَيْبٍ، ابْنَةُ عَبْدِ مَنَافٍ، ابْنَةُ زُهْرَةَ، ابْنَةُ كِلَابٍ، ابْنَةُ مُرَّةٍ .

كُنْيَتُهُ : كَانَ يُكْنَى أَبُو عُمَارَةَ، وَقِيلَ : كَانَ يُكْنَى أَبُو يَعْلَى .

أَوْلَادُهُ أَرْبَعَةٌ :

١ - يَعْلَى .

٢ - عَامِرُ .

٣ - عُمَارَةُ .

٤ - أُمَامَةُ .

أَزْوَاجُهُ :

١ - بِنْتُ الْمَلَّةِ بْنِ سَالِكٍ ؛ وَلَدَتْ لَهُ : يَعْلَى وَعَامِرُ .

٢ - خَوْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ ؛ وَلَدَتْ لَهُ : عُمَارَةُ .

٣ - سَلْمَى بِنْتُ عُمَيْسٍ ؛ وَلَدَتْ لَهُ : أُمَامَةُ .

أحفاده:

كان لابنه يعلى أولاد: عُمارة، والفضل، والزبير، وعقيل، ومحمد،
درجوا^(١) فلم يبقَ لسيدنا حمزة ولد ولا عقب.

عمره:

كان رضي الله عنه أَسَنُّ من رسول الله ﷺ بستين، وقيل: بأربع.
إسلامه: أسلم رضي الله عنه في السنة الثانية من مبعث
رسول الله ﷺ.

هجرته: هاجر رضي الله عنه إلى المدينة.

جهاده: شهد بدرًا، وبارز وأبلى فيها بلاءً عظيمًا، وقاتل بسيفين!
استشهاده: نال بُغيته التي هي الشهادة في سبيل الله يوم «أُحد» في
نصف شوال، من السنة الثالثة من الهجرة، بعد أن قتل واحدًا وثلاثين من
الكُفار.

مدفنه: دُفِنَ عند جبل «أُحد» مع عبد الله بن جحش في قبر واحد.
وحمزة خالُ عبد الله بن جحش، وقبره مشهور يُزار.

والذين نزلوا قبره أربعة:

- ١ - أبو بكر الصديق.
- ٢ - عمر بن الخطاب.
- ٣ - علي بن أبي طالب.
- ٤ - الزبير بن العوام، رضي الله تعالى عنهم.

(١) درج من باب دخل: واندرج أي: مات.

ورسول الله ﷺ جالس على حفرتة، ويقول: «رأيت الملائكة تغسل حمزة»^(١). لأنه كان جنباً ذلك اليوم!

(١) روى محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قُتل حمزة بن عبدالمطلب جنباً، فقال رسول الله ﷺ: «غسلته الملائكة» أخرجه الحاكم في مستدركه وقال: «صحيح الإسناد». «السنن الكبرى» للبيهقي: (١٥/٤).

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ حَبْرُ الْأُمَّةِ

ولادته:

ولد عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولما توفي رسول الله ﷺ، والتحق بالرفيق الأعلى، كان له من العمر ثلاث عشرة سنة فحسب.

ولما وضعت أمه، أتت به النبي ﷺ، فحنكه، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ودعا له.

نشأته:

فما فتح الغلام أجفانه، ودخل في سن التمييز، حتى درج مدارج الكملة من الرجال، ممن يُقدِّرون قَدْرَ العلم..

فلازم رسول الله ﷺ، ملازمة العين لأختها، في الحضر والسفر، قام بخدمته، حقَّ القيام، يعدُّ له ماءً وضوءه، ويكون رديفه إذا ركب، وجليسه إذا جلس، ومأمومه إذا صَلَّى.

وقد وصل حبه شغاف قلبه، وتغلغل جميع ذراته، فأذهله عما درج عليه أترابه، من حبِّ اللعب واللهو.

دعاء النبي ﷺ له :

قال ابن عباس : أعددتُ مرّةً ماءً ووضوءَ رسولِ الله ﷺ ، بدون طلبٍ ، فسُرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ ، ولما قام إلى الصلاة ، رغب أن أكون في جانبه ، فوقفت خلفه ، فلما انصرف من صلاته ، قال : ما منعك أن تكون بإزائي ؟ .

فما كان سرعانُ أن قال : أنت أجل وأعظم يا رسول الله ! من أن أوازيك ، فرفع يديه إلى السماء وقال : «اللهم آتِه الحكمة» .

وقد استجاب الله دعوة نبيه ، حتى تفوّق على أساطين الحكماء والعلماء . وعن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهم - قال : ضمني رسولُ الله ﷺ ثم قال : «اللهم علِّمه الحكمة» .

وفي رواية :

ووضع يده على صدره ، فوجدَ الغلامُ برّدها في ظهره ، ثم قال : «اللهم احشُ جوفه حكماً وعِلماً» .

وفي رواية :

«اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل» .

لقبَ بترجمان القرآن ، لكثرة معرفته من معانيه . وكان يُسمى بحراً ، لغزارة علمه .

ما رواه من الأحاديث : لقد حمل الغلام مع حداثة سنه ، في جعبته للأجيال القادمة بعده ، ما لم يحمله جُلُّ الصحابة ، لقد حمل سِفرًا كبيراً من الأحاديث المتفق على صحتها ، قد بلغت ألفاً وستمائة وستين حديثاً ، أثبتها البخاري ، ومسلم ، في كتابيهما .

تعلمه العلم وتعليمه :

وهكذا دأب ابن عباس من نعومة أظفاره، على طلب العلم وحب العلماء، حتى بلغ مبلغاً أدهش عقول الفحول من الرجال، ولما اكتمل في الطلب، وأتم تحصيله: تحول إلى معلم كبير، ومربٍّ عظيم.

فأقبل الناس عليه إقبال الظامىء على المورد العذب، حتى أصبح بيته جامعةً ثقافيةً وعلم، فيها ما تشتهيهِ الأنفسُ مما لذ وطاب...

شهادة بعض الصحابة له :

قال أحد الأصحاب: لقد رأيتُ من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش افتخرت به، لَحُقَّ لها أن تفتخر، نعم؛ لقد رأيتُ الناس زرافاتٍ ووحداناً، قد غصَّ الطريقُ الموصلةُ إلى بيته، حتى ضاقت بهم السبلُ، وسدوها على المارين... فدخلت عليه وأخبرته بتلك الحشود.

فقال لي: ضع لي وَضوءاً، فتوضأ وجلس، وقال: أخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه، فليدخل.

فخرجت فقلتُ لهم: فدخلوا حتى ملؤا البيت، فما سألوه عن شيءٍ إلا وأخبرهم به وزادهم.

ثم قال: افسحوا الطريقَ لإخوانكم، ثم قال: أخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله، فليدخل.

فخرجت فقلتُ لهم: فدخلوا حتى ملؤا الحُجرة، فما سألوه عن شيءٍ إلا وأخبرهم وزادهم!

ثم قال: افسحوا لإخوانكم...

وهكذا حتى ذكر الفرائض، والشعر، وعلم العربية، وغير ذلك...

تقديم عُمر له :

قال علماء السيرة والتاريخ : لقد غدا ابنُ عباس بفضل علمه ، ورجاحة عقله ، مستشاراً للخليفة العادل - مع حداثة سنه - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ! فكان إذا استصعب عليه أمر ، أو واجهته مشكلة ، دعا جُل الصحابة ومن بينهم ابنُ عباس .

وقد عُوتِبَ مرةً في تقديمه ، وجعل في صفِّ الشيوخ ! فأجاب رضي الله عنه قائلاً : **إِنَّهُ فَنَى الْكُهُولَ ، لَهُ لِسَانُ سَوَّلٍ ، وَقَلْبُ عَقُولٍ .**
وصية أبيه له :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال لي أبي :

أي بني ! إني أرى أمير المؤمنين يدعوك ، ويُقربك ويستشيرك ، مع أصحاب رسول الله ﷺ ، فاحفظ عني ثلاث خصال :

- ١ - لا يُجربنَّ عليك كذبة .
- ٢ - ولا تُفشينَّ له سراً .
- ٣ - ولا تغتابنَّ عنده أحداً .

قال عامر الشعبي : كل واحدة خير من ألف .

قال ابن عباس : كل واحدة خير من عشرة آلاف .

حكيمته وحكمه :

عن الضحاك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

من قال : بسم الله ، فقد ذكر الله .

ومن قال : الحمد لله ، فقد شكر الله .

ومن قال : الله أكبر ، فقد عظم الله .

ومن قال : لا إله إلا الله ، فقد وحد الله .

ومن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقد أسلم واستسلم، وكان له بها كنز في الجنة.

وقال رضي الله تعالى عنه مخاطباً أرباب المعاصي، بعبارات تُسيل الدمع الهتون:

يا صاحب الذنب! لا تأمن من عاقبة ذنبك، واعلم أن ما يتبع الذنب أعظم من الذنب نفسه، فإنَّ عدم استحيائك ممن على يمينك، وعلى شمالك، وأنت تقترب الذنب لا يقل عن الذنب.

وإن ضحكك عند الذنب، وأنت لا تدري ما الله صانع بك، أعظم من الذنب!

وإن فرحك بالذنب إذا ظفرت به، أعظم من الذنب!

وإن حزنك على الذنب إذا فاتك، أعظم من الذنب!

وإن خوفك من الريح إذا حرك سترك، وأنت ترتكب الذنب، مع كونك لا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك، أعظم من الذنب!

يا صاحب الذنب! أتدري ما كان ذنبُ أيوب، حين ابتلاه الله بجسده وماله؟

إنما كان ذنبه أنه استغاث به مسكين ليدفع عنه الظلم، فلم يُعنه!

شمائله رضي الله تعالى عنه:

وكان ابن عباس من أجمل الناس شكلاً في عين مُجتليه، وأفصحهم لساناً في نظر محدثيه، وأعلمهم علماً لمناظره، وجمع إلى هذا خشية الله تعالى، والخوف منه، حتى خدَّ الدمع على خديه الأسيلين وأثر.

وأكرمه الله بشرف الصحبة، وشرف النسب، وشرف العلم، فقلما
تجتمع هذه في إنسان.

وكان حكيماً عليمًا، قسيماً وسيماً مُحَبِّباً، أعطى للخاصة من الناس ما
يرومونه، ولم يضيع حق العامة؛ بل جعل لهم مجلساً يعظهم فيه، ويذكر لهم
من الرقائق، ما يُزهدهم في الدنيا، ويرغبهم في العقبى. وكان إذا أمر،
يكون أول المطبّقين، وإذا نهى، يكون أول المنكفين، لن يعلو علمه عمله؛
بل كانا كفرسي رهان.

وفاته:

توفي رضي الله عنه في الطائف، ودفن بها، وقبره مشهور يزار، وهو
ابن إحدى وسبعين سنة.

ولما وضع ليُصلّى عليه، جاء طائر أبيض، فدخل في كفه، فالتمس
فلم يوجد! فلما أهيل عليه التراب، سمع من يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي
عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ١٠ ﴾.

وصلّى عليه محمد بن الحنفية، والبقية الباقية من الصحابة، وجُلّة
التابعين.

ولما بلغ جابر بن عبد الله خبر وفاته، ضرب بإحدى يديه على الأخرى
وقال: «مات أعلم الناس، وأحلم الناس»^(٢).

(١) الفجر: ٢٧ - ٣٠.

(٢) انظر كتاب: «صور من حياة الصحابة»، للأستاذ عبدالرحمن باشا.

عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ

دخوله في الإسلام:

قال عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه: ما أسلمتُ ابتداءً إلا حياءً من رسول الله ﷺ، لكثرة ما يكون يعرض عليَّ الإسلام، دون أن يستقر في قلبي، حتى نزلت آية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

وكنْتُ عنده ﷺ، فاستقرَّ الإيمانُ في قلبي.

الوليد بن المغيرة يمدح القرآن:

قال عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه: فقرأتُ هذه الآية على الوليد بن المغيرة إلى آخرها، فقال: يا ابن أخي أعد! فأعدتُ عليه قراءتها، فقال: والله إنَّ له لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّ أصله لمورقٌ، وإنَّ أعلاه لمثمرٌ، وما هو بقولٍ بشر!

عثمان وزوجه:

حدثنا شريك، عن أبي إسحق السبيعي قال: دخلتُ امرأة عثمان بن مظعون، على نساء النبي ﷺ، سيئة الهيئة، في أخلاق لها - أي أثواب رثة - فقلن لها: ما لك؟ قالت: أمّا الليلُ فقائم، وأمّا النهار فصائم!!

(١) النحل: ٩٠.

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهَا؛ فَلَقِيَ عَثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، فَلَامَهُ! فَقَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

«أَمَا لَكَ بِي أُسْوَةٌ؟»
قَالَ: بَلَى، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ!
فَجَاءَتْ بَعْدُ حَسَنَةُ الْهَيْئَةِ، طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ!

زهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

رُوي أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا الْمَسْجِدَ، وَعَلَيْهِ نَمِرَةٌ قَدْ تَخَلَّتْ، فَرَفَعَهَا بِقِطْعَةٍ مِنْ
فَرُوءَةٍ، فَفَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَقَّ أَصْحَابُهُ لِرَقَّتِهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

«كَيْفَ أَنْتُمْ يَوْمَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ، وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى، وَتَوَضَّعُ بَيْنَ
يَدَيْهِ قِصْعَةً، وَتُرْفَعُ أُخْرَى، وَتُسْتَرَّتْ الْبَيْتُ كَمَا تُسْتَرُّ الْكَعْبَةُ؟»

قَالُوا: وَدِدْنَا أَنْ ذَلِكَ قَدْ كَانَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَحْبَبْنَا الرِّخَاءَ وَالْعَيْشَ. قَالَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

«فَإِنَّ ذَلِكَ لَكَاثِنٌ، وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ».

تَقْبِيلُ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَبْلَ
عَثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ».

وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَكَبَّ عَلَيْهِ يُقَبِّلُهُ وَيَقُولُ:

«رَحِمَكَ اللَّهُ يَا عَثْمَانُ! مَا أَصَبْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا أَصَابَتْ مِنْكَ».

جُرِّي عَمَلُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ :

عن الزهري ، عن خارجة بن زيد ، عن أم العلاء قالت : تُوفِّي عثمان بن مظعون في دارنا ، فلما نمتُ رأيتُ عينا تجري لعثمان بن مظعون ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « ذَلِكَ عَمَلُهُ » .

رِثَاءُ زَوْجِهِ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بَدْمَعٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ^(١)

على رَزِيَّةٍ^(٢) عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ
على امرئٍ باتَ في رِضْوَانِ خَالِقِهِ
طُوبَى لَهُ مِنْ فَقِيدِ الشَّخْصِ مَذْفُونٍ
وَأُورِثَ الْقَلْبَ حُزْناً لَا انْقِطَاعَ لَهُ

حَتَّى الْمَمَاتِ فَمَا تَرَقَّأ^(٣) لَهُ شُؤْنِي

شَهَادَةُ الرَّسُولِ لَهُ :

عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما تُوفِّي عثمان بن مظعون ، قالت امرأته : يا رسول الله ! فارسك وصاحبك ، وكان يُعَدُّ من خيارهم .

فلما تُوفيت رُقِيَّةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ ، قال عليه الصلاة والسلام :
« الْحَقِّي بِسَلَفِنَا الْخَيْرِ ، عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ » .

(١) ممنون : أي مقطوع . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ .

(٢) الرزية : المصيبة .

(٣) ترقأ : تنقطع . شوني : أصلها شؤوني : أي دمرعي .

وعن زيد بن أسلم قال: هلك عثمان بن مظعون، فأمر رسول الله ﷺ بجهازه، فلما وُضع في قبره قالت امرأته: هنيئاً لك - أبا السائب - الجنة.

فقال رسول الله ﷺ: «وما علمك بذلك؟».

قالت: كان يا رسول الله! يصوم النهار، ويصلي الليل، قال:

«بحسبك لو قلت: كان يحب الله ورسوله».

دخوله بجوار الوليد:

عن ابن شهاب الزهري قال: كانت الحبشة متجراً لقريش، يجدون فيها رفقا من الرزق وأماناً، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه، فانطلق إليها عامتهم حين قهروا وتخوفوا من الفتن، فخرجوا وأميرهم «عثمان بن مظعون» فمكث هو وأصحابه بأرض الحبشة حتى أنزلت سورة ﴿والنجم﴾ وكان عثمان بن مظعون وأصحابه ممن رجع، فلا يستطيعون أن يدخلوا مكة، حين بلغهم شدة المشركين على المسلمين إلا بجوار، فأجار الوليد بن المغيرة عثمان بن مظعون.

رد جواره على الوليد بن المغيرة!:

لما رأى عثمان ما في أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة!.

قال: والله إن غدوي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي.

فمشى إلى الوليد فقال له: وفئت ذمتك، قد رددت إليك جوارك.

قال: لم يا ابن أخي؟! لعله آذاك أحد من قومي؟!.

قال: لا، ولكنني أرضى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير
بغيره.

قال: فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جوارى علانية؛ كما أجزتكَ
علانية. قال: فانطلقا، ثم خرجا حتى أتيا المسجد.

فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد عليّ جوارى.

قال لهم: قد صدق، قد وجدته وفياً كريماً الجوار؛ ولكنني أحببت أن لا
أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره!

موقفه مع وليد الشاعر:

ثم انصرف عثمان ووليد في المجلس من قریش، ينشدهم - يعني
الشعر - فجلس معهم عثمان.

فقال وليد وهو ينشدهم:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ. فقال عثمان: صدقت.

فقال وليد: وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ.

فقال عثمان: كَذِبْتَ؛ نَعِيمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ.

قال وليد: يا معشر قریش!! - والله - ما كان يُؤذِي جَلِيسُكُمْ، فمتى
حدث فيكم هذا؟ فقام رجل من القوم فقال: إن هذا سفيه في سفهاء معه،
فقد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله!

فرد عليه عثمان حتى عظم أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه
فخضرها.

والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان؛ فقال: أما والله يا ابن
أخي! إن كانت عينك عما أصابها لغنيّة، لقد كنت في ذمّة منيعة.

عزته بالله تعالى :

فقال عثمان : بلى - والله - إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب
أختها في الله ! وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر .

وأشاد عثمان قائلاً :

فإن تك عيني في رضا الرب نالها

يَـدَا مُلْجِدٍ فِي الدِّينِ لَيْسَ بِمَهْتَدٍ
فَقَدْ عَوَّضَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا ثَوَابَهُ
وَمَنْ يُرْضِهِ الرَّحْمَنُ يَا قَوْمَ يَسْعَدِ
فِيَّ إِنِّي وَإِنْ قُلْتُمْ غَوِي مُضِلُّ
سَفِيهَةٌ عَلَى دِينِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ
أَرِيدُ بِذَلِكَ اللَّهَ وَالْحَقَّ دِينَنَا
عَلَى رَغَمٍ مِنْ يَبْغِي عَلَيْنَا وَيَعْتَدِي

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه راثياً عين عثمان :

أَمِنْ تَذَكُّرِ دَهْرٍ غَيْرِ مَأْمُونٍ
أَصْبَحْتَ مُكْتَبِيباً تَبْكِي كَمَحْزُونٍ
أَمِنْ تَذَكُّرِ أَقْوَامٍ ذَوِي سَفَهٍ^(١)
يَغْشَوْنَ بِالظُّلْمِ مَنْ يَدْعُو إِلَى الدِّينِ
لَا يَنْتَهُوْنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ مَا سَلِمُوا
وَالْعُدْرُ فِيهِمْ سَبِيلُ غَيْرِ مَأْمُونٍ

(١) السفه : ضد الحام ، وأصله : الخفة والحركة .

أَلَا تَسْرَوْنَ - أَقَلُّ اللَّهِ خَيْرَهُمْ
 أَنَّا غَضِبْنَا لَعْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ
 إِذْ يَلْطَمُونَ وَلَا يَخْشَوْنَ مَقْلَتَهُ
 طَعْنًا دَرَاكًا وَضَرْبًا غَيْرَ مَأْفُونٍ^(١)
 فَسَوْفَ يَجْزِيهِمْ إِنْ لَمْ يَمُتْ عَجَلًا
 كَيْلًا بِكَيْلٍ جَزَاءُ غَيْرِ مَغْبُونٍ^(٢)

(١) المأفون: ضعيف العقل والرأي.

(٢) المغبون: يقال غبنه في البيع خدعه، وقد غبن فهو مغبون. وفي الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ».

سعد بن أبي وقاص

بعده عن الأمراء :

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَا يَغْشَى السُّلَاطِينَ، وَيَنْفِرُ مِنْهُمْ.

فَقَالَ لَهُ بَنُوهُ : يَا تُبَى هَؤُلَاءِ مَنْ لَيْسَ هُوَ مِثْلَكَ فِي الصُّحْبَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَوْ أُتِيتَهُمْ ! .

فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ! آتِي جِيفَةً قَدْ أَحَاطَ بِهَا قَوْمٌ ! وَاللَّهِ لَنْ اسْتَطَعْتُ لَا أُشَارِكُهُمْ فِيهَا .

قَالُوا : يَا أَبَانَا ! إِذَنْ نَهْلِكَ هَذَا .

قَالَ : يَا بَنِيَّ ! لَأَنْ أَمُوتَ مُؤْمِنًا مَهْزُولًا، أَحَبُّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ مُنَافِقًا سَوِينًا .

قَالَ الْحَسَنُ : خَصِمَهُمْ - وَاللَّهِ - إِذْ عَلِمَ أَنَّ التُّرَابَ يَأْكُلُ اللَّحْمَ وَالسِّمْنَ، دُونَ الْإِيمَانِ .

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَسَلَمَةً : يَا سَلَمَةُ ! لَا تَغْشَ أَبْوَابَ السُّلَاطِينَ، فَإِنَّكَ لَا تُصِيبُ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاهُمْ ؛ إِلَّا أَصَابُوا مِنْ دِينِكَ أَفْضَلَ مِنْهُ .

دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ :

عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَعْدٍ قَالَ :

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

«اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمِيَّتَهُ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ» .

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: ما سمعتُ من رسول الله ﷺ يُفدي أحداً غير سعد رضي الله تعالى عنه، سمعته يوم أُحد يقول:
«إِرمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي».

بعده عن الفتنة:

عن أيوب السخثياني قال: اجتمع سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وعُمَار بن ياسر، وابن عُمَر - رضي الله عنهم - فذكروا الفتنة - أي بين علي ومعاوية - فقال سعد:

«أما أنا فأجلس في بيتي ولا أدخل فيها».

وعن ابن سيرين قال: قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تُقاتل! فإنك من أهل الشورى، وأنت أحقُّ بهذا الأمر من غيرك؟.

فقال رضي الله تعالى عنه: لا أقاتلُ حتى تأتوني بسيف له عَيْنَانِ، وَلِسَانٌ وَشَفَتَانِ، يَعْرِفُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، فَقَدْ جَاهَدْتُ وَأَنَا أَعْرِفُ الْجِهَادَ.

شجاعته:

وقد رَمَى رضي الله تعالى عنه يوم أُحدِ أَلْفَ سَهْمٍ، وَأَوْصَى أَنْ يُكْفَنَ بجبته التي كان قد لقيَ المشركين فيها يومَ بدرٍ، فكفَنوه فيها.

دعوته المجابة:

فكان رضي الله تعالى عنه مُجَابَ الدعوة، ثَبَتَ أَنَّهُ مَرِضٌ مَرَضاً شَدِيداً فقال:

«يَا رَبُّ! إِنْ لِي بَيْنَ صِغَارًا، فَأُخِّرْ عَنِّي الْمَوْتَ حَتَّى يَبْلُغُوا» فَأُخِّرَ عَنْهُ عَشْرِينَ سَنَةً!.

زيارته مكة :

قدم سعد رضي الله تعالى عنه في أواخر عمره مكة المكرمة، زائراً بيت الله الحرام، وكان قد كف بصره، فجاءه الناس يهرعون إليه، ملتمسين دعواته. فكان كل واحد يسأله أن يدعو له، فيدعو لهذا ولهذا، فلم يرد طالباً، ولم يخيب سائلاً، لأنه كان - رضي الله تعالى عنه - مجاب الدعوة، كما تقدم معنا.

قال عبدالله بن السائب :

فأتيته، وأنا غلام يافع في بواكير الشباب، فتعرفت إليه فعرفني وقال : أنت قاريء أهل مكة ؟ .

قلت : نعم، فقلت له : يا عم ! أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك، فرد عليك بصرك، فتبسم ضاحكاً فقال : يا بني !! رضا الله - سبحانه - عندي أحسن من بصري . اهـ .

سَلَمَانُ الْفَارِسِي

« سَلَمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ »

وصيته لسعد:

دَخَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَعُودَهُ فِي مَرَضِهِ، فَبَكَى سَلَمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ !.

فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ يَا سَلَمَانُ؟ تُؤَفِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، وَتَرُدُّ عَلَيْهِ الْحَوْضَ.

فَقَالَ سَلَمَانُ: مَا أَبْكِي فَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ، وَلَا جِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ إِلَيْنَا عَهْدًا فَقَالَ:

«لَيْكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ مِثْلَ زَادِ الرَّائِبِ» !.

وَحَوْلِي هَذِهِ الْأَسَاوِدَةُ، وَإِنَّمَا حَوْلُهُ إِجَانَةٌ^(١)، وَجَفْنَةٌ^(٢)، وَمِطْهَرَةٌ.

فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: أَوْصِنِي ! قَالَ: أَذْكُرُ رَبَّكَ عِنْدَ هَمِّكَ إِذَا هَمَمْتَ، وَعِنْدَ حُكْمِكَ إِذَا حَكَمْتَ، وَعِنْدَ يَدِكَ إِذَا قَسَمْتَ.

فَلَمَّا مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيَعٍ مَتَاعُهُ كُلُّهُ، فَبَلَغَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا !.

(١) الإِجَانَةُ: إِنَاءٌ يَغْسَلُ فِيهِ الثَّوْبُ.

(٢) الْجَفْنَةُ: الْقِصْعَةُ.

امتناعه عن الطعام:

رُوي عن عطية بن عامر قال: رأيتُ سلمانَ الفارسي رضي الله عنه أكره على طعامٍ يأكله! فقال: حَسْبِي، حَسْبِي! فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا، أَطْوَلُهُمْ جُوعًا فِي الْآخِرَةِ، يَا سَلْمَانُ! إِنَّمَا الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(١).

اشتياق الجنة له:

رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: عَلِيٍّ، وَالْمَقْدَادِ، وَعَمَارٍ، وَسَلْمَانَ».

وفي رواية:

«نَزَلَ عَلَيَّ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَحَدَّثَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَرْبَعَةً مِنْ أَصْحَابِي:

فَقَالَ مَنْ حَضَرَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟.

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَأَفْضَلُ السَّلَامِ:

«عَلِيٌّ، وَسَلْمَانُ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَالْمَقْدَادُ».

وصيته وتقسيمه الناس:

حُكي عن طارق بن شهاب، أنه باتَ عندَ سلمانَ لينظرَ ما اجتهدُه؟ قال: فقام يُصَلِّي في آخر الليل، فكأنه لم يرَ الذي كان يظن، فذكرَ ذلك له. فقال سلمان: حافظوا على هذه الصَّلواتِ الخمسِ، فإنهنَّ كَفَّاراتٌ لهذه

(١) رواه ابن ماجة، والحاكم.

الجراحات، ما لم تُصَبِّ المقتلة - يعني الكبائر - فإذا صَلَّى الناسُ العشاءَ
صدروا على ثلاثِ منازلٍ:

١ - منهم: مَنْ عليه ولا له.

٢ - ومنهم: مَنْ له ولا عليه.

٣ - ومنهم: مَنْ لا له ولا عليه.

١ - الأول: رَجُلٌ اغْتَنَمَ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ وَغَفْلَةَ النَّاسِ، فَرَكِبَ رَأْسَهُ فِي
المعاصي، فذلك عليه ولا له.

٢ - الثاني: رَجُلٌ اغْتَنَمَ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ وَغَفْلَةَ النَّاسِ، فَقَامَ يُصَلِّي، فذلك له
ولا عليه.

٣ - الثالث: رَجُلٌ لا له ولا عليه، صَلَّى ثُمَّ نَامَ، فذلك لا له ولا عليه.

مثله الرائع:

وكان رضي الله تعالى عنه يقول:

«إِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ مَرِيضٍ مَعَهُ طَبِيبُهُ الَّذِي يَعْلَمُ دَاءَهُ وَدَوَاءَهُ فَإِذَا
اشْتَهَى مَا يَضُرُّهُ، مَنَعَهُ، وَقَالَ: إِنَّ أَكْلَهُ هَلَكَتْ! وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يَشْتَهِي أَشْيَاءَ
كَثِيرَةً فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يَمُوتَ، فَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ».

وكان رضي الله عنه يقول؛ عَجَباً لِمُؤْمِلِ الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ! وَغَافِلِ
لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ! وَضَاحِكٍ وَلَا يَدْرِي أَرَبُهُ رَاضٍ عَنْهُ أَمْ سَاخِطٌ؟!

وكان يأكل من شُغْلِ يَدَيْهِ، وَيَسْتَظِلُّ بِالْفِيءِ حَيْثُمَا دَارَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ!!.

وكان يعملُ الخوص^(١) ويقول: أُشْتَرِي خَوْصاً بِدِرْهَمٍ فَأَعْمَلُهُ، فَأُبِيعُهُ
بثَلَاثِ دَرَاهِمٍ، فَأُعِيدُ دِرْهَمًا فِيهِ، وَأُنْفِقُ دِرْهَمًا عَلَى عِيَالِي، وَأَتَصَدَّقُ بِدِرْهَمٍ.

(١) الخوص: ورق النخل.

وكان لا يأكل من صدقات الناس، وكان الناس يُسَخِّرونه في حَمَل
أمتعتهم لِرِثَاةِ حاله، فربما عرفوه فيريدون أن يحملوا عنه فيقول: لا، حتى
أوصلكم إلى المنزل؛ وهو إذ ذاك أميرٌ على المدائن!.

عاش مائتين وخمسين سنة، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه.

موجزُ تاريخ حياته:

نشأ سلمان في فارس، في قرية تُسمى «جَيَّان»^(١)، فتح عينيه على
الرخاء والنعيم، لأن أباه كان من أغنى أهل قريته؛ ولكنه كان مولعاً جداً
بالمجوسية، محافظاً على طقوسها أشدَّ المحافظة!.

وكان لسلمان في قلبه حبٌ عميق، وتعلق عريق لما يبدو على مخايله
من أمارات تدفعه لذلك.

زرع الوالد في قلب الولد حبَّ المجوسية، حتى أوغل في حبها
ووصل إلى شغاف قلبه.

عُيِّنَ قِيماً على النار التي تُعبد، وأُسِنِدَ له هذا الأمرُ المهم، فكان
سلمان لا يدعُها تَخمُدُ ليلاً ولا نهاراً، لشدة حبه لها!.

كان لأبيه ضِيعَةٌ قريبةٌ من قريته، يستفيد من غلتها، ويجنو من ثمارها.
فأرسل يوماً وَلَدَهُ الأثير نيابةً عنه لعائق عاقه لأن الوالد كان لا يسمح
لابنه أن يغادر بلدته خوفاً عليه.

سافر «سلمان» لتلك الضِيعَةِ امْتِثَالاً لأمر أبيه، ونزولاً عند رغبته.

(١) قرية من قرى أصفهان؛ وقال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٢/١٩٦): وذكر
هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي فيما نقلته: أن سلمان الفارسي رضي الله عنه، عاد
إلى أصفهان لما فتحت، وبني مسجداً بقريته «جَيَّان» وهو معروف إلى الآن.

وكان في القرية قومٌ يعبدون الله تعالى على دين المسيح ، ولهم كنيسةٌ يصلُّون فيها .

فلما رأى سلمانُ عبادتهم استحسَّنها وفضلها على عبادة أبيه ؛ لأنه كان يجهل غير دين المجوسية لطول ما حبسه تلك المدة .

قال سلمان : فدخلتُ الكنيسةَ ، وتاملتُ طويلاً ما يفعلونه ، فقلت في نفسي :

هذا والله خيرٌ مما نحن عليه ، فولَّعتُ بهم ، وسألت قِيَمَ المعبد ، أين أصلُ هذا الدين ؟ فأجابني : أنه في بلاد الشام .

فعدتُ إلى أبي بعدما أرخى الليلُ ستورَه ، واشتد ظلامُه ، ولكن قلبي معلقٌ بهم ، فسألني والدي عن سبب تأخري ؟ فصدقتهُ ، وقصصْتُ عليه ما رأيت .

فدَّعِرَ أبي من صنيعي ، واستشاطَ غضباً ، وقال في شدة :
ليس في ذاك الدين خيرٌ ، إلزم يا سلمانَ دينك ودينَ آبائك وأجدادك .
قال سلمانُ : فلم أتمالك نفسي ، فقلت بكل جرأة : كلا ، والله إن دينهم خيرٌ من ديننا ! .

فخشي أبي عليَّ من الردة ! فحبسني وجعل القيدَ في رجلي .
فأتَيْحتُ لي فرصةٌ ، فأرسلتُ إلى أحرار الكنيسة وقلتُ لهم : إذا علمتم بركبٍ يُريد الذهابَ إلى بلاد الشام ، فأخبروني بذلك .

فلم يمضِ إلا قليلٌ من الزمن ، فجاءني البشير قائلاً : إنَّ ركباً مرَّ علينا وهو متجه إلى الشام .

فتحَّيْتُ الوقتَ المناسب ، واحتلتُ على القيد حتى حللتهُ ، وذهبت

خفيةً مع الركب حتى وصلت بلاد الشام، فسألت عن أعلم من فيها بدين
النصارى؟ فدللت عليه، والتزمته التزاماً كاملاً، وخدمته بإخلاصٍ وصدق.
وإذا به رجلٌ سوء، يصطاد الدنيا بالدين!

يأمر قومه بالزكاة، ويرغبهم في ثواب الصدقة، فإذا ما أعطوه الأموال
الكثيرة حبسها عن الفقراء، وادخرها لنفسه! فانكملت عنه، وكرهت صنعه،
إلى أن مات.

فاجتمعت النصارى يُعزّون بعضهم بعضاً بذاك المصاب.
قلت لهم: إن صاحبكم هذا رجلٌ غيرُ صالحٍ!
فقالوا: ويحك... من أين علمت؟

قال سلمان: لأنه كان يأخذ صدقاتكم، ولم يُعط شيئاً منها للمساكين.
وها هي قلال الذهب والفضة مدفونة هنا، فكان كما أخبر. فرجم بالحجارة
وقدّمت جثته للكلاب!

ثم نصبوا مكانه آخر، فلزمته - أيضاً - مبتغياً الفائدة، فما رأيت رجلاً
أزهّد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة منه، فكان دءوباً على العبادة، يصوم
النهار، ويقوم الليل.

فأحببته حباً عميقاً، وصحبته زمناً طويلاً، حتى حضرته الوفاة، فقلت
له، والحزنُ يغمرني: من تأمرني أن أصحبَ بعدك؟ فقال:

أي بني: لا أعلمُ أحداً على ما كنتُ عليه إلا رجلاً بالموصل، فلم
يُحرّف شيئاً من الإنجيل ولم يبدّله.

فلحقت به بعد تمام دفن صاحبي.

فدخلت عليه وقلت له: إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك.

فرايت منه : أهلاً وسهلاً ، فالتزمته فوجدته على حالٍ حسنة إلى أن
احتُضِرَ.

فقلت له : إلى مَنْ توصي بي بعدك؟ فقال : أي بني : لا أعلم رجلاً
على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين ، فلما تمَّ لحدِّ صاحبي وغُيِّبَ في
القبر ، فشددتُ العزم ، ولحقتُ به ، وأخبرته خبري ، فأحسن قِرَائي ، وشَمَلَنِي
بِحَنَانِهِ ، فأقمتُ عنده فوجدته كما وصف لي ، وصحبته طويلاً ، واستفدت من
حاله ، حتى نزل به ما نزل بمن قبله .

فقلت له : بمن توصي بي ؟ فصدقني وقال : لا أعلم أحداً بقي على
أمرنا إلا رجلاً بعمورية^(١) ، فالحق به .

فلحقت بصاحب عمورية ، وصحبته ، واكتسبت عنده بقراتٍ وغنيمة ،
ثم ما لبث أن احتُضِرَ ، فاستوصيته فقال : أي بني : لم يبقَ أحد على ظهر
المعمورة ، مستمسكاً بما كنا عليه ؛ ولكنه قد أظل زماناً يخرج فيه بأرض
العرب نبيٌّ ، يُبعث على الحنيفية السمحة دين إبراهيم ، ثم يُهاجر إلى أرضٍ
ذاتِ نخل ، وله علامات ثلاث ، فاحفظها عني :

١ - يأكل الهدية .

٢ - لا يأكل الصدقة .

٣ - بين كتفيه خاتم النبوة .

فإن استطعت أن تلحقَ بتلك البلادِ فافعل .

فمكثتُ بعمورية زمناً طويلاً بعدما فُجِعْتُ بصاحبي ، وأنا أترقب

(١) عمورية : بلد من بلاد الروم ، غزاها المعتصم وفتحها في سنة : [٢٢٣] هـ .

واسأل، إلى أن مرّت قافلة من تجار العرب، فقلت بشوق وشغف: إن حملتموني معكم إلى أرض العرب، أعطيكُم ما معي من بقرٍ وغنيمة.

فقالوا: نعم! فأعطيتهم ما معي، حتى إذا ما بلغنا وادي القرى، فغدروا بي وباعوني لرجل من اليهود! فالتحقتُ بخدمته، ثم باعني من رجل من يهود بني قريظة، ونقلني معه إلى يثرب، فرأيتُ النخيل، فتذكرتُ قولَ صاحبي بعمورية، وعرفتُها من يومئذ بالوصف الذي ذكرها لي.

وكان النبي ﷺ يدعو قومه في مكة، ولكنَّ صاحبي القرظي لا يعرف الرحمةَ كيف تكون، فأدأبني على العمل الشاق ليلَ نهار في خدمة النخيل! وهذا شيء لم أكن أعلمه من قبل؛ لأنني عشتُ في قرية عند أبي، كما يعيش أولادُ الملوك والأمراء.

فلم أتمكن من شدة تعبِي، من البحث والسؤال عن النبي ﷺ.

حتى دارت الأيامُ دورتها، فهاجر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يثرب، وأنا في رأس نخلةٍ أصلحها، والشمسُ تقذفُ بشُعاعها على رأسي كالسهم المحمّاة، يغلي منها دماغي! وسيدي جالس تحتها، إذ أقبل ابن عمٍ له وقال: قاتل الله بني قيلة!

فقال له: ويحك لِمَ؟

قال: لأنهم قد اجتمعوا في قُباء على رجلٍ قدم عليهم من مكة يزعمُ أنه نبي! فما سمعتُ مقالته حتى اختلجت فرحاً كما يختلج من مسه المسُّ من الجن، فخشيتُ أن أسقط على سيدي، وبادرت مسرعاً إلى النزول، حتى صرتُ ثالثهما، وطلبت منه أن يُعيد عليّ الحديث!

فما كان من سيدي اليهودي إلا أن جمع يده ولكمني لكمةً شديدةً وقال لي: ما لك ولهذا الحديث الفضولي؟ عُد إلى ما كنت عليه من عمل!

فواصلت عملي حتى دخل وقتُ المساء، وأرخى الليلُ ستورَه، وعلمت أن سيدي قد استغرق في نومه، فأخذت بعضَ ما أستحقه من التمر، وتوجهت خفية إلى قُباء، مشياً على الأقدام، فاستأذنت على رسول الله، فأذن لي، فدخلت عليه، وإذا وجهه كأنه فِلَقَةُ قمرٍ، وحديثه يَهزُّ القلوبَ، ويُزرف العيونَ...

فأردت أن أقف على العلامات التي حفظتها من صاحب عمورية، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب محايِجٌ، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فقدمته بين يديه.

فقال لأصحابه: هلموا فكلوا نصيبكم، وأمسك بيده عن الأكل. فقلت في نفسي: هذه واحدة من ثلاث.

ثم انصرفت من مجلسه، ولا يعلم أحد ما كنت أحمل في قلبي من الفرح والسرور، حتى نسيْتُ تعبِي وجهدي في عملي، فعدت إلى نخيلي، وشرعت أجمع شيئاً من التمر.

فسمعت أن الرسول قد تحول من قُباء إلى المدينة؛ فجئته وسلمت عليه. وقلبي يزداد انجذاباً وتعلقاً به.

فقلت له: هذه هدية أقدمها لك، فأكل منها، وأذن لأصحابه فأكلوا معه، فاستبشرت وقلتُ في نفسي: هذه الثانية.

ثم جئته في المرة الثالثة، فإذا هو ببقيع الغرقد، حيث كان يوارى أحدُ أصحابه، فرأيتُه على شفير القبر، يذكر الله ويدعو، وعليه شملتان، فسلمت، وأصحابه حوله كالكوكب المستنيرة، ثم تحينتُ أن أنظرَ إلى ظهره، لعلِّي أرى الخاتم الذي وصفه لي صاحبُ عمورية.

فلما رأني عليه الصلاة والسلام، أطيل النظرَ إلى خلفه، عرف غرضي

فأرخصي رداءه عن ظهره لأتمكن منه، وإذا به كما وصفه صاحبي، فانكبت عليه أقبله، وأبكي بكاء الشكلى!

فقال لي عليه الصلاة والسلام: ما خبرك؟ لِمَا رأى من شدة البكاء. فسردت عليه ما جرى لي، فأعجب كثيراً من هذه القصة، وأحب أن أسميها لأصحابه، لما فيها من دروس وعبر.

فرضي الله عنك يا سيدي يا سليمان!

فقد أعطيت درساً كبيراً للأجيال المتتابة، في الصبر على المكاره، وتحمل أعباء تميغ دونها الصخور الراسيات، في سبيل طلب الخير، والوصول إلى الصواب.

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ هَاجَرْتَ، وَيَوْمَ آمَنْتَ، وَيَوْمَ مِتَّ^(١).

(١) انظر مورد من حياة الصحابة للأستاذ الباشا، وتاريخ ابن الأثير.

عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ

نشأته:

درجَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ من نعومة أظفاره، كما درج عليه أترابه وذووه من تعظيم الأصنام، والعكوف على الأوثان، وذبح القرابين من أجلها، إذا داهمتهم المُلِمَّاتُ! يَفْزَعُونَ إليها بالدعاء، معتقدين ومتبركين، يعبدونها لتُقَرِّبَهُم إلى الله تعالى زلفى، شأن سائر العرب قبل الإسلام!.

إلا أن عَمْرُو بْنَ الْجَمُوحِ، كان يختلف عن غيره من جِلة قومه وسادتهم...

غدا عمرو زعيماً من زعماء يثرب، وشريفاً من أشراف العرب، موفوراً المروءة، سخياً كريماً، من ذوي الشهامات، تبدو على مخايله أمارات السعادة، كأن الله هياه لأمرٍ عظيم.

سنه:

قد جاوز عمرو بنُ الجموح سنَّ الستين من العمر، ودخل في سن الشيخوخة التي يغلب فيها قربُ الرحيل، ومعتزُّ المنايا، والتي يصعب تغييرُ شيءٍ من عاداته وأخلاقه التي شبَّ عليها ونشأ في أكنافها، أو تعديلُ شيء مما تلقفه عن أصوله من عمل أو عقيدة.

وإذا العناية لاحظتك عيونها نَمَ فالمَخَافُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

الإسلام في يثرب:

ففي تلك الآونة، وأهل يثرب يتصقظون أخبار «محمد» ﷺ، ويتتبعون آثاره...

أرسل رسول الله ﷺ، مصعب بن عمير - وكان قريب المأخذ، حلو الأداء، طريف الموضوعات - يدعوهم إلى توحيد «الله» وطرح ما سواه من وثن أو صنم.

فشرع مصعب يُترعهم بعلمه الغزير، وأسلوبه الأثير، بعبارات تستدر الشؤون، وتثير الشجون... شُع النور في يثرب، وامتد واشتد، حتى لم يبق بيت إلا ووصل إليه من شعاعه!

إلى أن تناول أولاد عمرو بن الجموح، مع تَرِبٍ لهم يُقال له: معاذ بن جبل، ومع أمهم هند زوجة عمرو، وانصاع تحت لواء «الإسلام» معظم السادة والأشراف.

وعمرو يجهل ما حدث في أسرته؛ ولكنه يحذر من الداعية مصعب، ويُحذر أولاده وزوجته من سماع حديثه!

نظر الأولاد والام يوماً إلى أبيهم الشيخ الكبير، نظرة حُزْنٍ وإشفاق، خشية أن يأتيه الأجل وهو على ما هو عليه؛ لأنهم كانوا يُكنون لأبيهم حُباً وإجلالاً، وإكباراً وتعظيماً، لما يحمل من جميل العشرة، وكرم الأخلاق.

فكان الأولاد والام كلما سمعوا النهي والتحذير، يُجيئون به بكل أدب سماعاً وطاعة.

دعوة الأسرة لأبيهم:

تقدمت هند يوماً لزوجها وقالت له: هل لك أن تسمع من ابنك معاذ ما يرويه عن هذا الرجل؟!.

- عمرو: لقد استشاط غضباً وقال: ويحك يا هند! وهل صبا ابني عن دينه وأنا لا أعلم؟!.

- هند: كلا.. ولكنه حضر مجلسه على طريق الصدفة مع أتراب له، فسمع حديثه وحمله إلينا ليرى رأيك فيه؟!.

فأشفقت المرأة على الوالد من أن يُصاب بنوبة عصبية، وعلى الولد من بطش أبيه:

- عمرو: أدعوه إلي! فلما مثل بين يدي أبيه، ووقف وقفة الأديب.

فقال عمرو بشدة وعنف: أسمعني ما حفظته من هذا الرجل؟!.

فابتدر الولد وسم الله تعالى، وقرأ عليه «فاتحة الكتاب» مُرتلاً ومجوداً، حتى أتم السورة، وعمرو يُصغي لما يسمع من التلاوة، فما ملك أعصابه أن قال: ما أحسن هذا الكلام!!.

يا معاذ: أوكل كلامه مثل هذا؟!.

- معاذ: وأحسن من هذا يا أبتاه، فهل لك أن تبتدر لمبايعته، كما بايعه قومك؟!.

سكت الشيخ قليلاً ثم قال: لست فاعلاً إذاً حتى أستشير «مناة» فأرى رأيه في ذلك؟!.

الصنم المستشار :

كان لعمر و صنم يُسمى «مناة» قد اتخذته من نفيس الخشب، وضمخه من أطايب الطيب، يزوره صباحاً ومساءً، مولعاً في حبه، مغالياً في الإسراف عليه من ماله !.

تقدم عمرو إلى «مناة» ووقف أمامه متادباً ومتذللاً ! ثم أثنى عليه الثناء الحسن الجميل، ثم رفع إليه قامته وقال له :

لقد علمت يا مناة : ما حصل في بلدنا من أثر هذا الداعية، وأنه يُريد أن يحول وجوهنا عنك ! وقد كرهت أن أُحدثُ أمراً قبل مشورتك، فأشر علي !.

ولكن «مناة» لم يرد عليه شيئاً !.

عمرو : لعلك يا مناة قد وجدت علي، مع أنني لم أصنع شيئاً يسوؤك، ولكنني سأتركك أياماً ليهدأ غضبك !.

موقف الأولاد :

انتهاز الأولاد هذه الفرصة، وتآمروا مع صديقهم الحميم معاذ بن جبل، وجاؤا ليلاً بعدما رقد الشيخ، وحملوا «مناة» وقذفوه على رأسه في حفرة لبني سلمة، يرمون فيها أقدارهم.

فأما أصبح عمرو، مشى إلى صنمه الحبيب متبركاً به، فلم يجده، فنادى بأعلى صوته : ويحكم من عدا على إلهنا هذه الليلة، فتناوم الأولاد ولم يُجيبوه .

فطفق عمرو يبحث عن صنمه الحبيب وهو يرعد ويُزبد، ويتوعد

ويهدّد، وإذا به منكباً على رأسه في حفرة النجاسة! فأخرجه بسرعة، ثم غسله وطيبه وأعادته إلى مكانه!.

فلما كانت الليلة الثانية، فعل الأولاد ما فعلوه أولاً!.

غدا عمرو إلى صنمه كعادته فلم يجده، فالتمسه وإذا هو بالحفرة ولكن النجاسة غمرته من فرقه إلى قدمه!.

فأخرجه ثانياً، ثم غسله وطيبه وأعادته لمكانه، وجعل في عنقه سيفاً وقال له: «يا مناة» إن دنا منك أحد فاعلوه بهذا السيف!.

قام الأولاد بدورهم الثالث، فحملوا «مناة» وربطوه مع كلب ميت، وجردوه من السيف والقوه في الحفرة.

استيقظ الشيخ باكراً وذهب إلى إلهه! فلم ير له أثراً، فطلبه وبالغ في طلبه، فإذا هو مقرون إلى كلب ميت، ومشدود معه بحبل! والسيف مسلوب منه!.

عاد الشيخ إلى رشده، وأبقاه مع الكلب في حفرة مملوءة بالأقذار وأنشأ يقول:

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بشر في قرن

إعلان إسلامه:

تيقظ عمرو من غفلته، وهب من رقدته، بعدما ذاق طعم الإيمان، فأعلن «إسلامه» وداس على الأصنام بقدمه، وجعل يعض بنان الندم على الماضي القديم، وما فاتته في تلك الفترات الطوال.

فأقبل على الدين الجديد بقلبه وقالبه، ووضع نفسه وماله وأولاده في سبيل نصرته، راجياً محو ما قدم من سوء.

وهكذا تغير عمرو تغيراً لم يُسبق له مثيل، وأخذ يفكر طويلاً ويفكر بعمل يعوض به أيامه الطوال، حتى وقعت غزوة «أحد»..

طلبه الشهادة:

رأى عمرو المدينة المنورة قد غصّ شوارعها بحاملي رايات الجهاد، مكبرين ومهللين، فرحين ومستبشرين، كأنهم يغدون إلى نزهة استجمام، وأولاد عمرو أنما قد أسهموا في تلك المعركة، يتجهّزون للقاء العدو، يتوجّهون شوقاً لنيل الشهادة.

عزم الشيخ أن يشترك معهم، وقف الأولاد في وجه أبيهم، وأخذوا يُحذّون من نشاطه، لشيخوخته، وعرجه الشديد البين...

غضب الشيخ من أولاده، وترافعوا أمرهم لرسول الله ﷺ. فتقدم عمرو بحديثه قائلاً: يا رسول الله! إن بني هؤلاء يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك! فوالله، إنني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة.

فنظر إليه رسول الله نظر المعجب من أمره، وقال: «أما أنت يا عمرو! فقد عذرك الله، فلا جهاد عليك». والتفت إلى بنيه وقال:

«ما عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة».

خرج الشيخ مع أولاده يوم «أحد» كأنهم الأسود الشارية، وحمي الوطيس، ووقعت المحنة، وتفرّق الناس عن الرسول!

وعمر ويثب برجله الصحيحة وثب الأسود، مدافعاً تارة، وضارباً بسيفه وجه العدو أخرى.

وما أن وضعت الحرب أوزارها، حتى قام «النبي» يتفقد الشهداء ليواريتهم.

وإذا بعمره وابنه خلاد مُمدّين على أرض المعركة، وليس بين الابن وأبيه إلا لحظات.

فأمر رسول الله ﷺ أن يُترك الشهداء بدمائهم وجراحهم، وقال: «أنا أشهد لهم يوم القيامة، ما من مسلم يُكَلِّمُ في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة يسيل دماً: اللون لونُ الزعفران، والريح ريح المسك».

ذَكَرَ المؤرخون:

أن عمرو بن الجموح لما خرج من بيته، رفع يديه إلى السماء داعياً وسائلاً وقائلاً: اللهم لا تردني إليها!

فلما استشهد، جعله بنوه على بعير ليحملوه إلى المدينة، فاستصعب البعير، فكانوا إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة «المدينة» فكان يأبى الرجوع!

فلما لم يقدرُوا عليه تذكروا قوله: اللهم لا تردني إليها.. فدفنوه في مصرعه.

فرضي الله تعالى عن «عمرو» الذي صدق مع الله فصدقه، ونور مضجعه؛ لقد عمل قليلاً، وربح كثيراً^(١).

(١) للتوسع انظر كتاب: «صور من حياة الصحابة» للأستاذ الباشا، و«تقريب السيرة لابن هشام».

عمير بن سعد

عمير بن سعد: شاب من شباب المدينة، وفتى من فتيان الأنصار، قد تجرّع كأس اليتيم بفقد أبيه، وهو طفل صغير دون سن التمييز، ولم يترك له والده شيئاً من مال ومتاع، يستعين به على مشاق الحياة؛ ولكن أم عمير ما لبثت قليلاً حتى أكرمها الله سبحانه بزواج ثري، ضم الولد إليه مع أمه. وكان عمير ربيباً له، فكفله كفالة حسنة، ورعاه رعاية جيدة، حتى خفف مصابه.

شب الغلام وترعرع على حب مربيه، كما أن مربيه أحب عميراً حباً جماً، لما بدا على مخايله من أمارات النجاة والفطنة.. كان صادقاً في حديثه، أميناً إذا ائتمن، بعيداً عن سفاسف الأخلاق، التي يشب عليها أترابه من الأولاد.

فلما دخل عمير في سن العاشرة من العمر، وهو يرى الناس غادين ورائحين إلى مسجد رسول الله ﷺ، متلقين الحكم والأحكام، فانشرح قلب الغلام لهذا العمل، واستحسنه.

تقدم عمير إلى النبي ﷺ مبيعاً له على الإسلام، كما بايعه الكمل من الرجال.

انتسب الغلام لتلك الجامعة، واشترك مع طلابها، وشرع ينهل من معينها العذب، حتى تغلغل الإيمان في قلبه...

فتلقف الصلاة وأحكامها وفضائلها، من المسجد النبوي، فكانت لا تفوته مع رسول الله ﷺ.

وكانت الفرحة تغمر الأم، حين ترى ولدها الصغير مندفعاً لأداء الصلاة، حريصاً على جماعتها كحرص الشيوخ الوعاة..

وزوجها الجديد، اسمه «الجلّاس» من قبيلة الأوس، ووجهاً لها. فتارةً كان يذهب مع ربيبه تشجيعاً له، وأخرى يذهب الغلام وحده. تبادل الحب وتمكن بين «الجلّاس» والغلام، وأولع كل منهما بالآخر، وازداد يوماً فيوماً، فكان لا يستطيع كل منهما أن يُغيب وجهه عن الآخر، لوصول الحب لأعماق القلوب، وصدق التعلق.

فلما دخلت السنة التاسعة من الهجرة، أعلن الرسول ﷺ في المدينة المنورة وأذاع بين القبائل، بأنه يريد أن يُحارب الروم، ويغزوها في قعر دارها، فحيّلاً، البدار، البدار.

على حين أن الحرّ قد اشتدّ وقوي، وأن الثمار قد أُنعت، وأن جذأها، وطاب الظلّ والفيء!

فهنا قام المنافقون، ونسلوا من جعابهم أسهم التخريب كعادتهم، ليشبّطوا الهمم عن السفر، ويوهنوا العزائم، شأنهم في كل خطبٍ وحدث.

إلا أن الصحابة داسوا بأقدامهم تلك الأراجيف، وانتفضوا من أعرانهم كالأسود الشارية، قاموا للخيّل فأعدّوها، وللسلاح فشحدوه.

حتى أرفّ الرحيل من المدينة، وشوارعها غاصة بالرجال المحاربين.

حتى النساء أسهموا في هذه الحرب، بتقديمهن ما يمكن من زينة وحلي.

وحتى طائفة من الفقراء المعدمين ، دفعوا بفرشهم رخيصةً في سبيل
نُصرة الإسلام والمسلمين! عرضوها للبيع، فافترشوا الأرض، والتحفوا
السماء! فامتحن الله المسلمين في هذه المعركة، ليظهر الغث من السمين،
والدخيل من العريق...

وعمير يشاهد بعينه هذه الصُورَ المثيرة، ولكنه قاصر اليد، صغير
العمر.

وكان يعجب من «الجلاس» زوج أمه كلَّ العجب، مع يساره وغناه،
كيف يتباطؤ في مثل هذا الموطن ويتخاذل؟!.

عاد عمير لبيته، وخلا ساعةً بالجلاس، وشرع يسرد له ما شاهده وراآه
من التضحيات الفذة، ليعث فيه النخوة والحمية.

فكان كلامُ الغلام، صيحةً في وادٍ، أو نفخةً في رمادٍ.

ولكن الجلّاس لم يكتفِ بإمساكه عن الحديث فحسب؛ بل قذف كلمة
كانت كالصاعقة، أذهبت صوابَ الغلام وألهمت لُبه، وأدمت مقلّته، إذ سمعه
يقول: إن كان محمد صادقاً فيما يدّعيه من النبوة، فنحن شرٌّ من الحمير!.

إذ تفوه بكلمة تجتز الإيمان من جذور القلب، وتدخل صاحبها في
الكفر من أوسع منافذه!.

فأصبح الغلام حائراً مذهوشاً من هذا المشهد! ماذا يا ترى يكون موقفه
أمام هذا الخطب الجلل؟!.

فهل يسكت ويتغاضض عن الجلّاس في مقابلة بره وإحسانه، ويكون
قد خان الله ورسوله والمسلمين؟!.

أو يعق الجلّاس بكشف موقفه؟!.

شُدَّة الغلام وتحيُّر، لأن المعروف لا يُنسى، فقد أغناه بعد فقر، وضمه بعد ضياع.

فصار عمير بين صراعين يجتذباناه!

ولكنَّ الصدق لم يترك في قلبه مكاناً للباطل أن يتمركز فيه، فمضى عميراً إلى المسجد النبوي، حيث كان رسول الله ﷺ، يسرد أحاديث الجهاد ويرغب المسلمين فيه، وأخبره بما سمع من الجلاس، فما كان من رسول الله إلا أن قطع حديثه مدهوشاً، واستبقى عميراً عنده، وأرسل من يأتي بالجلاس.

دخل الجلاس وقعد أمام رسول الله ﷺ.

فقال له عليه الصلاة والسلام: «ما مقالة بلغتني عنك؟!».

فانتفض الجلاس كانتفاض طائر بلله القطر، وأنكر الحديث أشدَّ الإنكار وقال: لقد كذب عليَّ عميرُ وافترى يا رسول الله!

فأخذ الصحابة يتفحصون وجهَ عمير والجلاس، يُحدون النظر فيهما ليأخذوا من صحائف الوجه أمارَةً صدقٍ أو كذب؟.

عمير غمرته العبرة، وخنقه البكاء، وهو يقول بقلب حزين:

اللهم أنزل على قلب نبيك ما يكشف هذا الخطيئة!

فقام الجلاس على مشهد من الصحابة، يُدعم موقفه بإيمان، أنه لم يقل شيئاً من هذا!.

فما أنهى أيمانه، حتَّى غشيت رسول الله ﷺ السكينة والغيوبة، كعادته وقت نزول الوحي.

فأطرق الصحابة بهاماتهم على الأرض، كأنما على رؤوسهم الطير،
إجلالاً وإكباراً ينتظرون كشف الحقيقة.

فظهر على صفحات وجه الغلام وقت ذاك الفرح والبشر، وعلى
قسمات وجه الجلاس القترة والخوف.

فُسِّرَني عن رسول الله ﷺ، وجبينه يفصم عرقاً، ثم تلا قوله تعالى:
﴿يَحْمِلُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ إلى
قوله: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١).

فانعقد لسان «الجلاس» وارتعدت فرائضه! وما كان يظن أن الله تعالى يذكره
بهذا الوصف، فالتقى سلاح المراء والافتراء، وعاد إلى الحق والرشد
والصواب، وقال مظهراً الندم على ما تقدم: بل أتوب يا رسول الله!

فقد صدق عمير فيما قال: فكنْتُ من الكاذبين؛ أدعُ الله أن يقبل
توبتي! جُعِلْتُ فداك يا رسول الله!

فالتفت رسول الله ﷺ إلى الغلام، وأخذ بأذنه وأمسكها برفق وقال:
«لقد وفَّت أذنك يا غلام ما سمعت، وصدَّقك ربُّك بما قلت».

عاد الجلاس إلى حظيرة الإسلام وحسن إسلامه، وعرف الصحابة
صلاح الغلام.

وأنه لم يتأثر ببر الجلاس وإكرامه له، كما يتأثر النفعيون عبيد المادة.
فكان الجلاس يدعو لعمير قائلاً: جزاه الله عني خيراً، فقد كان سبب
إنقاذي من الكفر.

(١) التوبة: ٧٤.

دارت الأيام دورتها، ودخل عمير في سن الرجال، وتولى في زمن
الفاروق قيادة الجيوش.

وجاب البلاد فاتحاً ظافراً، مُحرراً الأصقاع والمدن من آثار الكفر،
حتى أخضع الله له القبائل، ودانت له معظم الولايات.

أراد عمر أن ينقل عميراً من سنايك الخيل المقاتلة، إلى رعاية الناس
لمصلحة رآها.

فكتب إليه كتاباً بأن يلتحق إلى بلدة من بلاد الشام تُسمى «حمص».
وتوجه ولايتها، لأن أهلها كانوا يتدمرون من كل والٍ، ويكثرون
الشكايات منه.

أذن عمر للأمر على مَضَضٍ منه وكُرِهٍ، لأن نفسه تشوق للشهادة في
سبيل الله.

دخل عمير حمص حاكماً عليها، ابتداءً بالمسجد تأسيساً برسول الله، ودعا
الناس إليه، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن
الإسلام حصن منيع، وباب وثيق، حصن الإسلام العدل، وبابه الحق، فإذا
دُك الحصن، وحُطِمَ الباب، استبيح جَمِيْ هذا الدين، وإن الإسلام ما يزال
منيعاً ما اشتد السلطان، وليست شدة السلطان، ضرباً بالسوط، ولا قتلاً
بالسيف، ولكن قضاء بالعدل، وأخذاً بالحق.

ثم مضى عمير في عمله، واستتب الأمر في حمص، حتى مرَّ حول
كامل، فلم ترفع لعمر شكاية، ولم يكتب عمير كتاباً له، أو يرسل لبيت
المال شيئاً.

وكان عمر وقافاً، خشي من هذا الإبطاء الفتنة على عامله! فأمر كاتبه أن

يكتب له كتاباً يأمره بالإسراع إليه، ويحمل معه ما جباه من فيء المسلمين، فلم يشعر أمير المؤمنين إلا وقد قدم عليه «عمير» ماشياً حافياً، عكازته بيده، وإداوته، ومزودته وقصعته على ظهره، قد شُحِبَ، لونه، وذبل جسمه! فما وقع بصر عمر عليه، إلا وقف مدهوشاً حائراً!.

قال: يا عمير ما هذا الحال؟ أأجدبنا، أم البلاد بلادُ سوء؟!

عمير: ولم يا أمير المؤمنين! وقد جئتُ إليك بالدنيا أجرها بقرابها، وأنا مُتَمَتِّعٌ بصحة جيدة.

عمر: وَيَحَكَ يا عمير. ما معك من الدنيا؟ وهو يظن أنه يحمل لبيت المال الشيء الكثير.

عمير: عكازة أتوكأ عليها، وأدفعُ بها عدواً إن لقيته، ومزودٌ أحمل فيه طعامي، وإداوة أحملُ فيها ماءً لشرابي ولطهوري، فوالله يا أمير المؤمنين! ما الدنيا بعدُ إلا تبعٌ لي!

عمر: ما أُعْطِيتَ من بيت المال دابةً تركبها؟

عمير: هم لم يُعطوني، وأنا لم أسألهم!

عمر: محصولُ فيء «حمص» ما صنعتَ به؟

عمير: جمعتُ من أثق بهم من صلحاء تلك البلدة، ووليتهم بجباية الأموال وتوزيعها على فقرائها.

عمر: قَرَّتْ عينه بعامله عمير، وأمر كاتبه بتجديد عمله.

عمير: هيهات، هيهات! فإن ذلك شيء لا أريده ولا أتشوف إليه.

مزفتُ نفسُ عمير عن الدنيا ومُتَعِّها، وانتقلَ إلى قرية من ضواحي «المدينة المنورة» وانكبَّ على عبادة الله، حتى آخر أنفاسه، فالتحقتُ روحه مع حبيبه وقرّة عينه سيدنا «محمد» عليه الصلاة والسلام.

سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ

رَوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ:
«مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ إِلَى مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ، أَمْ فِي
الْأَمْوَاتِ؟» .

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! .
خَرَجَ فَنَظَرَ، فَوَجَدَهُ جَرِيحاً فِي الْقَتْلَى وَبِهِ رَمَقٌ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظَرَ أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ .

فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: أَنَا مِنَ الْأَمْوَاتِ؛ فَأَبْلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَلَامِي وَقُلْ لَهُ:
إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ: جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ .

وَأَبْلَغَ قَوْمِي عَنِّي السَّلَامَ! وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ:
إِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّ خَلَصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ مَكْرُوهٌ، وَفِيكُمْ عَيْنٌ
تُطَرِّفُ! .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

«رَحِمَهُ اللَّهُ! نَصَحَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَبًّا وَمِيتًا» .

وَفِي رِوَايَةٍ: فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَوَجَدَهُ وَبِهِ رَمَقٌ! .

فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَتِيَهُ
بِخَبْرِكَ. قَالَ: فَاذْهَبْ إِلَيْهِ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنِّي قَدْ طُعِنْتُ اثْنَتَيْ

عشرة طعنة، وإني قد أنفذت مقاتلي، وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم
عند الله، إن قُتل رسول الله ﷺ وواحد منهم حيًّا!

والرجل المبعوث هو أبي بن كعب. اهـ من «الإصابة» باختصار.

حَارِثُ

رُويَ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: بينما رسولُ الله ﷺ يمشي إذ استقبله شابٌ من الأنصار، فقال له عليه الصلاة والسلام:

«كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟».

قال: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا. فقال عليه الصلاة والسلام:

«أَنْظُرْ مَا تَقُولُ! فَإِنْ لَكَ قَوْلٌ حَقِيقَةٌ، فَمَا حَقِيقَةُ مَا تَقُولُ؟».

فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، فَكَأَنِّي بَعْرَشُ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوُونَ فِيهَا.

فقال له عليه الصلاة والسلام:

«أَبْصَرْتَ فَالْزِمْ، عَبْدُ نَوْرِ اللَّهِ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ».

فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَدْعُ لِي بِالشَّهَادَةِ؛ فَدَعَا لَهُ، فَقُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ شَهِيدًا.

فجاءت أمُّه إلى النبي ﷺ، فقالت: قَدْ عَلِمْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةِ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ تَرْمِ مَا أَصْنَعُ؟ فقال عليه الصلاة والسلام:

«أَوْ هَبِلَتْ، أَجْنَةُ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ

الْأَعْلَى».

فرجعت وهي تَضْحَكُ وتقول: بَخٍ، بَخٍ يَا حَارِثَةُ! ^(١).

(١) «أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَالبَزَارُ، وَغَيْرُهُمَا».

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ

غيرته :

رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلًا ، أَهْلُهُ حَتَّى آتِي بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «نَعَمْ» .

فَقَالَ سَعْدُ : كَلَّا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ! كُنْتُ لِأُعْجِلَنَّهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ .
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

«اسْمَعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ ؟ إِنَّهُ لَغَيُورٌ ، وَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَغَيْرُ مِنِّي» .

كرمه :

رَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ :

كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ إِذَا أُمْسَوْا ، انْطَلَقَ الرَّجُلُ بِالوَاحِدِ ، وَالرَّجُلُ بِالِاثْنَيْنِ ،
وَالرَّجُلُ بِالْجَمَاعَةِ ، وَأَمَّا سَعْدُ فَكَانَ يَنْطَلِقُ بِثَمَانِينَ ! .

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ :

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ» .

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مَشْهُورًا بِالْجُودِ ، هُوَ وَأَبُوهُ وَجَدُّهُ وَوَلَدُهُ ! .

وكان لهم أطم^(١) يُنادى عليه كلُّ يوم: من أحبَّ الشَّحْمَ، واللُّحْمَ،
فَلْيَأْتِ أطمَ دليم بنِ حارثة!.

وكانت جَفْنَةُ^(٢) سعد، تَدُورُ مَعَ النبي في بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ!.

(١) الأطم بالضم: بناء مرتفع وجمعه أظام.
(٢) الجفنة: كالقصعة، وجمعها، جفان، وجفَنَات بالتحريك.

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهَ مَا
جَاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلَ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَاطِلًا
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ الْبَاطِلُ

حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا اسْتُخْلِفَ «عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ» مَكَثَ شَهْرَيْنِ مُقْبِلًا عَلَى
بَيْتِهِ وَحُزْنِهِ، لَمَّا ابْتُلِيَ بِهِ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ !.

ثُمَّ أَخَذَ يَنْظُرُ فِي أُمُورِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، وَيُرِدُّ الْمِظَالِمَ إِلَى أَهْلِهَا، حَتَّى
كَانَ هَمُّهُ بِالنَّاسِ أَشَدَّ مِنْ هَمِّهِ بِأُمُورِ نَفْسِهِ ! فَعَمِلَ بِذَلِكَ حَتَّى انْقَضَى أَجَلُهُ .

فَلَمَّا تُوفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَاءَ الْفُقَهَاءُ إِلَى زَوْجَتِهِ يُعَزُّوْنَهَا، وَيَذْكُرُونَ
عِظَمَ الْمَصِيبَةِ الَّتِي أَصِيبَ بِهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ لِمَوْتِهِ .

وَقَالُوا لَهَا : أَخْبِرِينَا عَنْهُ ؟ فَإِنْ أَعْلَمَ النَّاسُ بِالرَّجُلِ أَهْلُهُ .

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا كَانَ بِأَكْثَرِكُمْ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا، وَلَكِنْ مَا رَأَيْتُ عَبْدًا
كَانَ أَشَدَّ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عُمَرَ ! .

كَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَدْ فَرَّغَ بَدَنَهُ وَنَفْسَهُ لِلنَّاسِ، فَكَانَ يَقْعُدُ لِحَوَائِجِهِمْ
يَوْمَهُ ! .

فَإِذَا أَمْسَى وَعَلَيْهِ بَقِيَّةُ لِحَوَائِجِهِمْ، دَعَا بِمُصْبَاحٍ كَانَ يَسْتَضِيحُ بِهِ مِنْ

ماله، ثم صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَقْعَىٰ وَاضِعاً يَدَهُ تَحْتَ ذَقْنِهِ، تَسِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّهِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ بَرَقَ الْفَجْرُ، فَأَصْبَحَ صَائِماً.

فقلت له: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لِشَيْءٍ مَا كَانَ مِنْكَ مَا رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ!

قال: أَجَلٌ؛ إِنَّمَا وَجَدْتُنِي وَلَيْتُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَذَكَرْتُ الْغَرِيبَ الضَّائِعَ، وَالْفَقِيرَ الْجَائِعَ، وَالْأَسِيرَ الْمَقْهُورَ، وَأَشْبَاهَهُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ.

فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَائِلِي عَنْهُمْ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ حَاجِبِي فِيهِمْ، فَخِفْتُ أَنْ لَا يَثْبِتَ لِي عِنْدَ اللَّهِ عُذْرٌ، وَلَا يَقُومَ لِي مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ حُجَّةٌ فَخِفْتُ عَلَى نَفْسِي!

وفي رواية قالت:

وَاللَّهِ إِنْ كَانَ لَيَكُونُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ سُرُورُ الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ، بَيْنِي وَبَيْنَهُ لِحَافٌ، فَيَخْطُرُ عَلَى قَلْبِهِ الشَّيْءُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَيَنْتَفِضُ كَمَا يَنْتَفِضُ طَائِرٌ وَقَعَ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ يَنْشَجُ، ثُمَّ يَرْتَفِعُ بِكَأُوهِ حَتَّى أَقُولَ: وَاللَّهِ لَتَخْرُجَنَّ نَفْسُهُ! فَأُطْرَحَ اللَّحَافُ عَنْهُ رَحْمَةً لَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: يَا لَيْتَ كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذِهِ الْإِمَارَةِ بُعْدُ الْمَشْرِقَيْنِ! فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سُرُوراً مِنْذُ دَخَلْنَا فِيهَا!

موقفه مع ابنه:

حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ أَوْلَادِهِ اتَّخَذَ خَاتِماً، وَاشْتَرَى لَهُ فَصّاً بِأَلْفِ دِرْهَمٍ! فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ فَصّاً بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، فَبِعْهُ وَأَشْبِعْ بِهِ أَلْفَ جَائِعٍ! وَاتَّخِذْ خَاتِماً مِنْ حَدِيدٍ صِينِي، وَاكْتُبْ عَلَيْهِ:

«رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ».

حاله في القبر:

حُكِيَ عَنْ رَجَاءٍ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي مَرَضِهِ:

كُنْ فِيمَنْ يُغَسِّلُنِي، وَيُكَفِّنُنِي، وَيَدْخُلُ قَبْرِي! فَإِذَا وَضَعُونِي فِي لَحْدِي،
فَحَلَّ الْعُقْدَةَ، ثُمَّ انْظُرْ فِي وَجْهِ، فَإِنِّي قَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً مِنَ الْخُلَفَاءِ، كُلُّهُمْ إِذَا
وَضَعْتُهُ فِي لَحْدِهِ، حَلَلْتُ الْعُقْدَةَ، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا وَجْهُهُ مُسْوَدٌّ فِي
غَيْرِ الْقَبِيلَةِ!

قال رجاء: فلما مات أمير المؤمنين، فُكِنْتُ فِيمَنْ غَسَّلَهُ، وَكَفَّنَهُ، وَدَخَلَ
فِي قَبْرِهِ، فلما حللت العقدة، نظرت إلى وجهه، فإذا وجهه كالقراطيس في القبلة.

قول رعاة الشاء:

وحكي أنه لما ولي قالت رعاة الشاء في ذروة الجبال: مَنْ هَذَا الْخَلِيفَةُ
الصَّالِحُ الَّذِي قَامَ عَلَى النَّاسِ؟!

فَقِيلَ لَهُمْ: وَمَا عَلَّمُكُمْ بِذَلِكَ؟

قالوا: إِذَا قَامَ عَلَى النَّاسِ خَلِيفَةُ صَالِحٍ، كَفَّ الذُّنَابُ وَالْأَسَدُ عَنْ
شَانِنَا.

وكان رضي الله تعالى عنه، كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ	وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمٌ
يَغْرُوكَ مَا يَفْنَى وَتَفْرَحُ بِالْمُنَى	كَمَا غُرَّ بِاللَّذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمٌ
وَشُغْلُكَ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ ^(١)	كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبِهَائِمُ

زهد:

وعن مسلمة قال: دَخَلْتُ عَلَى «عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ» أَعُوذُ فِي مَرَضِهِ؛
فَإِذَا عَلَيْهِ قَمِيصٌ وَسِخٌ، فَقُلْتُ: لِفَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ زَوْجِهِ: يَا فَاطِمَةُ!
اغْسِلِي قَمِيصَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ!

(١) غِبُّ كُلِّ شَيْءٍ: عَاقِبَتُهُ.

قالت: نفعلُ إن شاء الله... ثم غَدَوْتُ فإذا القميصُ على حاله! .
فقلت: يا فاطمة! أَلَمْ أَمْرُكُمْ أَنْ تَغْسِلُوا قَمِيصَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ
النَّاسَ يَعُودُونَهُ! .

قالت: والله ما له قَمِيصٌ غَيْرُهُ! .

حاله بعد الخلافة:

وعن يونس بن أبي شَيْبٍ قال: شهدتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وهو يطوفُ
بِالْبَيْتِ. وَإِنْ حُجَّزَ إِزَارُهُ لَغَائِبَةٍ فِي عُنْكَه، ثُمَّ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا اسْتُخْلِفَ، وَلَوْ
شِئْتُ أَنْ أَعْدَّ أَضْلَاعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَمْسَّهَا لَفَعَلْتُ.

سببُ إنابته:

قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا كَانَ بَدْءُ إِنْابَتِكَ؟ .
قال: أَرَدْتُ ضَرْبَ غُلَامٍ لِي. فَقَالَ لِي: يَا عُمَرُ اذْكُرْ لَيْلَةَ صَبِيحَتِهَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ! .

الجانب العلمي في حياة عمر بن عبد العزيز:

تَبَرَّزَ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ فِي الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَحَدُهَا: إِقَامَتُهُ وَرِفْعَةُ مَكَانَتِهِ فِي الْعِلْمِ.

ثَانِيهَا: نَشْرُهُ الْعِلْمَ فِي الْأَمْصَارِ وَالْبَوَادِي.

ثَالِثُهَا: تَدْوِينُهُ الْعِلْمَ وَتَثْبِيثَهُ، خَشْيَةً أَنْ يَرَاهُ بِمَوْتِ حَمَلَتِهِ.

أما الأمر الأول:

فَقَدْ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ الْمُتَرَجِّمِينَ لَهُ عَلَى أَنَّهُ أَحَدُ أُمَمِ زَمَانِهِ الْمَلِيَّةِ بِأُتَمَةِ
التَّابِعِينَ. فَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ كُلُّ مِنَ الْإِمَامِينَ: مَالِكٌ، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَصَفَ «إِمَامًا».

وقال فيه مجاهد: أتيناه نُعلِّمه، فما برحنا حتى تعلَّمنا منه!
وقال ميمون بن مهران: ما كانت العلماء عند عُمر إلا تلاميذة!
وقال أيضاً: كان عُمر بن عبد العزيز معلِّم العلماء.

وذكر الحافظ ابن عبد البر في كتابه: «جامع بيان العلم وفضله» (١٢٨/٢) ججاج عُمر لبعض خوارج الجزيرة: وأخذ الغلبة عليهم، ثم قال فيه: كان أحد الراسخين في العلم رحمه الله^(١)!

وكان رحمه الله تعالى: إماماً، فقيهاً، مُجتهداً، عارفاً بالسُّنن، كبير الشأن، حافظاً، قانتاً لله، أوهاً مُنبياً.

يُعَدُّ في حُسْن السَّيرة، والقيام بالقسط مع جدّه لأمه عُمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي الزُّهد مع الحسن البصري رحمه الله تعالى.

وفي العلم مع الزُّهري، ولكن موته قُرب من موت شيوخه، فلم ينتشر علمه.

وكان طلبه للعلم في مُقتبل شبابه، على شيوخ المدينة المنورة، الزَّاخرة بالأئمة من عُيون التابعين، فنهل من علمهم وأدبهم.

وكفانا قول الإمام أحمد رضي الله عنه: إذا رأيت الرَّجُل يُحِبُّ «عُمر بن عبد العزيز» ويذكر محاسنه وينشرها، فاعلم أن من وراء ذلك خيراً إن شاء الله!

(١) كما في مسند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

وأما الأمر الثاني:

فذلك في إرساله العلماء إلى الأمصار والبادي، ليعلموا أهلها شرع الله ويفقهوهم فيه!!.

فأرسل نافع مولى ابن عمر إلى أهل مصر ليعلمهم السنن؛ وأرسل بكر سودة المصري، إلى إفريقية مع تسعة علماء، ليفقهوا أهلها.

وأما الأمر الثالث:

وهو تدوينه العلم وتثبيته، فذلك في إرشاداته وأوامره الخاصة والعامة بتدوين السنة عامة، وروايات بعض الصحابة والتابعين خاصة.

فمن إرشاداته قوله رضي الله عنه: قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ!.

وهذا يدل على ذهابه إلى ما استقر عليه الأمر من جواز كتابة العلم.

وروى البخاري في صحيحه كتاب «عمر بن عبدالعزيز» إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: «أَنْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ». أي: اندراسه وذهاب العلماء.

عن عبد الله بن دينار قال: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ:

أَنْ أَنْظُرَ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ سُنَّةٍ مَاضِيَةٍ، أَوْ حَدِيثِ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي قَدْ خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ أَهْلِهِ.

وعن ابن شهاب قال: أَمَرْنَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِجَمْعِ السُّنَنِ، فَكَتَبْنَاهَا دَفْتَرًا دَفْتَرًا، فَبَعَثَ إِلَى كُلِّ أَرْضٍ لَهَا عَلَيْهَا سُلْطَانٌ دَفْتَرًا.

فهذا كله يدل على عمق نظره، ودقة فكره، وناقد بصره في العلم،

رحمه الله تعالى، وجزاه عن الإسلام والسُّنة النبوية، عَظِيمَ الأجرِ ووافرِ الثواب.

، إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أدخر لعمر بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه، منقبة اقتراحه على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، بمهمة جمع القرآن الكريم!.

وقد تمَّ ذلك بناءً على دِقَّة ملاحظته لحوادث يوم اليمامة.

وأدخر لسبطه عمر بن عبدالعزيز، منقبة أمره علماء عصره بجمع السنة النبوية.

بناءً على دقة ملاحظته لذهاب العلماء، واندراس العلم بذهابهم. والله تعالى هو الموفق لجميع الخيرات.

أَمَّا عَمَّتْ أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ نَجِيبًا ...
وَأَنَّ نَجِيبَ بَنِي أُمَيَّةَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
وَأَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَهَدًى .

« محمد بن علي بن الحسين »^(١)

(١) انظر صور من حياة التابعين للأستاذ الباشا.

الإمام الشافعي

عبادته:

رُوي أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء:
ثلثاً للعلم، وثلثاً للعبادة، وثلثاً للنوم.

قال الربيع: كان الشافعي يختم القرآن في رمضان ستين مرة، كل ذلك في الصلاة.

زهده:

قال رضي الله عنه: ما شِيعْتُ منذ ست عشرة سنة؛ لأن الشَّبع يُثْقِلُ
الْبَدَنَ، وَيُقْسِي الْقَلْبَ، وَيُزِيلُ الْفِطْنَةَ، وَيَجْلِبُ النَّوْمَ، وَيُضْعِفُ صَاحِبَهُ عَنِ
الْعِبَادَةِ.

وقال رحمه الله: مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ حُبِّ الدُّنْيَا، وَحُبِّ خَالِقِهَا فِي
قَلْبِهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ.

سخاؤه:

حُكي أنه قَدِمَ «مكة المكرمة» بعشرة آلاف دينارٍ، فَضَرَبَ خِباءَهُ فِي
مَوْضِعٍ خَارِجٍ مَكَّةَ، وَنَثَرَهَا عَلَى ثَوْبٍ لَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى كُلِّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ،
وَيَقْبِضُ لَهُ قَبْضَةً وَيُعْطِيهِ، حَتَّى صَلَّى الظُّهْرَ، وَنَفَضَ الثَّوْبَ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ
شَيْءٌ، وَأَنْشَدَ قَائِلاً:

يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى مَالٍ أَجُودُ بِهِ
عَلَى الْمُقْلِينَ مِنْ أَهْلِ الْمُنْرَوَاتِ
إِنْ اعْتَذَرِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي
مَا لَيْسَ عِنْدِي لِمَنْ إِحْدَى الْمُصِيبَاتِ

ورعه :

سُئِلَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَسَكَتَ فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تُجِيبُ
رَحِمَكَ اللَّهُ؟! .

فَقَالَ: حَتَّى أَذْهَبَ، الْفَضْلُ فِي سُكُوتِي، أَوْ فِي جَوَابِي؟ .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْوَزِيرِ: خَرَجَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَوْمًا
مِنْ سُوقِ الْقِنَادِيلِ، فَتَبِعْنَاهُ، فَإِذَا رَجُلٌ يَسْفُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ!
فَالْتَفَتَ الشَّافِعِيُّ إِلَيْنَا وَقَالَ:

نَزَّهُوا أَسْمَاعَكُمْ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَا، كَمَا تُنْزَهُونَ أَلْسِنَتَكُمْ عَنِ النُّطْقِ بِهِ!
فَإِنَّ الْمُسْتَمَعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ، وَإِنْ السَّفِيهِ لَيَنْظُرُ إِلَى أَخْبَثِ شَيْءٍ فِي إِنَائِهِ،
فَيَحْرِصُ أَنْ يُفْرِغَهُ فِي أَوْعِيَّتِكُمْ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةُ السَّفِيهِ، لَسَعِدَ رَأْدُهَا، كَمَا
شَقِيَ بِهَا قَائِلُهَا!

خوفه :

رَوَى أَنَّ سَفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ حَدَّثَ حَدِيثًا فِي الرِّقَاقِ، وَالشَّافِعِيُّ جَالِسٌ،
فَلَمَّا سَمِعَ الْحَدِيثَ غُشِيَ عَلَيْهِ .

فَقِيلَ لِسَفْيَانَ: قَدْ مَاتَ الشَّافِعِيُّ! فَقَالَ: إِنْ مَاتَ فَقَدْ مَاتَ أَفْضَلُ
زَمَانِهِ .

وَسَمِعَ مَرَّةً مِنَ الْحَارِثِ بْنِ لَبِيدٍ فِي «مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ» عَلَى الصُّفَا يَقْرَأُ قَوْلَهُ
تَعَالَى:

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿١﴾.

وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَاقْشَعَرَ جِلْدُهُ، وَاضْطَرَبَ اضْطِرَاباً
شَدِيداً، وَخَرَّ مَغْشِياً عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ جَعَلَ يَقُولُ:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَقَامِ الْكَاذِبِينَ، وَإِعْرَاضِ الْغَافِلِينَ، اللَّهُمَّ لَكَ خَضَعْتُ قُلُوبُ
الْعَارِفِينَ، وَذَلَّتْ لَكَ رِقَابُ الْمُشْتَاقِينَ، إِلَهِي! هَبْ لِي جُودَكَ! وَجَلِّلْنِي
بِسِتْرِكَ! وَاعْفُ عَن تَقْصِيرِي بِكَرَمِ وَجْهِكَ!

حُكِيَ أَنَّهُ وَقَعَ سَوْطُهُ مِنْ يَدِهِ مَرَّةً، فَرَفَعَهُ إِنْسَانٌ إِلَيْهِ، فَأَعْطَاهُ جِزَاءً
عَلَيْهِ خَمْسِينَ دِينَاراً.

إِرَادَتُهُ بَعْلَمَهُ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى:

رَوِيَ أَنَّهُ قَالَ: وَدِدْتُ أَنْ النَّاسَ انْتَفَعُوا بِهَذَا الْعِلْمِ، وَمَا نُسِبَ إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ.
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يُؤَفَّقَ،
وَيُسَدَّدَ، وَيُعَانَ، وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللَّهِ وَحِفْظٌ.

وَقَالَ: مَا نَظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ.

شَهَادَةُ أَهْلِ الْفَضْلِ لَهُ:

قَالَ أَبُو ثَوْرٍ: مَا رَأَيْتُ، وَلَا رَأَى الرَّأُونَ مِثْلَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَا صَلَّيْتُ صَلَاةً مِنْذَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، إِلَّا وَأَنَا أَدْعُو لِلشَّافِعِيِّ.

(١) المرسلات: ٣٥ - ٣٦.

ولكثرة دُعائه له قال له ابنه: أَيُّ رَجُلٍ كان الشافعيُّ، حتَّى تَدْعُو له هذا الدعاء؟

فقال أحمد: يا بُنَيَّ! كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس.

وقال أيضاً: ما مَسَّ أَحَدٌ بيده مِخْبَرَةٌ إِلَّا وللشافعي فيه مِنَّةٌ.

وعظُه وإرشاده:

حُكِيَ أَنَّ شَابًا قال له: عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ! فقال رضي الله عنه: اعْلَمْ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ اللَّهَ نَجَا، وَمَنْ أَشْفَقَ عَلَى دِينِهِ سَلِمَ مِنَ الرَّدِّ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنَاهُ مِمَّا يَرَاهُ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى غَدًا؛ أَفَلَا أَرِيدُكَ؟

قلت: نعم!

قال: مَنْ كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ.

١ - مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقَى الْمُنْكَرَ.

٢ - وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَانْتَهَى.

٣ - وَحَافَظَ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى.

أَلَا أَرِيدُكَ؟

قلت: بلى!

فقال: كُنْ فِي الدُّنْيَا زَاهِدًا، وَفِي الْآخِرَةِ رَاغِبًا، وَاصْذُقِ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، تَنْجُ مَعَ النَّاجِينَ.

وقال رضي الله عنه: مَنْ لَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ!

وقال رضي الله تعالى عنه: مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مُجِبٌّ وَمُبْغِضٌ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكُنْ مَعَ أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وقيل للشافعي رحمه الله تعالى: متى يكون الرجل عالماً؟

قال: إذا تحقّق في علمٍ فعلمه، وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاتّه، فعند ذلك يكون عالماً.

وقال رضي الله عنه: إذا خفت على عمّلك العُجبَ فانظر رضا مَنْ تطلبُ؟ وفي أي ثوابٍ ترغّبُ؟ ومن أيّ عقابٍ ترهبُ؟ وأي عافية تشكرُ؟ وأي بلاءٍ تذكرُ؟

فإنك إذا تفكّرت في واحدةٍ من هذه الخصال، صغرَ في عينك عمّلك.

حاله عند موته:

حكى أن الإمام المزملي، دخل على الإمام الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فأجابهُ قائلاً:

أصبحتُ من الدنيا راجلاً، وللإخوان مُفارقاً، ولِسَيِّءِ عَمَلِي مُلاقياً، ولِكأسِ المَنيّةِ شارباً، وعلى ربّي تبارك وتعالى وارداً، لا أدري: تصيرُ روحي إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزّيها، ثم أنشد قائلاً:

ولما قسا قلبي وضّقت مذاهبي
جعلتُ الرجاء مني لعفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربّي كان عفوك أعظماً
وما زلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل
تجود وتغفو منّة وتكرماً

شَرْحُهُ لِحَالِهِ :

سُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ حَالِهِ؟ فَقَالَ: كَيْفَ حَالُ مَنْ يُصْبِحُ
وَيُطَالِبُهُ ثَمَانِيَّةٌ :

- ١ - كِتَابُ رَبِّهِ بِالْعَمَلِ
- ٢ - وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ بِالْمَتَابَةِ
- ٣ - وَنَفْسُهُ بِالشَّهَوَاتِ
- ٤ - وَشَيْطَانُهُ بِالْمُخَالَفَاتِ
- ٥ - وَعِيَالُهُ بِالْقُوتِ
- ٦ - وَهَوَاهُ بِطُولِ الْأَمَلِ
- ٧ - وَالذَّهْرُ بِصُرُوفِهِ
- ٨ - وَمَلِكُ الْمَوْتِ بِقَبْضِ رُوحِهِ!

شَعْرُهُ الرَّائِعُ :

حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا مَرَضَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ذَهَبَ لِعِيَادَتِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ جَزَعُ
الشَّافِعِيِّ جَزَعًا أَوْقَعَهُ فِي الْفِرَاشِ، فَذَهَبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ لِعِيَادَتِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بَرِيءٌ. فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

مَرِضَ الْحَبِيبُ فَزُرْتُهُ فَجَزَعْتُ مِنْ حُزْنِي عَلَيْهِ
عَمَادَ الْحَبِيبِ فَزَارَنِي فَبَرِئْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ

وَقَالَ مَرْغَبًا بِالْقَنَاعَةِ وَمُوصِيًا بِهَا :

عَزِيزُ النَّفْسِ مَنْ لَزِمَ الْقَنَاعَةَ

وَلَمْ يَكْشِفْ لِمَخْلُوقٍ قِنَاعَهُ^(١)

أَفَادَتْنِي التَّجَارِبُ كُلُّ عِزٍّ

وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ

(١) القناعة: الرضا بالقسم، قليلاً كان أو كثيراً.

القناع: كشف ما تقنع به من رداء أو خمار، فهو كناية عن صفة كشف حاله لغير الله،
وفيه من البديع الجناس الناقص.

فَصَيَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ
 وَصَيَّرَ بَعْدَهَا التَّقْوَى بَضَاعَةً
 وَلَا تُطِيعِ الْهَوَى وَالنَّفْسَ وَاعْمَلْ
 مِنْ الْخَيْرَاتِ قَدْرَ الْإِسْطَاعَةِ
 أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
 لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً^(١)
 وَأَكْرَهُ مَنْ بَضَاعَتُهُ الْمَعَاصِي
 وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ

وله أيضاً:

أَمْتُ مَطَامِعِي فَأَرْحْتُ نَفْسِي
 فَإِنَّ النَفْسَ مَا طَمِعَتْ تَهُونُ
 وَأَحْيَيْتُ الْقُنُوعَ وَكَانَ مَيْتاً
 فِي إِحْيَائِهِ عَرُضِي مَضُونُ
 إِذَا طَمَعٌ يَجِلُّ بِقَلْبٍ عَبْدٍ
 عَلَتْهُ مَهَانَةٌ وَعَلَاهُ هُونُ

وله أيضاً:

عِلْمِي مَعِيَ حَيْثُمَا قَدْ كُنْتُ يَنْفَعُنِي
 قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقٍ

(١) فهذا تواضع من هذا الإمام الكبير، وتعليم وإرشاد للعلماء والمتعلمين؛ بأن الرجل مهما بلغ من العلم والمعرفة، والتقوى والعبادة، إن لم يكن فيه صفة التواضع والخنوع، والتدلل لله تعالى والخضوع، وهضم النفس واتهامها بالتقصير، فهو مغرور يجب عليه أن يصحح سيره، وأن يتوب إلى الله تعالى من هذه الصفات، الموجبة للمقت والعياذ بالله تعالى. وعليه أن يُكثر من المطالعة في «تنبيه المغترين».

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَقَالَ مُنْفَرًّا مِنَ الزَّنا، وَمُحَذِّرًا مِنْهُ:

عَفُّوا تَعِفُّ نَسَاؤُكُمْ فِي الْمَحْرَمِ
وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ
إِنَّ الزَّنا دَيْنٌ إِذَا أَقْرَضْتَهُ

كَانَ الْوَفَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمْ
مَنْ يَزْنِ يُزْنِ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ

إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَيْبًا فَافْهَمْ
يَا هَاتِكَأ حُرْمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعًا

سُبُلَ الْمَوَدَّةِ عِشْتَ غَيْرَ مُكْرَمٍ
لَوْ كُنْتَ حُرًّا مِنْ سُلَالَةٍ طَاهِرٍ

مَا كُنْتَ هَتَاكَأ لِحُرْمَةِ مُسْلِمٍ

وَقَالَ مَرَّغِبًا بِالتَّجَمُّلِ، وَمُحِبِّيًا فِيهِ:

حَسَنُ ثِيَابِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهَا

زَيْنُ الرِّجَالِ، بِهَا تُعَزُّ وَتُكْرَمُ
وَدَعِ التَّخَشُّنَ فِي الثِّيَابِ تَوَاضِعًا

فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّ وَتُكْتُمُ
فَجَادِدْ ثَوْبَكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ مَا

تَخْشَى الْإِلَهَ وَتَتَّقِي مَا يَحْرُمُ
وَرِثِيَتْ ثَوْبَكَ لَا يَزِيدُكَ رِفْعَةً

عِنْدَ الْإِلَهَ وَأَنْتَ عَبْدٌ مُجْرِمٌ

وقال في أدب المجالس:

إذا رُمْتَ الدُّخُولُ عَلَى أَنَسٍ
فَكُنْ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَقْلِ
فَإِنْ رَفَعُوكَ كَانَ الْفَضْلُ مِنْهُمْ
وَإِنْ أَبْقَوْكَ قُلْ هَذَا مَحَلِّي

وقال أيضاً:

فَمَنْ مَنَعَ الْجُهَّالَ عِلْماً أَضَاعَهُ
وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ

وقال أيضاً:

إذا شئتَ أن تحيا سليماً من الأذى
وذنوبك مغفور وعرضك صيّن
لسانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عورات وللسان ألسن

قيل للإمام الشافعي رضي الله عنه: ما لك تدمن إمساك العصا، ولست
بضعيف؟ فقال: لأذكر أنني مسافر من الدنيا إلى الآخرة!

فإمامنا «الشافعي» رضي الله تعالى عنه، أعرف من أن يُعرف، وأشهر
من أن يُذكر، فهو: كالعلم إذا ذكر العلماء، والشمس في رابعة السماء،
والبدر في الليلة الظلماء.

ولهذا اكتفينا بذكر بعض مآثره، عما ذكره المؤرخون والعلماء، من
إسهاب وإطناب، من حين ولادته إلى حين وفاته، فتكرار أمثال هذه

الذكریات - حَقّاً - هو التریاقُ المجرَّبُ للقلوب، والدَّواءُ النَّاجعُ للنفوس، والله
دُرُّ القائل:

كَرَّرَ عَلَيَّ حَدِيثُهُمْ يَا هَارِيبَ
فَحَدِيثُهُمْ يَجْلُو الْفَوَآرَ الصَّارِي

دَاوُدُ الطَّائِي

سَبَبُ إِنَابَتِهِ:

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، يَحْضُرُ مَجْلِسَ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا فِي تَقْرِيرِهِ: أُمَّا الْأَلَاتُ فَقَدْ أَحْكَمْنَاهَا.

فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: فَمَا بَقِيَ؟

قَالَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ: الْعَمَلُ بِمَا عَلَّمْنَاهُ.

فَاعْتَزَلَهُ وَتَزَهَّدَ وَتَعَبَّدَ، وَانْقَطَعَ لَذَلِكَ حَتَّى صَارَ فَحْلًا مِنَ الْفُحُولِ.

وَقِيلَ: وَإِنْ سَبَبُ تَوْبَتِهِ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ تَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهَا!.

فَأُعْجِبَتْ بِجَوَابِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: هَذَا الْعِلْمُ، فَأَيْنَ الْعَمَلُ؟!

فَأَثَّرَ كَلَامُهَا فِي قَلْبِ دَاوُدَ، فَاعْتَزَلَ وَتَعَبَّدَ، فَصَارَ عَظِيمَ الشَّانِ، عِلْمًا وَعَمَلًا، وَزُهْدًا وَوَرَعًا!.

زُهْدُهُ:

حُكِيَ عَنْ صَالِحِ بْنِ مُسْلِمِ الْعُجْلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى دَاوُدَ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِهِ بَارِيَةٌ - يَعْنِي الْحَصِيرَ - وَلَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ!.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ ضَرَّارِ الْعُجْلِيِّ: أَتَيْتُ دَاوُدَ فَوَجَدْتُهُ فِي دَارٍ وَاسِعَةٍ خَرِبَةٍ

ما فيها إلا بيت ليس له باب! فقلت له: يا أبا سليمان! أنت في دار وحشة،
لو اتخذت لبيتك هذا باباً!

فقال: حالت وحشة القبر، بيني وبين وحشة الدنيا وأهلها.

حُزْنُهُ:

وكان الغالب عليه الحُزْنُ، فكان يقوم بالليل مُناجياً ربه: يا إلهي!
هَمَّكَ عَطَّلَ عليَّ الهموم، وحال بيني وبين الرقاد، وشوقني إلى النظر إليك،
ومنعني اللذات والشهوات، فأنا في سجنك يا كريم!

عِزَّتُهُ:

كان إذا خرج مشى في الطريق المهجورة البعيدة، فيقال له: الطريق
من ههنا أقرب! فيقول: «فر من الناس فرارك من الأسد»!

خَوْفُهُ ومَحَاسِبَتُهُ:

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:
دخل رجل على داود، فقال له: ما حاجتك؟
قال: جئت لزيارتك.

قال داود: أما أنت فقد عملت خيراً حين زرت؛ ولكن... أنظر ماذا
ينزل بي أنا؟ إذا قيل: من أنت فتزار؟ أم الزهاد أنت؟ لا والله، أم العباد
أنت؟ لا والله، أم الصالحين أنت؟ لا والله!

ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول: كنت في الشبهة فاسقاً، فلما كبرت صرت
مرائياً! والله للمرائي أشر من الفاسق!

غَيْبُتُهُ:

كانت النَّمْلَةُ تَدُورُ فِي وَجْهِهِ: طُولاً وَعَرْضاً فَلَا يَفْطِنُ لَهَا، مِنْ الْهَمِّ
وَالْتَفْكِيرِ، يَعْنِي: فِي شَأْنِ الْآخِرَةِ.

وعظه:

قال رحمه الله تعالى: صُمِّ عَنْ الدُّنْيَا! وَأَفْطِرْ عَلَى الْمَوْتِ! حَتَّى إِذَا
كَانَ عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ، أَتَاكَ خَازِنُ الْجَنَّةِ بِشَرْبَةٍ مِنْ مَاءِ الْجَنَّةِ، تَشْرِبُهَا عَلَى
فِرَاشِكَ، فَتَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ رَيَّانٌ، وَتَنْزِلُ الْقَبْرَ وَأَنْتَ رَيَّانٌ، وَيَمُكُّ
النَّاسُ يَتَرَدَّدُونَ فِي ظُلْمَةِ الْقِيَامَةِ، جِيَاعاً عَطَاشاً مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَنْتَ رَيَّانٌ.

وكان يقول: إِيَّاكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ فِي دَارِهِ أَكْثَرَ مِنْ زَادِ الرَّكَّابِ!

وقال له رَجُلٌ: أَوْصِنِي! قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَسْكَرُ الْمَوْتِ يَنْتَظِرُكَ.

وقال لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: إِذَا كُنْتَ تَشْرَبُ الْمَاءَ الْمُبَرَّدَ، وَتَأْكُلُ اللَّذِيذَ
الْمَطْيَّبَ، وَتَمْشِي فِي الظِّلِّ، فَمَتَى تُحِبُّ الْمَوْتَ! وَالْقُدُومَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؟
فَبَكَى سُفْيَانٌ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

سَخَاؤُهُ:

اِحْتَجَمَ يَوْماً فَأَعْطَى الْحَبَّامَ دِينَاراً. قِيلَ لَهُ: هَذَا إِسْرَافٌ!.

قال: لَا عِبَادَةَ لِمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ.

بطولته في السخاء

حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ مشهور بالسَّخَاءِ، مَرَّ عَلَى بُسْتَانٍ، فَرَأَى فِيهِ عَبْدًا مِنَ الْعَبِيدِ، يَعْمَلُ فِيهِ، وَيَجْمَعُ التَّمْرَ، فَجَاءَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ بِرَغِيفَيْنِ لِيَأْكُلَ، فَجَلَسَ الْعَبْدُ لِيَأْكُلَ، فَرَأَى كَلْبًا قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَهُ، يُهَمُّهُمْ وَيُحَرِّكُ ذَنْبَهُ، فَأَلْقَى إِلَيْهِ بِرَغِيفٍ، فَالْتَهَمَهُ سَرِيعًا، وَاقْتَرَبَ مِنْهُ يُحَرِّكُ ذَنْبَهُ - أَيْضًا - فَرَمَى إِلَيْهِ بِالرَّغِيفِ الثَّانِي، وَقَامَ لِعَمَلِهِ!.

فَعَجِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ مِنْ فِعْلِ هَذَا الْعَبْدِ! وَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَسَأَلَهُ: يَا غَلَامُ! كَمْ قُوَّتُكَ كُلَّ يَوْمٍ؟

قَالَ الْعَبْدُ: هُوَ مَا رَأَيْتَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَلِمَ آثَرْتَ بِهِمَا هَذَا الْكَلْبَ؟

قَالَ الْعَبْدُ: إِنَّ أَرْضَنَا لَيْسَتْ بِأَرْضِ كِلَابٍ، وَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا الْكَلْبَ مَا سَاقَهُ إِلَيْنَا إِلَّا الْجُوعُ، فَآثَرْتَهُ عَلَى نَفْسِي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِنَفْسِكَ هَذَا الْيَوْمَ.

قَالَ الْعَبْدُ: أَطْوِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ. أَيُّ: أُبَيْتُ عَلَى الْجُوعِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: يَلُومُنِي النَّاسُ عَلَى السَّخَاءِ! وَهَذَا الْغَلَامُ أُسَخِّى مِنِّي.

فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى سَيِّدِ الْغَلَامِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَبِيعَهُ غُلَامَهُ

هَذَا.

قال سيّد الغلام : ولم تُريدُ شِراءَهُ؟ فأخبرَهُ بما رأى منه، وأنه يُريدُ
شِراءَهُ وعتقَهُ، وشِراءَ البستانِ وإهداءَهُ إليه.

فقال له السيّد: أنتَ تُريدُ أنَ تفعلَ به ذلك، بهذه الخصلة الواحدة،
ونحنُ لا نزالُ نرى منه العجائبَ كُلَّ يومٍ!

أشهدُكَ أنَّه حرٌّ لوجهِ اللهِ تعالى، وأنَّ البستانَ هِبَةٌ مِنِّي إليه!

البطولات الرائعة في الإيثار

حكى أنه كان في بيت من بيوت السلف، عنقود واحد من العنب، فأعطاه الأخ لأخته، فأعطته الأخت لأختها، فأعطته الأخرى لأمها، فخبأته الأم لزوجها، فأطعمه الأب لولده الأول، الذي كان معه العنقود... وهكذا دار العنقود، من واحد إلى واحد، حتى عاد إلى الأول!

وحكى أنه أهدي لبعضهم رأس مشوي، وهو مجهود - أي في حاجة وجهد - فتداولته تسعة أنفس، وكل يقول: أعطه فلاناً فهو أحق! ويدفع به إليه حتى عاد إلى الأول!

يا ابن عمنا: لقد أسرفت!

قال الحسن والحسين لابن عمهما، عبدالله بن جعفر - رضي الله عنهم - يوماً: إنك قد أسرفت في بذل المال!

فقال: بأبي أنما، إن الله عز وجل عودني أن يتفضل علي، وعودته أن أتفضل على عباده، فأخاف أن أقطع العادة، فيقطع عني المائدة.

القرض الحسن:

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: «ما كانوا يعدون القرض معروفاً». يعني: لا يستوي ثواب من يهب المال، وثواب من يقرضه؛ ولكل مقام رجال.

قصة اليتيم

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إنني مجهد - أي شديد الجوع -.

فأرسل إلى بيت إحدى زوجاته يسألها: هل عندك شيء من طعام؟
ف قالت: لا، والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماء!
فأرسل إلى بيوت أزواجه كلهن، يسألهن...
فكان جواب كل واحدة: لا، والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماء.
فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: مَنْ يُضيف هذا الليلة رحمه الله؟
فقام رجل من الأنصار، وذهب به إلى بيته، ودخل على زوجته فقال:
«أكرمي ضيف رسول الله!».

وفي رواية:

أنه سألها: هل عندك شيء من طعام؟
ف قالت: ما عندي إلا قوت صبياني.

فقال: علليهم، فإذا أرادوا الطعام فنوميهم! فإذا كان الليل، فضعي الطعام بين يدي الضيف! ثم قومي إلى السراج فأصلحيه، ثم أطفئيهِ! وأريه أنا نأكل، حتى يأكل الضيف ويشبع.

ف فعلت ما أشار به زوجها، فنومت أطفالها على الجوع، ووضعت الطعام بين يدي الضيف؛ ثم قامت إلى السراج فأطفأته - وهي تظهر أنها تريد إصلاحه - وجلست مع زوجها، وضيئها على الطعام.

وَتَظَاهَرَا أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ - وَلَا يَأْكُلَانِ - حَتَّى أَكَلَ الضَّيْفُ وَشَبَعَ وَحَمِدَ اللَّهُ
تَعَالَى .

فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ ، بِمَا فَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ وَزَوْجُهُ
مَعَ الضَّيْفِ ! .

وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ ، التَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْأَنْصَارِيِّ ، وَقَالَ لَهُ :
«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَجِبَ مِنْ صَنِيعَكُمَا بِضَيْفَكُمَا الْبَارِحَةَ» .
يَعْنِي : رَضِيَ عَنْكُمَا كُلُّ الرِّضَا .

وَنَزَلَ فِيهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ ﴾ ^(١) .

وَحُكِيَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ ثَلَاثُونَ رَجُلًا فِي سَفَرٍ ، وَلَهُمْ أَرْغِفَةٌ مَعْدُودَةٌ لَا تُشَبِعُ
جَمِيعَهُمْ ، فَكَسَرُوا الرُّغْفَانَ ، وَأَطْفَأُوا السَّرَاجَ ، وَجَلَسُوا لِلطَّعَامِ ، فَلَمَّا رُفِعَ ؛
فَإِذَا الطَّعَامُ بِحَالِهِ ، وَلَمْ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْهُ ، إِثَارًا عَلَى نَفْسِهِ ! .

نُكْتَفَى بِهَذَا الْمَوْجِزِ ، بِمَا نَقَلْنَاهُ مِنْ صَفَحَاتِ التَّارِيخِ ، عَنْ بُطُولَاتِ
أَسْلَافِنَا ، نَفَعَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ ، وَوَفَّقَنَا لِلسَّيْرِ عَلَى مَنْهَاجِهِمْ ! .

وَلَوْ أَرَدْنَا البَسْطَ لِهَذَا الْمَوْضُوعِ ، لَضَاقَ بِنَا فَسِيحُ هَذَا الْكِتَابِ ، وَلَكِنْ
الْحَاقِيقُ يَسْتَفِيدُ مِنَ الْقَلِيلِ ، وَالْغَرُّ لَا يَنْفَعُهُ التَّطْوِيلُ .

فَهَذِهِ الذِّكْرِيَّاتُ تَمْحُو عَنْ الْقَلْبِ الرُّانَ ، وَتُذَكِّرُ الْقَارِيءَ بِالْمَلِكِ الدِّيَّانِ ،
وَتُعَلِّمُهُ أَنَّ الرَّجُلَ بِدِينِهِ وَخُلُقِهِ ، بِعِلْمِهِ وَعَمَلِهِ ، بِزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ ، لَا بِمَالِهِ
وَجَاهِهِ ، لَا بِحَسَبِهِ وَنَسَبِهِ .

(١) الخصاصة: الحاجة وشدة الفقر. والآية من سورة الحشر: ٩.

والله در القائل:

هذه السَّعادةُ لا تُؤبَى من عَدِنِ
خِيطاً قَمِيصاً فَصَّاراً بَعْدُ أَسْمَلاً^(١)
تلك المناقبُ لا قَعْبَانِ^(٢) من لَبَنِ
شَيْباً بِمَاءٍ فَعَاداً بَعْدُ أَبْوَلاً

ملاحظة:

فينبغي للوالدين، أن يُربِّيا أولادَهُما على الإيثار منذ الصُّغر، فكلُّ طفلٍ
ينشأ على ما تُربي عليه، وبذلك تحُصِّل الإلفة والمحبة، بين أفراد الأسرة،
ويعيشون سُعداء متحابين!.

(١) السَّمْلُ: الخَلْق من الثياب، يعني: العتيق.
(٢) القَعْب: إناء ضخم كالقصعة، والجمع قعاب.

التوجيه

أركان الدين ثلاثة : الإسلام، الإيمان، الإحسان

الإسلام :

هو الانقياد والاستسلام، للأحكام الشرعية العملية، التي جاء بها سيدنا مُحَمَّدٌ عليه الصلاة والسلام.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ^(١).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٢).

أركان الإسلام خمسة :

شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسولُ الله، وإقامُ الصَّلَاة، وإيتاءُ الزكاة، والحجُّ، وصومُ رمضان.

ومعنى أشهد أن مُحَمَّدًا رسولُ الله :

أَيْ : أَعْلَمُ وَأَتَحَقَّقُ وَأَتَيَقَّنُ بِقَلْبِي، أَنَّ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ فِي هَذَا الْوُجُودِ، إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا.

(١) آل عمران : ١٩ .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

ومعنى إقام الصلاة:

أي: الإتيان بها على الوجه المرضي، وأداؤها في أوقاتها، بأركانها وشروطها، وتجنب مبطلاتها، مع المحافظة على حضور القلب والخشوع فيها.

ومعنى إيتاء الزكاة:

إعطاؤها لمستحقيها من فقير، ومسكين، وغريم، وابن سبيل...

ومعنى صوم رمضان:

بأن يُمسك الصائم عن الأكل، والشرب والجماع، وغيرها من المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، بنية مخصوصة:

ومعنى حج البيت:

أي: بأن يقصد المستطيع البيت الحرام للنسك والعبادة. فهذا هو الإسلام ومتعلقاته، بشكل موجز.

الإيمان:

وهو الركن الثاني من أركان الدين: هو تصديق القلب بما جاء به سيدنا محمد ﷺ.

أركان الإيمان:

أركان الإيمان ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى.

الأول: الإيمان بالله:

وهو أن تؤمن وتصدق بأن الله تعالى موجود، وأنه واحد، وأنه متصف بكل كمال، منزّه عن كل نقص، وأنه الفاعل المختار، الفعال لما يريد؛ ولا يجري في ملكه إلا ما يشاء.

متصف بصفات الكمال، ومنزه عن صفات النقص.
صفات المعاني، وهي: العلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر،
والكلام، والحياة.

صفات المعنوية، وهي: كونه تعالى عالماً، مُريداً، قادراً، سميعاً،
بصيراً، متكلماً، حياً، وغير ذلك مما بسطت في المطولات.

ما يستحيل على الله تعالى :
ويستحيل على الله تعالى أصدادُ هذه الصفات، وقد بسطها علماء
التوحيد في كتبهم الخاصة، وشرحوها شرحاً مفصلاً.

الثاني: الإيمان بالملائكة:
بأن تُصدق بأن لله تعالى مَلَائِكَةً خَلَقَهُمْ مِنْ نُورٍ، لا يَأْكُلُونَ ولا
يشربون، ولا ينامون ولا يتناكبون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما
يؤمرون، وليسوا ذكوراً، ولا إناثاً، وهم كثيرون لا يُحصى عددهم إلا الله،
ومنهم الخاص، ومنهم العام، ويجب على المؤمن أن يعرف الخاص منهم
وهم عشرة.

جبريل، ميكائيل، إسرافيل، عزرائيل، منكر، نكير، رقيب، عتيد،
مالك، رضوان.

وكل واحدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ لَهُ وَظِيفَةٌ خَاصَّةٌ، موَكَّلٌ عَلَيْهَا لَا يَتَعَدَّاهَا.
وقد ذُكِرَتْ فِي الْكُتُبِ الْمَطُولَةِ، فَارْجِعْ إِلَيْهَا، وَاسْأَلْ أَهْلَ الذِّكْرِ عَنْهَا.

الثالث: الإيمان بالكتب:
بأن تُصدق أن الله تعالى أنزل كتباً على رسله، منها: صحف الخليل
إبراهيم، وصحف الكليم موسى، عليهما السلام.

والواجب معرفتها من الكتب أربعة:

- ١ - التوراة المنزل على سيدنا موسى.
- ٢ - والإنجيل المنزل على سيدنا عيسى.
- ٣ - والزبور المنزل على سيدنا داود، عليهم الصلاة والسلام.
- ٤ - والفرقان وهو «القرآن» المنزل على سيدنا محمد ﷺ.

الرابع: الإيمان بالرسول:

هو أن تصدق بأن الله تعالى أرسل رُسُلًا لهداية الناس، وإرشادهم إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم، وهم كثيرون، أولهم: أبو البشر سيدنا آدم، وآخرهم سيدنا محمد ﷺ.

والواجب معرفتهم خمسة وعشرون وهم:

آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، لوط، أيوب، شعيب، موسى، هارون، اليسع، ذو الكفل، داود، سليمان، إلياس، يونس، زكريا، يحيى، عيسى، ونبينا «محمد» ﷺ وعليهم أجمعين.

الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

بأن تصدق بأن أماننا يوماً يجمع الله فيه الأولين والآخرين للجزاء والحساب، يوم يقوم الناس لرب العالمين: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨).

والناس فريقان:

سعداء وأشقياء، أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، ومنهم من كان

(١) زلزلة: ٧ - ٨.

حسابهم يسيراً، ومنهم من كان حسابهم عسيراً، ومنهم من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم بشماله، ومنهم من وراء ظهره.

التصدق بما في يوم القيامة:

ويجب التصديق بما يكون في يوم القيامة: من الحشر، والنشر، والميزان، والصراط، والحساب، والحوض، والجنة، والنار، وغير ذلك، مما ورد ذكره في القرآن، أو أخبر به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الصادق المصدوق بما يُخبر به، أو ينطق عنه.

فما هو إلا وحي من الله، فمن شك فيما أخبر به هذا الرسول، أو حدث به عن ربه، فهو كافر قطعاً لا حظ له في الإسلام، يجب أن يتدارك نفسه بالتوبة وتصحيح عقيدته.

السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:

بأن تصدق تصديقاً جازماً، بأنه لا يكون كائن في الأرض ولا في السماء، إلا بقضاء الله وتقديره، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل شيء بقضاء وقدر.

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

الإحسان:

هو الركن الثالث من أركان الدين، وقد وضَّحه عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل، عندما سأله عن الإحسان ما هو؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام:

«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

(١) يس: ٨٢.

والإحسان : هو روح العبادة التي لا تَتِمُّ إِلَّا بِهَا، وَلَا يُؤْجَرُ إِلَّا بِمَا حُضِرَ فِيهَا، وَرَاقِبَ اللَّهُ مَرَاقِبَةً صَحِيحَةً، أَوْقَعَتْ فِي نَفْسِهِ عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِجْلَالَه، حَتَّى غَيَّبَتْهُ عَنْ حِسِّهِ، كَمَا هُوَ حَالُ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ، الْغَارِقِينَ بِحَبِّهِ، الْمَعْرِضِينَ عَمَّا سِوَاهُ.

الإيمان بالجن :

وَمَا يَنْبَغِي الْإِيمَانُ بِهِ، وَجُودُ الْجِنِّ، فَقَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ نَقْلًا وَإِجْمَاعًا، مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ كَانَ الْحِسُّ قَاصِرًا عَنْ إدْرَاكِ هَذِهِ الْمَغْيِبَاتِ، فَهُوَ مَحْدُودٌ، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْخُضُوعُ وَالْخُنُوعُ لِلنَّقْلِ.

والجن : أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ هَوَائِيَّةٌ، تَتَشَكَّلُ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، قَادِرَةٌ عَلَى الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ، وَمِنْهُمْ الْمَطِيعُ وَالْعَاصِي، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ.

والشياطين : أَجْسَامٌ نَارِيَّةٌ، شَأْنُهُمُ الشَّرُّ وَالْإِغْوَاءُ، وَإِلْقَاءُ النَّاسِ فِي الْفُسَادِ بِتَذْكِيرِهِمْ أَسْبَابَ الْمَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ، حَمَانَا اللَّهُ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ !.

رؤية الله تعالى :

رَوَى عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ :

«إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»^(١). ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى :

(١) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ».

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (١).

وعن صهيب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا
أَزِيدُكُمْ.

فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ أَلَمْ تُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟
قال: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى» (٢)، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٣).

أقول: رؤية الله تعالى جائزة عقلاً: دنيا وأخرى، يقظة ومناماً، فهو
سبحانه موجود، وكل موجود يصح أن يُرى، ولسؤال سيدنا موسى إياها حيث
سألها: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ (٤).

فإنها لو كانت مستحيلة، ما سألها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام؛
ولكنها لم تقع في الدنيا إلا لنبينا عليه الصلاة والسلام على خلاف فيه.

وواجبة شرعاً في الآخرة، للكتاب والسنة والإجماع.

ورؤية الله تكون بقوة يجعلها الله في خلقه، ولا يُشترط فيها مقابلة،
ولا جهة، ولا اتصال أشعة بالمرئي؛ لأنه سبحانه يُدرك بالعقل منزهاً، فكذا
بالبصر؛ لأن كليهما مخلوق.

(١) طه: ١٣٠.

(٢) رواه مسلم، والترمذي.

(٣) يونس: ٢٦.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

وأشار إلى هذا صاحبُ بدءِ الأمالي بقوله :

يَـرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ وَإِدْرَاكِ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ
فَيُنْسَوْنَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ الْإِعْزَالِ

الجنة والنار :

ومما يجب علينا الإيمانُ به : الجنة والنار فهما ثابتان في الكتاب والسنة . قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (١) .

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (٢) .

أقول : إن الله تعالى أوجد الجنة والنار فيما مضى ، فهما الآن موجودتان ، أعد الله النار للكافرين خالدين فيها أبداً ، ولمن شاء من العصاة ، لمدة أرادها الله تعالى لهم .

وأعد الجنة للمؤمنين بمحض فضله ، يتنعمون فيها بأنواع النعيم ، وهي فوق السماء السابعة ، كما أن النار تحت الأرض السابعة .

وها أنا ذا أقدم لك بعض ما ورد من أثر ، لتكون على شوقٍ وحذر :
عن علي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بَطُونِهَا ، وَبَطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا فقام أعرابي فقال : لِمَنْ هي يا رسول الله؟ قال : لِمَنْ أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصَّيام ، وصلى بالليل والناس نيام» .

(١) مريم : ٦٣ .

(٢) التحريم : ٦ .

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، إِنْ شِئْتُمْ

فَاقْرَءُوا: ﴿وَوَظِلٌّ مِّمَّا دُورُ﴾ (٢٠) وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ﴿١﴾ (٢).

رُوي عن عكرمة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ الْحَوْرَ الْعَيْنَ لَأَكْثَرُ عَدَدًا مِنْكُنَّ، يَدْعُونَ لِأَزْوَاجِهِنَّ يَقُلْنَ:
اللَّهُمَّ أَعِنَا عَلَى دِينِكَ بِعِزَّتِكَ، وَأَقْبِلْ بَقْلَبِهِ عَلَى طَاعَتِكَ، وَبَلِّغْهُ إِلَيْنَا
بِقُرْبِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ» (٣).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال رسول الله ﷺ:
«ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ، وَغِلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ».

وفي رواية:

«مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاکِبِ الْمُسْرِعِ» (٤).
وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ:
«تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ.
وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟
فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَسَاءَ مِنْ عِبَادِي.
وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَعْدَبُ بِكَ مَنْ أَسَاءَ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ
مِنْكُمَا مِلْؤُهَا» (٥).

(١) الواقعة: ٣٠ - ٣١.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا.

(٤) رواه مسلم، والترمذي.

(٥) رواه البخاري.

وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ: الجَهَنَّمِيِّينَ»^(١).

منكر ونكير:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا.

أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ؟ ﷺ.

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ لَهُ: أَنْظِرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ! أَبْذَلِكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَيَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ مِنْ قَبْرِهِ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أُدْرِي! كُنْتُ أَقُولُ كَمَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صِيحَةً، فَيَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ^(٢)»^(٣).

(١) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود.

(٢) أقول: يجب على المؤمن اعتقاد سؤال منكر ونكير في القبر للميت، وذلك بعد تمام الدفن، وعند انصراف الناس، يُعيد الله تعالى الروح إلى الميت جميعه، كما قال الجلال السيوطي:

وكله يحيا لدى الجمهور لا جزؤه لظاهر المأثور ويرد الله تعالى من حواسه وعقله وعلمه، ما يقدر به على فهم الخطاب، ورد الجواب حين يسألانه!

(٣) أخرجه الخمسة: إلا الترمذي.

الملائكة يزورون النبي ﷺ :

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال :

«جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم .

فقال بعضهم : إنه نائم ! .

وقال بعضهم : إن العين نائمة ، والقلب يقظان ! .

فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ، فاضربوا له مثلاً .

فقال بعضهم : إنه نائم ! .

وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ! .

فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً ، وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعياً ، فَمَنْ

أجاب الداعي دخل الدار ، وأكل من المأدبة ؛ وَمَنْ لم يُجب الداعي ، لم

يدخل الدار ، ولم يأكل من المأدبة .

فقالوا : أولوها له ﷺ يَفْقَهُهَا .

فقال بعضهم : إنه نائم ! .

وقال بعضهم : إن العين نائمة ، والقلب يقظان ! .

فقالوا : فالدار الجنة ، والداعي محمد عليه الصلاة والسلام ، فمن أطاع

محمدًا فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين

الناس^(١) .

هذا موجز ما اقتصرناه من الأحكام المتعلقة بعلم التوحيد ؛ ليكون

القارئ على ضوء في عقيدته ؛ لأن تصحيح العقيدة أساس كبير لقبول العمل

وصحته .

(١) رواه البخاري .

الصَّلَاةُ

حمداً لله، وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمدٍ رسولِ الله، مَنْ قد قام في الصلاة، حتى تَوَرَّمتْ قدمَاهُ، فصلواتُ اللهِ تعالى وسلامُهُ عليه، وعلى آله وأصحابه الراكعين الساجدين، ورضي الله عن التابعين، وتابعيهم العابدين الخاشعين، وعن أئمة الدين، الذين قَدَّمُوا وسَعَهُم، وبذلوا جهدهم في خدمة المصلين من المسلمين، فَبَيَّنُوا ما خَفِيَ من أحكامها، وفَصَّلُوا ما أَجْمَلَ منها. وبعد؛ فهذا موضوع عظيم من مواضيع التشريع الإسلامي، وركنٌ كبير من أركان الدين الحنيف، وعمادٌ متين من أعمدته، فلا يتم إسلامُ المسلم إلا به.

فالصلاة صلة كبيرة بين الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود. وقد ذكرت بتعليقي على «فتح العلام» للإمام الجرداني - رحمه الله - (١/ ٤٨٠) «كتاب الصلاة» مزايا الصلاة وفوائدها، الحسية، والمعنوية، مع ذكر بعض ما ورد في فضلها من أثر. وكتب الإمام الجرداني في هذا الموضوع كتابةً قلماً تجدها في كتاب، فجزاه الله عن المسلمين خيراً جزاء. وكان لي - والحمد لله - ترتيبُ الموضوع وتنقيحُه وفتحُ فهرسه، ترغيباً للمطالعين، وتسهيلاً للمراجعين.

وموضوع الصلاة قد تناول حديثه كثيرٌ من العلماء الأعلام، وبيَّنوا ما يتعلق به من أحكام... ولهذا اكتفيت بهذه العُجالة الموجزة عما ذكره،

وَبَيَّنَتْ فِيهَا أَقْوَالُ الْأُئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي «حُكْمِ تَارِكِ الصَّلَاةِ» مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ
الْأَحَادِيثِ الْمُرْغَبَةِ وَالْمُرْهَبَةِ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ وَجُودِ خَلَلٍ كَبِيرٍ فِي بَيِّنَاتِ
الْمُسْلِمِينَ، مِنْ تَعْطِيلٍ لِلصَّلَاةِ وَالتَّسَاهُلِ فِيهَا، حَتَّى أَصْبَحَ النَّاسُ فِي أَمْرِ
الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى طَبَقَاتٍ أَرْبَعٍ:

١ - الْأُولَى: لَمْ يَقْبَلُوهَا رَأْسًا، لَا عَمَلًا وَلَا عَقِيدَةً، وَهَؤُلَاءِ مُصِيرُهُمْ

سَقَرٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ ﴿١٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ﴾^(١).

٢ - الثَّانِيَّةُ: قَبَلُوهَا عَقِيدَةً، وَلَمْ يُوَدِّعُوا عَمَلًا، وَهَؤُلَاءِ جَزَاؤُهُمُ الْغِيُّ،

قِيلَ: هُوَ الشَّرُّ، وَقِيلَ: الْخُسْرَانُ، وَقِيلَ: هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، بَعِيدُ الْقَعْرِ، خَبِيثُ

الطَّعْمِ! قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ

فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۚ﴾^(٢).

٣ - الثَّلَاثَةُ: لَمْ يَهْتَمُوا بِهَا، وَلَمْ يُبَالُوا أَدْوَاهَا فِي وَقْتِهَا، أَوْ أَخْرَوْهَا!

كَالْمُنْهَمَكِينَ فِي الدُّنْيَا، بِحَيْثُ يَخْرُجُ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَلَا يَشْعُرُونَ بِهِ!

فَهَؤُلَاءِ جَزَاؤُهُمُ الْوَيْلُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ﴾^(٣) الَّذِينَ

هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ^(٤)؟ قَالَ: «هُمْ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا».

٤ - الرَّابِعَةُ: هُمُ الَّذِينَ قَبَلُوهَا عَقِيدَةً، وَقَامُوا بِهَا عَمَلًا، وَهُمْ يَرْغَوْنَهَا فِي

مَوَاقِيتِهَا، بِشَرَائِطِهَا، وَخُشُوعِهَا، وَأَدَابِهَا، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَامِلُونَ، الْمَنُوءُ بِهِمْ

(١) المَدَشَرُ: ٤٢-٤٣.

(٢) مَرْيَمَ: ٥٩.

(٣) الْمَاعُونُ: ٤-٥.

بقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (١).

وقد ذكر الله مَصِيرَهُمْ برعايتهم هذه، مع ما اتصفوا به من الصفات الحسنة المذكورة في الآية، ثم قال أخيراً: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢).

وها أنا ذا أقدم للقارئ الكريم، ما ورد في حق تارك الصلاة من أثر؛ ليكون على أمره من خوفٍ ووجلٍ وحذر.

ويُبين للناس من أهلٍ وولدٍ وزوجٍ، وعامٍ وخاصٍ، ما كُتِبَ من خبرٍ صحيحٍ، وقولٍ عالمٍ نصيحٍ، فأقول:

حُكْمُ تَارِكِهَا:

عن جابر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ».

وفي رواية: «بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» (٣).

أي: فَمَنْ تَرَكَهَا كَانَ كَافِرًا، وَمَنْ فَعَلَهَا كَانَ مُؤْمِنًا.

وعن بُرَيْدَةَ رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» (٤).

وقال عبد الله بن شقيق: كان أصحاب محمد ﷺ، لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ

الْأَعْمَالِ تَرَكَهُ كُفْرًا، غَيْرَ الصَّلَاةِ (٥).

(١) و (٢) المؤمنون: ١ - ١١.

(٣) رواه الخمسة، إلا البخاري.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه الترمذي.

وأخرج الإمام أحمد: «مَنْ حَافِظٌ عَلَى الصَّلَاةِ كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبِرَهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَمَنْ لَمْ يَحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بَرَهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأَبِي بَنْ خَلْفٍ^(١).

وَرَوَى أَبُو نَعِيمٍ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا كَتَبَ اللَّهُ اسْمَهُ عَلَى بَابِ النَّارِ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا».

وَمَنْ تَرَكَ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَبَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى يُرَاجَعَ لِلَّهِ تَوْبَةً».

وَفِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ:
«ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُرْضِخُ رُؤُسُهُمْ بِالصَّخْرَةِ، كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، وَلَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، قَالَ: يَا جَبْرِيلُ! مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: الَّذِينَ تَنَاقَلَتْ رُؤُسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ».

رَأْيُ الْعُلَمَاءِ فِي تَارِكِهَا:

ظَاهِرُ هَذِهِ النُّصُوصِ، أَنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَهُوَ كَافِرٌ، وَهَذَا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا تَرَكَهَا جَاحِدًا لَهَا، أَيْ: لَا يَعْتَقِدُ وَجُوبَهَا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا مَعْلُومَةٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ.

قَالَ صَاحِبُ الْجَوْهَرَةِ:

وَمَنْ لِمَعْلُومٍ ضَرُورَةٌ جَحَدَ مِنْ دِينِنَا يُقْتَلُ كُفْرًا لَيْسَ حَدُّ

(١) وَإِنَّمَا حُشِرَ مَعَ هَؤُلَاءِ، لِأَنَّهُ إِنْ اشْتَغَلَ عَنِ الصَّلَاةِ بِمَالِهِ، أَشْبَهَ قَارُونََ فَيُحْشَرُ مَعَهُ، أَوْ بِمَالِكِهِ أَشْبَهَ فِرْعَوْنَ فَيُحْشَرُ مَعَهُ، أَوْ بِوِزَارَتِهِ أَشْبَهَ هَامَانَ فَيُحْشَرُ مَعَهُ أَوْ بِتِجَارَتِهِ أَشْبَهَ أَبِي بَنْ خَلْفٍ تَاجِرٍ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ، فَيُحْشَرُ مَعَهُ.

وَمِثْلُ هَذَا مَنْ نَفَى لِمُجْمَعٍ أَوْ اسْتَبَاحَ كَالزَّانَا فَلَتَسْمَعَ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَشْأً بَعِيداً عَنِ الْعُلَمَاءِ، أَوْ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَخَالِطِ
الْمُسْلِمِينَ مَدَّةً يَبْلُغُهُ فِيهَا وَجُوبُهَا.

وَإِنْ تَرَكَهَا كَسْلاً وَهُوَ مُعْتَقِدٌ لَوْجُوبِهَا، كَمَا هُوَ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ،
فَجَمْهُورُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ أَنَّهُ لَا يُكْفَرُ، وَعَلَيْهِ مَالِكٌ، وَالشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُمَا -؛ بَلْ يُفْسَقُ فَيُسْتَتَابُ؛ فَإِنْ تَابَ وَصَلَّى، وَإِلَّا قُتِلَ حَدّاً كَالزَّانِي
الْمَحْصَنِ؛ وَلَكِنَّهُ يُقْتَلُ بِالسَّيْفِ، وَحُجَّتُهُمْ فِي عَدَمِ كُفْرِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

وَحُجَّتُهُمْ فِي قَتْلِهِ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ
فَخَلَّوْا سَبِيلَهُمْ﴾^(٢).

عَنْ عَلِيٍّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ يُكْفَرُ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يُعْزَرُ وَيُحْبَسُ
حَتَّى يُصَلِّيَ^(٣).

فَضْلُ جَمَاعَتِهَا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ، تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سَوْقِهِ خَمْساً
وَعِشْرِينَ ضِعْفاً، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا
يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ؛

(١) النساء: ١١٦.

(٢) التوبة: ٥.

(٣) التاج الجامع للأصول: (١/١٤٠)، باختصار.

فإذا صلى، لم تنزل الملائكةُ تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يُحْدِثْ:
اللَّهُمَّ صَلِّ عليه، اللهم ارحمه! ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر
الصلاة»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال:
«صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»^(٢).
وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:
«أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم ممشي، والذي ينتظر الصلاة
حتى يصلّيها مع الإمام، أعظم أجراً من الذي يصلي ثم ينام»^(٣).

حُكْمُ الْمُتَخَلِّفِ عَنْهَا:

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: من سره أن يلقى الله تعالى غداً
مسليماً، فَلْيُحَافِظْ على هؤلاء الصلوات، حيث يُنَادِي بهن، فإن الله تعالى شرع
لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم
كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم! ولو تركتم سنة نبيكم
لضللتهم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل
يؤتى به، يُهَادَى بين الرجلين حتى يُقام في الصف»^(٤).

تهديد كبير للمتخلف عن جماعتها:

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال:
«والذي نفسي بيده، لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب، ثم أمر

(١) رواه الخمسة.

(٢) رواه الخمسة، إلا أبا داود.

(٣) رواه الثلاثة.

(٤) رواه مسلم.

بالصلاة فيؤذَن لها، ثم أمر رجلاً فيوم الناس، ثم أخالف إلى رجالٍ فأحرقَ عليهم بيوتهم»^(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة! فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»^(٢).

قول... الشِّعْراني في العهود:

أخذَ علينا العهدُ العامُّ من رسول الله ﷺ أن نُبينَ لتارك الصلاة: من الفلاحين، والعوام، وسائر الجهال، ما جاء في فضل الصلوات الخمس، وفضل مَنْ يواظبُ عليهن، ونخصُ ذلك بمزيد تأكيد، كما أكدَه اللهُ ورسوله.

وقد أغفل ذلك غالبُ الفقهاء، وطلبية العلم الآن فترى أحدهم يُخالطُ تارك الصلاة: من ولد، وخادم، وصاحبٍ وغيرهم، ويأكلُ معه، ويضحك معه، ويستعملُه عنده في التجارة، والعمارة، وغير ذلك! ولا يبين له قطُّ ما في ترك الصلاة من الإثم، ولا في فعلها من الأجر، وذلك مما يهدم الدين.

فبيِّن يا أخي! لكلِّ جاهلٍ ما أُخِلَّ به من واجبات دينه، وإلا فانت أولُ من تُسَعَّرُ بهم النارُ، كما ورد في الحديث الصحيح.

فإنك داخلٌ فيمن عِلِمَ ولم يَعْمَلْ بعِلْمِهِ؛ لأنَّ كلَّ مَنْ عرف شيئاً من أحكام الشريعة، ولم يَعْمَلْ به ويُعَلِّمهُ غيره، فهو داخلٌ فيمن عِلِمَ ولم يعمل بعِلْمِهِ.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود بإسناد حسن.

واعلموا - رحمكم الله - أن الصلاة والمداومة عليها، وعلى جماعتها، سبب لحصول الخيرات، والبركات، وتكثير الحسنات، ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، وأن البلاء ليرتفع عن المكان الذي أهله يصلون؛ كما أن البلاء ينزل على المكان الذي يترك أهله الصلاة، فلا تستبعد وقوع الزلازل والخسف والصواعق، على مكان أهله يتركون الصلاة، ولا تقل إني أصلي ولا أبالي بهم، ولا علي منهم! لأن البلاء إذا نزل يعم الصالح والطالح؛ لكونه لم يأمرهم، ولم ينههم، ولم يهجرهم في الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

قول الحبيب الحداد في النصائح:

قال الحبيب عبدالله بن علوي الحداد في النصائح:

وكما يجب عليك أن تحافظ على الصلاة، ويحرم عليك أن تضعها، كذلك يجب عليك أن تشدد على أهلِكَ وأولادِكَ، وكل من كان لك عليه ولاية في إقامة الصلاة، ولا تدع لهم عُذراً في تركها، ومن لم يسمع ويُطع، فهدده وعاقبه، واغضب عليه أشد وأعظم مما تغضب عليه لو أتلَف مالك، فإن لم تفعل كنت من المستهينين بالصلاة، وبحقوق الله ودينه.

ومن عاقبه وغضبت عليه ولم يمتثل وينزجر، فأبعدُه عنك، واطرده منك، فإنه شيطان لا خير فيه ولا بركة! تحرم موالاته ومعاشرته، وتجب مُعاداته ومقاطعته، وهو من المحادين لله ورسوله. قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (١).

(١) المجادلة: ٢٢.

فنفى الإيمان عن المَوَادِّين للمُحَادِّين لله ورسوله، ولو كانوا من أقرب الأقربين. فاحرصوا - رحمكم الله - على المواظبة على الصلاة، وعلى حضورها في المساجد، واستعينوا بالله من تضييعها، وأحسنوا المسارعة إليها وأديموا العكوف عليها، فهي مَغْنَمُ الرابحين، وفوزُ الأتقياء المبشرين، وراحة الزهاد الصالحين، وأدبُ السعداء المهتدين، وسلوةُ الصفوة المحبين، وغنيمة السادة العارفين، ومرهم العلماء العاملين.

لم يشغلهم عنها شاغلٌ، ولم يبالوا عند حضورها بطلعٍ ولا نازل، قلوبهم إلى حضورها تَجَنُّ، وعند فواتها تأسفُ وتئن، فلهم بها الفرح والحبور، والبهجة والسرور.

فرحم الله امرءاً بادر إلى الطاعات، وحافظ على فرضه في الجماعات، فهي المَغْنَمُ الخطير، والفوزُ الكبير، فإن سمعتم وأطعتم، سعدتم وأفلحتم، وإن أبيتم وأعرضتم، فقد بُلِّغَتِ المعاذيرُ، والحُكْمُ لله العلي الكبير اهـ.

وقال أيضاً الحبيبُ عبدُ الله بعد قوله ﷺ :

«إن صلاة الجماعة تفضلُ صلاةَ الفذِّ بسبعٍ وعشرين درجةً» :

فمن تساهل بهذا الربحِ الديني الأخرى، الذي لا تعب في تحصيله، ولا مشقة في نيّله، فقد عظُمتْ عن مصالح الدين غفلته، وقلَّتْ في أمر الآخرة رغبته، لا سيّما وهو يعلمُ من نفسه كثرة ما يتحمّله من التعب، ويقاسي من المشاق، في طلب ربح الدنيا اليسيرِ الحقير!

وإذا حصلَ له منه شيءٌ تافهٌ، ناله بتعبٍ كثير، نسي تعبَه وعدَّ ما ناله من ربح الدنيا الفانية غُنماً جسيماً.

أفلا يخشى مَنْ يعرف من نفسه هذه الأوصافَ، أن يكون عند الله من المنافقين؟ وفيما وعدَ الله به من المتشككين؟.

ولم يُلَغْنَا في جملة ما بلغنا عن رسول الله ﷺ، أنه صلى منفرداً ولا صلاةً واحدةً.

فلا يليق بمسلم كامل أن يتساهل في صلاة الجماعة ويصلي منفرداً، فيدخل في الوعيد الشديد، الوارد في ترك الجماعة وتكون صلاته مختلفاً فيها!.

فقد قال ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وجماعة من الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -:

«إِنَّ مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ وَلَمْ يُجِبْ مِنْ غَيْرِ عَذْرٍ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ». ونُقِلَ اعتمادُ ذلك عن جماعة من السلف منهم: عطاء، والشوري، والإمام أحمد؛ وكفى بهؤلاء قُدوةً... اهـ.

تسوية الصفوف وحكمها:

ومما ينبغي ويتأكد في صلاة الجماعة، تسوية الصفوف والتراص فيها، قال ﷺ:

«سُورُوا صفوفَكم، وحاذُوا بينَ منابِكُم، وليُنُوا في أيدي إخوانكم، وسُدُّوا الخَلَلَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فيما بينكم بَمَنْزِلَةِ الْحَذَفِ» يعني أولاد الضأن الصغار^(١).

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأتي ناحية الصف، ويسوي بين صدور القوم ومنابكهم، ويقول:

«لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد، والطبراني، وإسناد أحمد لا بأس به مرفوعاً.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وفي رواية للشيخين : فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة .

وفي رواية للبخاري : من إقامة الصلاة .

وقال ﷺ :

«رُصُّوا صفوفَكم، وقاربوا بينها، وحاذُوا بالأُغْناق، فوالذي نفسي بيده،
إني لأرى الشيطانَ يدخلُ من خَلَلِ الصفِّ كأنه الحَذَفُ»^(١).

وقال ﷺ :

«استروا تسترِ قلوبُكم، وتماسُّوا تراحموا»^(٢).

قال شَرِيحُ : تماسُّوا، يعني : تراحموا في الصلاة .

وقال ﷺ :

«أقيموا الصفوفَ، وحاذُوا بينَ المناكِبِ، وسُدُّوا الخَلَلَ، ولينوا بأيدي
إخوانِكم، ولا تذروا فُرْجَاتِ الشيطان، ومن وصلَ صفًّا وصلَهُ اللهُ، ومن قطعَ
صفًّا قطعَهُ اللهُ»^(٣).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«أقيموا صفوفَكم، وتراصُّوا، فإني أراكم من وراء ظهري»^(٤).

وفي رواية للبخاري :

«فكان أحدهنا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكَبِ صاحِبِهِ، وقدمه بقدمه» .

إلى هنا تمَّ موضوعُ الصلاة ؛ والله الحمدُ والمِنَّةُ .

(١) رواه النسائي، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما مرفوعاً. والحذف: الغنم السود الصغار.

(٢) رواه الطبراني مرفوعاً.

(٣) رواه أحمد، وأبو داود.

(٤) رواه البخاري، ومسلم بنحوه.

فَضْلُ بَعْضِ السُّورِ

فَضْلُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ :

روى ابنُ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما قال : بينما جبرائيلُ عليه السلام قاعدٌ عندَ النبي ﷺ ، سمعَ نقيضاً^(١) من فوقِ رأسِهِ ، فقال :
« هذا بابٌ من أبوابِ السماءِ ، فُتِحَ لَمْ يُفْتَحْ لَهُ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَتَزَلْ مِنْهُ مَلَكٌ ، فَقَالَ : هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَسَلِّمْ وَقَالَ : أَبَشِّرْ بَنُورِينَ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ : فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتهُ »^(٢) .

فَضْلُ آيَةِ الْكَرْسِيِّ :

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ » قَالَ : قُلْتُ :
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .
قَالَ : فَضْرَبَ فِي صَدْرِي ، وَقَالَ : « لِيَهْنَكَ »^(٣) الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ^(٤) .

(١) النقيض : الصوت .

(٢) رواه مسلم ، والنسائي .

(٣) أي : فلتهنأ بهدية العلم ، وليفرحك الله به .

قال الإمام النووي : فيه منقبة عظيمة لأبي المنذر ، ودليلٌ على كثرة علمه .
قال القاضي عياض : فيه حُجَّةٌ للقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله تعالى .

(٤) رواه مسلم ، وأبو داود .

فضل سورة الكهف:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين»^(١).

فضل سورة الدخان:

روي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قرأ حم الدخان في ليلة جمعة، أو يوم جمعة بنى الله له بيتاً في الجنة»^(٢).

فضل سورة آل عمران:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قرأ السورة التي يُذكر فيها آل عمران يوم الجمعة، صلى الله عليه وملائكته حتى تجب^(٣) الشمس»^(٤).

فضل سورة الواقعة:

روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تُصبه فاقة أبداً»^(٥).

(١) رواه الحاكم، والبيهقي في السنن.

(٢) رواه الطبراني في الكبير.

(٣) تجب: أي تغيب. لقد تكلمت على هذا الحديث في تعليقي على كتاب التبيان فعد إليه.

(٤) رواه الطبراني في الكبير.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان. وكذلك بسطت الحديث عنه في التبيان فارجع إليه.

فضل سورة يس :

روى عن جندب رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال :
«مَنْ قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غُفِرَ له»^(١).

فضل سورة تبارك :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال :
«إِنَّ سورة في القرآن ثلاثون آية، شَفَعْتُ لرجلٍ حتى غُفِرَ له، وهي
﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾»^(٢).

وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : ضرب بعضُ
أصحاب النبي ﷺ خِباءَهُ على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر؛ فإذا قبرُ إنسانٍ يقرأُ
سورة المُلِكِ حتى ختمها.

فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! ضربتُ خِباءِي على قبر وأنا لا
أحسب أنه قبر، فإذا قبرُ إنسانٍ يقرأُ سورة المُلِكِ حتى ختمها.

فقال عليه الصلاة والسلام : «هي المانعة، هي المُنَجِّية من عذاب
القبر»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
«وَدِدْتُ أَنَّهَا في قلب كلِّ مؤمن» .
يعني : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾^(٤).

(١) رواه مالك، وابن حبان، وابن السني .

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وغيرهما .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) رواه الحاكم .

فضل سورة قل هو الله أحد:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن».

فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ... ثم خرج النبي ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل. فقال بعضنا لبعض: إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء، فذلك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال:

«إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن»^(١).

وروي عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَاتٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ».

فقال عمر بن الخطاب: إذا نستكثر يا رسول الله!.

فقال عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ،

فسمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ① اللَّهُ الصَّكَمَدُ ② لَمْ يَكِلِدْ

وَلَمْ يُولِدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④.

فقال عليه الصلاة والسلام: «وجبت».

فسأله: ماذا يا رسول الله؟ فقال: «الجنة».

(١) رواه مسلم، والترمذي.

(٢) رواه أحمد.

فقال أبو هريرة: «فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره، ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب»^(١).

وعن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ؟ مَنْ قَرَأَ: اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ، فَقَدْ قَرَأَ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ»^(٢).

فضل سور: التكوير، والانفطار، والانشقاق:

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى الْعَيْنَ، فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا

الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾»^(٣).

فضل سور: الزلزلة، والإخلاص، والكافرون:

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾: تعدل نصف القرآن، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: تعدل

ثلث القرآن، ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾: تعدل ربع القرآن^(٤).

فضل سورة التكاثر:

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٢) رواه أحمد، والترمذي، والنسائي.

(٣) رواه الترمذي، وغيره.

(٤) رواه الترمذي، والحاكم.

«ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «أما يستطيع أن يقرأ ألهاكم التكاثر؟»^(١).

ولقد ذكرت لك بعض فضائل السور، لتكون مكثراً لتلاوة القرآن، حريصاً على تعلمه وتعليمه.

وها أنذا أذكر لك فضل التلاوة بشكل عام، إتماماً للفائدة فأقول:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الْمَ﴾، حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مِثْلُهَا، وَمَنْ تَلَاهَا»^(٣) كانت له نوراً يوم القيامة»^(٤).

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ»^(٥).

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) أي قرأها، فتتجسم القراءة وتكون له مصباحاً وهجاءً تُزِيلُ ظِلْمَةَ الْوَحْشَةِ، وَتَطْرُدُ شِدَائِدَ الْأَهْوَالِ، فيشعر القارئ بالنور الساطع، والنعيم اللامع جزاء عمله وقراءته.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه الترمذي.

عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:
«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(١)»^(٢).

وها أنذا أقدم لك هذه الآيات الرائعة، للإمام... البصري -
رحمه الله - في مدحه القرآن العظيم، لتتم رغبتك، وتنجلي بصيرتك، وتكثر
تلاوتك. فقال ناظماً ومادحاً:

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ	ظُهِورَ نَارِ الْقُرَى ^(٣) لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ ^(٤)
فَالدَّرُ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ	وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ
فَمَا تَطَاوَلَ آمَالُ الْمَدِيحِ إِلَى	مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشُّيَمِ
آيَاتٍ حَقٌّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ	قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمُوصُوفِ بِالْقَدَمِ
دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ	مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ
مُحَكَّمَاتٌ، فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبِّهِ	لَدَى شِقَاقٍ، وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حِكْمِ
مَا حُورِبَتْ قَطُّ، إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ	أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَامِ

(١) أي: أفضلكم الذي جاهد نفسه في حفظ القرآن، وفهم معانيه، وتفسير آياته، ثم
يُعلمه غيره ويوضح مجمله، ويدعو الناس إلى العمل به.
قال الشرقاوي:

لا ريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه، مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع
القاصر والنفع المتعدي.

لا يقال: إن من لازم هذا أفضلية المقرئ على الفقيه، لأن المخاطبين بذلك كانوا
فقهاء الناس بذلك، إذ كانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة، أكثر من دراية من بعدهم
بالاكتساب. يرغب عليه الصلاة والسلام في حديثه هذا، في الوعظ والإرشاد، ويدعو
العلماء إلى تعليم المسلمين، والعمل بأحكام الدين، والاجتهاد في تفهيم الضالين،
وتبصيرهم الطريق المستقيم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) القرى: ما قرئ به الضيف.

(٤) العلم: الجبل المرتفع.

رَدَّتْ بَلَاعُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظَى
كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُ الْوَجْوهُ بِهِ

رَدَّ الْغُيُورُ يَدَ الْجَانِي عَنْ الْحُرْمِ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ
وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ
لَقَدْ ظَفِرْتُ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاعْتَصِمِ
أَطْفَاتُ حَرٍّ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّبَمِ^(١)
مِنْ الْعَصَاةِ وَقَدْ جَاؤُهُ كَالْحُمَمِ^(٢)

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله! أوصني،

قال:

«عليك بتقوى الله، فإنها رأس الأمر كله».

قلت: يا رسول الله! زدني، قال:

«عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في

السماء»^(٣).

وعن جابر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«القرآن شافعٌ مُشَفَّعٌ، مَاجِلٌ^(٤) مصدق، مَنْ جعله أمامه قاده إلى

الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار»^(٥).

سماع القرآن من المذيع:

لقد ذكرت مجلة «نور الإسلام» ص: [٣٥٨] المجلد الرابع، سنة

[١٣٥٢] هـ فتوى لفضيلة المرحوم الشيخ «طه حبيب» رحمه الله تعالى:

(١) الشبم: بفتح الحاء والسين. وقد شبم الماء من باب طرب فهو شبم.

(٢) الحمم: الرماد والفحم، وكل ما احترق من النار.

(٣) رواه ابن حبان.

(٤) معناه: خصم مجادل مصدق.

(٥) رواه ابن حبان.

التفسير

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا
فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١).

البحث

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، فَعُظِّمَتْ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَأُشْرِبَتْ مَحَبَّتُهَا
فِي قُلُوبِهِمْ؛ فَمَنْ كَثُرَ مَالُهُ احْتَرَمُوهُ وَعَظَّمُوهُ وَوَقَرُوهُ!.

وَمَنْ قَلَّ مَالُهُ احْتَقَرُوهُ وَسَخِرُوا مِنْهُ، وَكَانَ صَغِيرًا فِي أَعْيُنِهِمْ!.

وَمَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُعْظَمُ شَأْنُ الدُّنْيَا وَأُبْنَائُهَا، غَيْرَ مَكْتَرٍ بِالْآخِرَةِ
وَأَمْرِهَا، فَهُوَ عَلَى شَاكِلَةِ الْكَافِرِينَ، وَهُوَ مِنَ الْمَفْتُونِينَ بِالدُّنْيَا الْمَغْرُورِينَ
بِهَا، وَفِي إِيمَانِهِ نَقْصٌ كَبِيرٌ، وَخَلَلٌ عَظِيمٌ، يَنْبَغِي لَهُ تَدَارُكُهُ.

الْمُزِينُ: هُوَ الشَّيْطَانُ، زُيِّنَ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَحَسَّنَهَا فِي أَعْيُنِهِمْ بَوَسَاوِسِهِ،
وَحَبَّبَهَا إِلَيْهِمْ، فَلَا يُرِيدُونَ غَيْرَهَا!.

أَوِ الْمُزِينُ: هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، ابْتِلَاءً وَابْتِهَارًا بِخَلْقِ الشَّهَوَاتِ فِيهِمْ، لِيُظْهَرَ
عِبَادُ اللَّهِ، وَعِبَادُ الشَّهْوَةِ.

(١) البقرة: ٢١٢.

فخلق الأشياء العجيبة ومكنهم منها، وزادهم من مشتياتها استدراجاً،
إذ ما من شيء إلا وهو خالقه وفاعله؛ ويدل عليه قراءة: ﴿زُيِّنَ﴾ بفتح الزاي.
ويسخرون من الذين آمنوا: كبلال، وعمار، وصهيب، لفقرهم،
يستهوون بهم ويتعالمون عليهم بالمال؛ لأنهم لا يريدون غير الدنيا، وهم
يسخرون ممن لا حظ له فيها، أو ممن يطلب غيرها. اهـ.

قال الله تعالى

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ
بِالْعَبَادِ﴾^(١).

البحث

يشري - أي يبيع - نفسه فيبذلها في طاعة الله: من صلاة، وصيام،
وجهاد، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر.

فكان ما يبذله من نفسه كالسِّلعة، فصار كالبايع، والله تعالى:
المشتري.

والثمن: هو رضا الله تعالى، وثوابه المذكور في قوله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

ومن رأفته بعباده، أن أنفس العباد وأموالهم له سبحانه، ثم إنه تعالى
يشترى ملكه بملكه! فضلاً منه ورحمة وإحساناً.

سبب نزول هذه الآية:

روي عن ابن المسيب قال: أقبل صهيب رضي الله تعالى عنه مهاجراً من
مكة، فاتبعه رجال من قريش، فنزل عن راحلته، وانتثل ما في كِنانته وقال:

(١) البقرة: ٢٠٧.

والله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم معي! ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي.

وإن شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة، وخليتم سبيلي. ففعلوا!!
فلما قدم على رسول الله ﷺ نزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ
أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

رواية أخرى في سبب النزول:
وفي رواية: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثرت ماله عندنا، وبلغت الذي
بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟! والله لا يكون ذلك!

فقال لهم: أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم.
قال: فإني قد جعلت لكم مالي.
فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:
«ربح صهيب، ربح صهيب».

رواية أخرى - أيضاً -:

وفي رواية: أخذه المشركون وعذبوه ليرتد! فقال: إني شيخ كبير، لا
ينفعكم إن كنتم معكم، ولا يضركم إن كنتم عليكم، فخلوني وما أنا عليه!
وخذوا مالي. فقبلوه منه؛ وأتى المدينة فنزلت الآية. اهـ.

قال الله تعالى

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالشَّمْرِ تِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾ (١).

(١) البقرة: ١٥٥ - ١٥٦.

البحث

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه يبتلي عباده - أي: يختبرهم ويمتحنهم - فتارة بالسراء، وتارة بالضراء، وتارة في الشدة، وأخرى في الرخاء، وتارة في الصحة، وأخرى في المرض، وتارة في الغنى، وأخرى في الفقر، وبالخوف تارة، وبالجوع أخرى.

فإن الجائع إذا جاع، والخائف إذا خاف، يظهر ذلك على كل منهما. وينقص الأموال - أي: ذهاب بعضها - والأنفس: كموت الأصحاب، والأقارب والأحباب.

والثمرات: أي: لا تُعطي الحداثق والمزارع كعادتها. وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده، فمن صبر أثابه، ومن قنط وضجر، حلَّ به عقابه!.

صريح الآيات:

الآيات تصرح بأن المؤمنين في هذه الحياة، غرض لسهام الابتلاء الإلهي: من خوف على حياة، لجوع البطون، وفساد المزارع، وفقد المال، ولموت الأحباب، إلى غير ذلك مما نشاهده بأعيننا كل يوم.

تفاوت الناس في البلاء:

ثم الناس عند وقع البلاء متفاوتون، فمنهم من يمشي وراء نفسه وجزعها على فراق المحبوب المألوف.

ومنهم من يعرف أن كل كائن لم يكن إلا بقضاء ربه تعالى، فاطمأن له، ورضي به؛ برهاناً على أن رضاه عن ربه رضاً لم تشبه شائبة سخط فإن من رضي عنك، ثم اشمأز من مواقع أفعالك، فهو كاذب في دعواه.

وبُشِّرِ الله تعالى لا يستحقها إلا الراضون عنه، الصابرون على قضاياه، وإن كانت على خلاف ما يهوون.

ولقد ذكرنا في كتابنا هذا في موضوع [الوعظ والرقائق] الصبر وأقسامه، مع ذكر الأمور المعينة عليه، فارجع إليه إن شئت! . لأن المؤمن في هذه الحياة ممتحن ومبتلى، ومعرض لكل شدة.

وأنجع علاج فعال هو العود لما وعد الله الصابرين من أجر، وما ذكر من ثواب، فإن المؤمنين العاملين ينالون من ربهم الحسنات بالعد والوزن، إلا الصابرين، فيكاف لهم الأجر بالمكيال الأوفى، من غير عد ولا وزن! ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١).

فإذا رأى أهل العافية في الدنيا ما أفيض على أهل البلاء: من خير وفضل، وثواب، وأجر، تمنوا أن لو كانت أجسادهم قد قرضت بالمقاريض، وأن لو كانوا أشد الناس فقراً وفاقة.

قال الله تعالى

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٢ 〉 وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢).

البحث

﴿ قَضَى ﴾: أمر وكتب ووصى، ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين، فلا تسمعهما قولاً سيئاً، ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء.

(١) الزمر: ١٠.

(٢) الإسراء: ٢٣ - ٢٤.

﴿أَفْرِ﴾ : كلمة تضجر وتزمر.

﴿وَلَا تُنْهَرُهُمَا﴾ : بأن لا يصدر منك إليهما فعل قبيح.

ولما نهى الله عن القول القبيح، والفعل القبيح، أمره بالقول الحسن،
والفعل الحسن بقوله:

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: لينا، طيباً، حسناً، بتأدب وتوقر
وتعظيم.

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضعاً لهما بفعلك،
والن لهما جانبك رحمةً لهما، وادعُ لهما بالرحمة، بأن تنالهما رحمة الله،
حيث إنهما ربياك وأنت في المهد صغيراً، أحوج ما تكون للخدمة والرعاية،
ومن الجفاء، إذا دعوت لنفسك وأهملتهم! ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾.

لقد تضمنت الآيتان عنايةً كبيرةً بالوالدين، وكفى أن الأمر بالإحسان
إليهما، بعد الأمر بعبادة الله وحده مباشرةً، وهو في مواضع من القرآن
هكذا.

سبب علو مرتبتهما:

وإنما كانت مرتبتهما كذلك؛ لأنهما السبب في الإيجاد، والله هو
الموجد، وهما السبب في حفظ الوجود، بما أنفقا من مال، وبذلا من خدمة،
والله هو الحافظ الرازق، وهما أرحمُ الخلق بالولد، وأصدق الأصحابِ
وأخلصهم، والله أرحمُ منهما به.

ومن هذا - أيضاً - حرم الله تعالى على الولد، أن يُشافِهما بما يُفيد
ضجره منهما، مهما ظلماه وهضما حقه.

فكيف بما هو فوق ذلك، مما يفعله الجاهلون؟ من أعمال يندى لها
الجبين، تدل على كفران نعمة الوالدين، وجحود معروفهما.

راجع موضوع [بر الوالدين] في هذا الكتاب، تر ما يُثْلَج قلبك، من خبر، وأثر، ومثل، وقصص. في ص ٢٤٥.

قال الله تعالى

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١)

البحث

يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكّم الرسول ﷺ، في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق، الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾.

أي: إذا حكموك في أمر يُطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيُسَلِّمون لذلك تسليماً كلياً من غير مُمانعة، ولا مدافعة، ولا منازعة، كما ورد في الحديث الشريف.

«والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(٢).

سبب نزول هذه الآية:

«اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ، فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: رُدُّنا إلى عمر بن الخطاب!».

(١) النساء: ٦٥.

(٢) رواه الإمام النووي في «الأربعين»، وقال: حديث حسن صحيح، إلا أنه لم يذكر: والذي نفسي بيده.

فأتيا إليه؛ فقال الرجل: يا ابن الخطاب! قضى لي رسول الله ﷺ على هذا؛ فقال: رُدُّنا إلى عمر! فردنا إليك.

فقال - عمر -: أأُكذِّبُ؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما! فخرج إليهما مشتملاً على سيفه، فضرب الذي قال: رُدُّنا إلى عمر فقتله! ^(١).

مفهوم الآية:

هذه الآية: نَصَّتْ على نفي الإيمان عن كل من لم يرضَ ويُسلِّمَ كلَّ التسليم، بحكم رسول الله ﷺ، في أي حادثةٍ من الحوادث، له أو عليه. وهذا النفي على ظاهره، فإنه لا يُمكن أن يعتقَدَ امرؤ، أن الرسول ﷺ صفةُ الله من خلقه، يتكلم عن الله، مُنزهاً عن الميل والجور، ومع ذلك يشك في حكمه، ويضيق صدره من قضائه! ويحب أن يتولى سواه الحكم في مشكلته! هذا مُحالٌ من قلب رُبط على تلك العقيدة.

وفي الآية من التنويه برفعة قدر النبي ﷺ، ما لا يخفى، زاده الله كمالاً، وأسعدنا برضاه عنا آمين! . اهـ.

قال الله تعالى

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ^(٢).

البحث

لقد نهانا الله العليم الحكيم، عن الاقتراب من الزنى، وما يدعو إليه: من النظر، واللمس، والاختلاط، والخلوة بالأجنبية؛ لأن هذه الأمور تؤدي إلى الزنى: كالراعي يرعى حول الحمى، يُوشِكُ أن يقع فيه.

(١) لباب النقول في أسباب النزول، للإمام السيوطي رحمه الله تعالى.

(٢) الإسراء: ٣٢.

فإذا كان الله تعالى قد حذرنا من مقدمات الزنى: كالنظر واللمس،
فالتحذير من ارتكابه أولى وأشد، وأقسى وأمر.

حكمة تحريم الزنى:

٥ فلم يُحرّم الله علينا الزنى عبثاً، ولم ينهنا عنه إلا لحكمة وفائدة تعود
علينا؛ فإن الزنى من أفحش الفواحش، ومن أكبر القبائح، وأعظمها خطراً
على المجتمع الإسلامي، والنوع الإنساني.

يُبدد الأموال، ويَهتك الأعراض، ويقتل الذرية والأبناء، ويؤدي إلى
اختلاط الأنساب، ويُفضي بالأمة إلى الهلاك والفناء.

والزنى: يُفسد الأخلاق، ويدعو إلى الشقاء، ويوقع في البلياء
والأمراض الخبيثة القاتلة.

وما مرضُ الزُّهري، والسلِ الرثوي، وغيرهما من الأمراض؛ إلا من
آثاره السيئة، وعواقبه الوخيمة!

ولقد كان لإقامة الحد، في زمن الرسالة، وما تلاه من عصور زاهرة
للإسلام والمسلمين، أثرٌ بالغ الأهمية، عظيم التقدير.

ولقد أعرض المسلمون عن هذه الفاحشة إعراضاً تاماً: رجالاً ونساءً،
شيباً وشباناً.

فعمّ الطهرُ والطهارةُ جميعَ المدن والقرى، فأمنوا على أعراضهم
وأموالهم، وعاشوا سعداء هانئين، وسيكون لهم في الآخرة جزاءُ
المحسنين!

حكم الحد:

أما اليوم: فقد أعرض المسلمون عن إقامة هذا الحد، ومن أجل هذا
فشا الزنى فشواً ذريعاً، وذهب الحياءُ من النساء والرجال، وخرجت المرأةُ

عارية، وهي تتباهى بعريها! كأن العري سِلعةٌ معروضةٌ للناس، وفجرت وهي تتباهى بفجورها! كأن الفجور فضيلةٌ تُظهرها للناس! .

فإن حَدَّ الزانية والزاني، لا زال واجباً إلى يوم القيامة، لم يُلغِ لاغٍ، ولم ينسخه ناسخٌ، اقرأ أول سورة «النور» وانظر حُكْمَ اللَّهِ العَلام، في حد الزنى! .

فإقامته محتَمٌ في كل زمن؛ ليزدجرَ الفجار، وتستقيم الأحوال، ويعمُّ الطهر، فيعيشوا سعداء، كما عاش الأولون، ويفوزوا بحسن الجزاء، كما فاز السابقون .

وها أنذا، أقدم لك ما ورد عن الزنى ومقدماته إتماماً للفائدة، فإن أعظم فتنة عالمية، أصيب بها المسلمون «قضية المرأة» .

فهى تقضي على معنويات المؤمن، وتزلزل قدمه عن الطريق المستقيم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

التحذير من الزنى ومقدماته :

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما رأيتُ شيئاً أشبه باللمم^(١) مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ :
«إن الله كتب على ابن آدم حظّه^(٢) من الزنا، أدرك ذلك لا محالة^(٣)،

(١) بالصفاك : كالنظرة والقبلة، واللمسة والغمزة .

(٢) نصيبه ما قدر عليه في علم الله تعالى، الذي لا محيد عنه .

(٣) لا حياة في التخلص من إدراك ما كتب عليه ولا بد منه .

فَرْنَا الْعَيْنَ: النَّظْرُ^(١) وَزْنَا اللِّسَانَ: الْمَنْطَقُ^(٢)، وَالنَّفْسُ: تَمَنَّى وَتَشْتَهَى^(٣)،
وَالْفَرْجُ: يُصَدَّقُ ذَلِكَ كُلُّهُ أَوْ يُكَذَّبُ^(٤).

روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
«يَا شَبَابَ قَرِيشٍ! إِحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، لَا تَزْنُوا! أَلَا مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ فَلَهُ
الْجَنَّةُ»^(٥).

وعن ميمونة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:
«لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزَّانَا؛ فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ
الزَّانَا، فَأَوْشَكَ أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ»^(٦).

شهادة الجوارح:

وقال بعضهم: إِيَّاكَ وَزَنَى الْجَوَارِحُ! فَإِنَّهَا تَشْهَدُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

- ١ - فتقول العين: أَنَا نَظَرْتُ.
- ٢ - ويقول اللسان: أَنَا تَكَلَّمْتُ.
- ٣ - وتقول الأذن: أَنَا سَمِعْتُ.
- ٤ - وتقول اليد: أَنَا لَمَسْتُ.
- ٥ - وتقول الرجل: أَنَا مَشَيْتُ.
- ٦ - ويقول الفرج: أَنَا فَعَلْتُ.

(١) إن تعمد وكان بشهوة وزاد على النظرة الأولى.

(٢) أي النطق فيما يستلذ به، ومحادثته من لا يجل له محادثته.

(٣) قال ابن بطال: سمي النظر والنطق زناً، لأنه يؤدي إلى الزنا الحقيقي.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه الحاكم، والبيهقي.

(٦) رواه أحمد وإسناده حسن.

٧ - وتقول الأرض : أنا شهدت .

٨ - ويقول الملك : أنا كتبت .

والزنا يؤخذ بمثله ، لقوله عليه الصلاة والسلام :

«مَنْ زَنَى زُنِيَ بِهِ وَلَوْ بِحَيْطَانِ دَارِهِ»^(١) .

راجع ترجمة «الإمام الشافعي» ترى من الشعر البديع المقتبس من هذا

الحديث ما يسرك في ص ١٦٠ .

روي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال :

«ما من مسلم ينظرُ إلى محاسنِ امرأةٍ ، ثم يغضُ بصره ؛ إلا أحدث الله

له عبادةً يجدُ حلاوتها في قلبه» .

وفي رواية :

«ما من مسلم ينظرُ إلى امرأةٍ أولَ رَمَقَةٍ»^(٢) .

وروي عن أبي أمامة - أيضاً - عن النبي ﷺ أنه قال :

«لَتَغُضُّنَّ أَبْصَارَكُمْ ، وَلَتَحْفَظُنَّ فُرُوجَكُمْ ، أَوْ لِيَكْسِفَنَّ اللَّهُ وُجُوهَكُمْ»^(٣) .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

«إِيَّاكُمْ والدخولَ على النساءِ!» . فقال رجل من الأنصار : أفرأيتَ

الْحَمُّو؟ قال : «الْحَمُّو الموتُ»^(٤) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) رواه ابن النجار ، عن شريك رضي الله تعالى عنه .

(٢) رواه أحمد ، والطبراني .

(٣) رواه الطبراني .

(٤) رواه الشيخان ، وغيرهما .

«ما مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ، وَيْلٌ
لِلنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ»^(١).

وعن عبد الله بن بُسر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:
«إِنَّ الزُّنَاةَ تَشْتَعِلُ وَجُوهُهُمْ نَارًا»^(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:
«الزَّنا يُورِثُ الْفَقْرَ»^(٣).

وروي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:
«المقيمُ على الزنا كعابدٍ وثني»^(٤). اهـ.

قَالَ تَعَالَى

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ
الْغَيْبَ أَمْ آتَاهُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ
الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾

الْبَحْثُ

قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير (٢٤٩/٢١): «إُعْلِمَ أَنَّهُ
تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ الدَّلَائِلَ أَوَّلًا عَلَى صِحَّةِ الْبَعْثِ، ثُمَّ أورد شبهة المنكرين
وأجاب عنها، أوردَ عنهم الآن ما ذكروه على سبيل الاستهزاء طعنًا في القول
بالحشر، فقال: أفرأيت... الآيات.

(١) رواه البيهقي، والحاكم.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه الخرائطي وغيره.

(٥) مريم: ٧٧ - ٨٠.

فإن قيل لم قال: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ بسين التسويف، وهو
كما قلناه كتب من غير تأخير؟ قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾
قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: سيظهر له، ويعلم أنا كتبنا.

الثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك؛ وإن كان في
الحال الانتقام، ويكون غرضه من هذا الكلام محض التهديد فكذا... هنا.
سبب نزول الآية:

قال العوفي: عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن رجلاً من
أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين، فأتوه
يتقاضونه.

فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً، ومن كل
الثمرات؟

قالوا: بلى..

قال: فإن موعدكم الآخرة. فوالله لأوتين مالا وولداً، ولأوتين مثل
كتابكم الذي جئتم به!

فضرب الله مثله في القرآن فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ الآية...

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ أي: نظر في اللوح المحفوظ فرأى منيته؟ وعلم ما له في
الآخرة من مكانة؟ حتى تألى وحلف على ذلك بأنه سيؤتيه الله مالا وولداً!

أمانيه الباطلة:

﴿أَمَّا تَتَذَكَّرُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: أم له عند الله عهد سيؤتيه ذلك، أو

قال: لا إله إلا الله، فيرجو بها ما يتمنى؟!.

أو قد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب، الذي توحّد به الواحد القهار، حتى ادّعى أن يُؤتَى في الآخرة مالا وولداً!

أم اتخذ من عالم الغيب عهداً بذلك؟ فإنه لا يتوصّل إلى العلم إلا بأحد هذين الطريقين.

وقيل: العهد، كلمة الشهادة، والعمل الصالح، فإن وَعَدَ اللَّهُ بالثواب عليهما كالعهد عليه.

وعيد الله له:

﴿كَلاَّ﴾: رَدْعٌ وزجر وتنبية على الخطأ، هو مخطيءٌ فيما تصوّره لنفسه، فليرتدع إذا عنه!

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: المراد سنُظهر له ونُعَلِّمُهُ أنا كتبنا قوله؛ لأنه كما قال: كتب من غير تأخير، قال الله تعالى

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾^(١).

﴿وَنُمَدُّ لَهُمُ الْعَذَابَ مَدًّا﴾^(٢).

نزيده من العذاب، كما يزيد في الافتراء والاجترار.

والمعنى: نُطوّل له من العذاب ما يستأهله، ونضاعفه له لكفره واستهزائه، وافتراءه على الله جلّت عظمتُه.

(١) ق: ١٨.

(٢) مريم: ٧٩.

رواية أخرى في سبب نزولها:

روي عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال: كنت قيناً^(١) في الجاهلية، فعملت للعاص بن وائل سيفاً، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد! فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث! قال: وإني لميت ثم مبعوث؟! قلت: بلى. قال: دعني حتى أموت وأبعث، فساوتني مالا وولداً، فأقضيك! فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي...﴾ الآية. اهـ.

قال الله تعالى /

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٢٧)
يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

البحث

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾: عض اليدين، والأنامل، وأكل البنان، ونحوها: كنايةات عن الغيظ والحسرة!.

قال عطاء: يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه، ثم يبتان، ثم يأكلهما، وهكذا كلما نبت يدها أكلهما على ما فعل تحسراً!.

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما:
الظالم: عتبة بن أبي معيط؛ والخليل: أبي^(٣) بن خلف.

(١) قيناً: حداداً.

(٢) الفرقان: ٢٧ - ٢٩.

(٣) وفي رواية: أمية بن خلف.

وذلك أن عقبة صنع طعاماً، فدعا أشراف قريش، وكان فيهم رسول الله ﷺ، فامتنع أن يطعم، أو يشهد عقبة شهادة التوحيد، ففعل. فأتاه أبي^(١) بن خلف، وكان خليله، وقال: أصبأت؟.

قال: لا! ولكن استحييت أن يخرج من منزلي، أو يطعم من طعامي.

«فقال له خليله: لا أرضى حتى ترجع وتبصق في وجهه، وتطأ عنقه، وتقول: كيت، وكيت! ففعل عدو الله ما أمره به خليله! فأنزل الله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾.

قال الضحاك: لما بصق عقبة في وجه رسول الله ﷺ. رجع بصاقه في وجهه، وشوى وجهه وشفتيه، حتى أثر في وجهه وأحرق خديه، فلم يزل أثر ذلك في وجهه حتى قتل^(٢).

حكم الآية:

الظالم: هو المشرك عقبة بن أبي معيط، كان نطق بالشهادتين، ثم رجع إرضاء لأبي بن خلف!.

وفي تفسير الخازن: حكم الآية عام في كل خليلين ومتحابين، اجتمعا على معصية الخالق عز وجل!.

وورد: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»^(٣).

وورد: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(٤).

(١) وفي رواية: أمية بن خلف.

(٢) تفسير القرطبي: (١٣ : ٢٥/٢٦).

(٣) رواه أبو داود، والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ.

(٤) رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ.

يقول: «يا» للتنبيه، ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً: محمد، أي: صاحبه في اتخاذ سبيل الهدى، أي: طريقاً إلى الهدى، يا ويلتا: ألفه عوض عن ياء الإضافة - أي: ويلتي، ومعناه: يا هلكتي -، ليتني لم أتخذ فلاناً - ايلاً، فكنى عن اسمه وإن أريد به الجنس، فكل من اتخذ من المضلين خليلاً، كان لخليله اسم علم لا محالة، فجعل كناية عنه.

لقد أضلني عن الذكر - أي القرآن - أو عن ذكر الله، أو كتابه، أو موعظة الرسول، أو كلمة الشهادة، بعدما تمكنت منه.

خدلان الكافر خليله:

﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بأن ردني عن الإيمان به. ﴿وَكَاثَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ والكافر خذولاً لخليله، بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء بعد المعاونة، والموالاة: هو مبالغة من الخدلان، وهو من عادة الشيطان ترك من يواليه.

قال في الظلال:

وهكذا راح القرآن، يهز قلوبهم هزاً بهذه المشاهد المزلزلة، التي تجسم لهم مصيرهم المخيف، وثرثريهم إياه واقعاً مشهوداً، وهم بعد في هذه الأرض: يكذبون بقاء الله، ويتطاولون على مقامه دون توقير، ويقترحون الاقتراحات المستهترة؛ والهول المرعب ينتظرهم هناك، والندم الفاجع بعد فوات الأوان. اهـ.

قال الله تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١).

(١) البقرة: ٢٦٧.

البحث

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾: تقصّدوا، والأصل تيمموا بتاءين فحذفت إحداهما تخفيفاً، ﴿الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾: الرديء، من المذكور في قوله: ﴿مِنْ طَيِّبَتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ في صدر الآية: ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ﴾: أي: الخبيث لو أُعْطِيتُموه ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: أي: بالتساهل وغمض البصر وإطباق الجفن؛ وذلك أن الإنسان إذا أخذ ما يكره، أغمض عينيه لئلا يرى ذلك! فكيف تؤدون منه حق الله تعالى؟ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره، فنهوا عنه.

فائدة الصدقة:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: غني عن نفقاتكم، فلم يأمركم بها لاحتياجه إليها؛ بل لنفعكم بها، واحتياجكم لثوابها، فينبغي لكم أن تتحرّوا فيها الطيب.

حميد: أي محمود في أفعاله - وقيل: حميد: بمعنى حامد، أي: أجركم على ما تفعلونه من الخير.

سبب نزول الآية:

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، فكان الرجل يأتي بالقنو^(١) والقنوين، فيعلقه في المسجد، وكان أهل

(١) القنو: العذق أي: غصن الشجرة: والجمع القنوان.

الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع، أتى القنؤ، فضربه بعصاه، فسقط البسر^(١) والتمر فيأكل.

وكان ناسٌ ممن لا يرغب في الخير، يأتي الرجل بالقنؤ فيه الشيص^(٢) والحشَف^(٣)، وبالقنؤ قد انكسر فيعلقه.

فأنزل الله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ ... الآية.

قال: لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلا على إغماضٍ وحياءٍ. قال: فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده^(٤) اهـ.

قال الله تعالى

﴿وَذُؤَالُوذْهَنٌ فَيَذْهِنُونَ﴾ ① وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ② هَمَّا زِمَّ شَاءَ

بَنِيهِمْ ③ مَّنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ ④ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ⑤ أَن كَانَ ذَا مَالٍ

وَبَنِينَ ⑥ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَا كَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ⑦

البحث

﴿وَذُؤَالُوذْهَنٌ فَيَذْهِنُونَ﴾ أي: تمنوا بأن تركز إلى آلهتهم، وتترك ما

أنت عليه من الحق! أو تلاينهم، بأن تدع نهيهم عن الشرك، وتوافقهم فيه أحياناً، فيلاينونك بترك الطعن والموافقة.

(١) البسر أوله: طلع، ثم نخلال، ثم بلح، ثم بسر، ثم رطب، ثم تمر.

(٢) الشيص: هو التمر الذي لا يشد نواه، وإنما يتشيص إذا لم تلقح النخل.

(٣) الحشَف: هو أردأ التمر. وفي المثل: أحشفاً وسوء كيلة. اهـ. مختار.

(٤) أخرجه الترمذي.

(٥) ن: ٨ - ١٧.

وأصل الإدهان: اللين والمصانعة، والمقاربة في الكلام.

وقيل: أدهن الرجل في دينه، وداهن في أمر: إذا خان فيه وأظهر خلاف ما أبطن.

أو تمنوا لو ترك ما أنت عليه، مما لا يرضونه مصانعة لهم، فيفعلوا مثلاً ذلك، ويتركوا بعض ما لا ترضى به، فتلين لهم، ويلينون لك.

سبب نزولها:

وروي أن الوليد بن المغيرة وجماعته، لقوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمدا! هلم فلتعبد ما نعبد، ونعبد ما تعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله!.

فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا، كنا قد شاركناك فيه وأخذنا بحظنا منه!.

وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك، كنت قد شاركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه! فأنزل الله: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الآيات. فهذا هو معنى الإدهان أو المداهنة.

﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ أي: كثير الحلف في الحق والباطل.

﴿مَهِينٍ﴾: حقير الرأي، من المهانة وهي الحقارة. وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانتة، إنما يتقي بأيمانه الكاذبة، التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت، في غير محلها.

﴿هَمَّازٍ﴾: عيَّاب، يعني بذلك - والله أعلم - الاغتيال.

وقيل: الهمَّاز الذي يهمز الناس بيده ويؤذيهم.

واللَّمَّازُ: بلسانه، أي: يهزمهم بلسانه.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَيَلِّكُلْ هُمْزَةً لُّمَزَةً﴾.

﴿مَشَّامٍ بِنَمِيمٍ﴾: نَقَّالٌ للحديث على وجه السعاية، يعني: الذي يمشي

بين الناس ويُحرش بينهم، وينقل الحديثَ لفساد ذاتِ البين، وهي الحالقة.

حديث الباب:

روي أنه عليه الصلاة والسلام مرُّ بقبرين فقال:

«إِنَهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(٢).

وعن أسماء بنتِ يزيد بن السكن، أن النبي ﷺ قال:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال ﷺ:

«الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». ثم قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرَّارِكُمْ؟ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ»^(٣).

وفي رواية: خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ، وَشَرَّارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبَرَاءِ الْعَنَتِ^(٤).

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه إلا أنه قال: نمام.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه أحمد عن شهر، وبقيّة إسناده محتج بهم في الصحيح.

﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ : يمنع الناس عن الخير من الإيمان، والإيقان، والعمل الصالح.

﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ : متجاوز في الظلم، وكثير الإثم، أو معتد في تناول ما أحل الله له، يتجاوز فيها الحدَّ المشروع. أثيم : يتناول المحرمات.

﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ جاف غليظ، صحيح جموح منوع.

روي أنه عليه الصلاة والسلام قال:

«ألا أخبركم بأهل النار؟ كلُّ عتِلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ»^(١).

﴿زَنِيمٍ﴾ أي : دعي ملحق النسب.

ولما نزلت هذه الآيات قال لأمه : - أعني الوليد بن المغيرة - إن محمداً - ﷺ - وصفني بتسع صفاتٍ أعرفها، غيرَ التاسعِ منها، فإن لم تصدقيني الخبرَ ضربتُ عنقك!

فقالت له : إن أباك عني، فخفتُ على المال، فمكنت الراعي من نفسي فأنت منه!

قال ابن عباس : لا نعلم أن الله وصف أحداً بما وصفه به من العيوب كالوليد، فالحق لله به عاراً لا يُفارقة أبداً.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي : هذه مقابلة من أنعم الله عليه، من المال

والبنين! كفرَ بآياتِ الله تعالى، وأعرضَ عنها، وزعم أنها كذب، مأخوذ من أساطير الأولين.

(١) رواه البخاري، ومسلم.

فما ينبغي ولا يليق منه ذلك، لأن المال والبنين من النعم، فكان ينبغي مقابلتها بالشكر والتصدق، لا بالكفر والتكذيب.

إذا تليت عليه آيات الله يقول: إنها أساطير الأولين.

﴿سَنَسْمُهُ عَلَى الْخَرْطُومِ﴾: بالكي على الأنف، وقد أصاب أنفه جراحة يوم «بدر» فبقي أثره إلى أن مات!.

أو نسود وجهه يوم القيامة، ولا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة!.

أو سنجعل على أنفه علامة يُعير بها ما عاش، فحطم أنفه بالسيف يوم «بدر»!.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد يكتب مؤمناً أحقأباً ثم أحقأباً، ثم يموت وهو عليه ساخط. وإن العبد يكتب كافراً أحقأباً ثم أحقأباً، ثم يموت والله عنه راضٍ». ومن مات همأزاً لمأزاً ملقبأ للناس، كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين.

قال الله تعالى

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَہِيدًا ۖ ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۖ ﴿١٦﴾ سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ۖ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ ﴿١﴾﴾

(١) المدثر: ١١ - ١٧.

البحث

والخطاب للرسول - ﷺ - ومعناه: خلّ بيني وبين هذا الذي خلقتُه وحيداً، مجرداً من كل شيءٍ آخر، مما يعتز به من مال كثير ممدود، وبين حاضرين شهود، ونعم يتبطر بها ويختال ويطلب المزيد، خلّ بيني وبينه، ولا تشغل بالك بمكره، وكيد، فأنا سأتولّى حربَه.

وهنا يرتعش الحسُّ ارتعاشة الفزع المُزلزل، وهو يتصور انطلاق القوة التي لا حد لها... قوة الجبار القهار... لتسحق هذا المخلوق الضعيف المسكين، الهزيل الضئيل! وهي الرعشة التي يُطلقها النصُّ القرآني في قلب القارئ والسامع، الآمنين منها، فما بال الذي تتجه إليه وتواجهه...

ويطيل النصُّ في وصف هذا المخلوق، وما آتاه الله من نعمه وآلائه، قبل أن يذكر إعراضه وعناده.

فهو قد خلقه وحيداً، مجرداً من كل شيءٍ حتى من ثيابه! ثم جعل له مالا كثيراً ممدوداً، ورزقه بنين من حوله حاضرين شهوداً، فهو منهم في أنس وعزة، ومهد له الحياة تمهيداً، ويسرّها له تيسيراً.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ فهو لا يقنع بما أُوتي، ولا يشكر ويكتفي. اهـ من الظلال باختصار.

سبب نزول هذه الآيات:

روي أنه عليه الصلاة والسلام، قام يوماً في المسجد يقرأ قوله تعالى:

﴿حَمْدٌ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ

التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١﴾.

(١) المؤمن: ١ - ٣.

والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلما فطن النبي ﷺ
لاستماعه لقراءته، أعاد قراءة الآية...

فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه فقال: والله لقد سمعتُ من
محمد - ﷺ - أنفاً كلاماً، ما هو من كلام البشر، ولا من كلام الجن!!.

إنَّ له لحلاوة! وإنَّ عليه لطلاوة! وإنَّ أعلاه لمثمر! وإنَّ أسفله لمغدق!
وإنه يعلو ولا يُعلى عليه! ثم انصرف إلى منزله.

ف قالت قريش: صبا - والله - الوليد، والله لتصبأن قريش كلهم!.

ف قام أبو جهل، وقال: أنا أكفيكموه. فانطلق فقعد إلى جنب الوليد
حزيناً... فقال الوليد: ما لي أراك حزيناً يا ابن أخي؟.

فقال أبو جهل: وما يمنعني أن لا أحزن، وهذه قريش يجمعون لك
نفقة يُعيشونك بها على كبر سنك، ويزعمون أنك زينتَ كلامَ محمد ﷺ
لتأكلَ فضلَ طعامه! فغضب الوليد وقال: ألم تعلم قريش أنني من أكثرهم مالاً
وولداً؟.

وهل شبع محمد وأصحابه من طعام فيكون لهم فضل؟.

ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال لهم: تزعمون أن
محمدأ - ﷺ - مجنون؟ فهل رأيتموه يَخْنُق قط؟.

قالوا: اللهم لا!.

قال: تزعمون أنه كاهن. فهل رأيتموه قط تكهن؟.

فقالوا: اللهم لا.

قال: تزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟.

فقالوا: اللهم لا - وكان ﷺ يُسَمِّي الْأَمِينَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ - فقالت قريشُ للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه وقَدَّر: ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ﴾ أي: ما هذا إلا سحر ينقله محمدٌ من غيره عمن قبله ويحكيه عنهم. فهو ساحر، أما رأيتموه يفرِّق بين الرجلِ وأهله؟ والوالدِ وولده؟ ففرحوا بقوله، وتفرقوا عنه مُعْجَبِينَ!.

فتزل قوله تعالى:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

- ١ - روي أنه كان يُلقبُ الوحيدُ. أي: لا نظير له في ماله وشرفه وجاهه.
- ٢ - معناه: خلَقْتُهُ منفرداً ذليلاً، لا مال له ولا ولد.
- ٣ - معناه: خلَقْتُهُ وحدي.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ قيل: كان ماله ألف دينار. وقيل: مائة ألف دينار.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: لا يغيبون، حضوراً عنده لا يسافرون بالتجارات؛ بل أجراؤهم وخدمتهم يتولَّون ذلك عنهم، وهم قعود عند أبيهم، وكانوا ثلاثة عشر. أسلم منهم ثلاثة: خالد، وعمارة، وهشام.

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾: مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك. وبسطت له الرياسة، والمال، والجاه العريض، حتى لُقِّبَ ريحانة قريش، وقيل: ما زال بعد نزول هذه الآية، في نقصان في ماله حتى هلك!.

﴿سَأَرْهِقُهُمْ صَعُودًا﴾: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ويل وادٍ في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً

قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ! وَالصَّعُودُ: جَبَلٌ مِنْ نَارٍ، يَتَّصِعِدُ فِيهِ الْكَافِرُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوِي بِهِ كَذَلِكَ أَبَدًا.

وَفِي رِوَايَةٍ: «صَعُودُ جَبَلٍ فِي النَّارِ مِنْ نَارٍ، يُكَلِّفُ أَنْ يَصْعَدَهُ، فَإِذَا وَضَعَ يَدَهُ ذَابَتْ! وَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ، وَإِنْ وَضَعَ رِجْلَهُ ذَابَتْ، وَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ».

﴿إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ﴾ أَي: أَرَهَقْنَاهُ صَعُودًا لُبْعَدَهُ عَنِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، أَي: تَرَوْنِي مَاذَا يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ حِينَما سُئِلَ؟ فَفَكَرَ مَاذَا يَخْتَلِقُ مِنَ الْمَقَالِ! ثُمَّ نَظَرَ فِي الْقُرْآنِ مَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ عَبَسَ وَقَطَّبَ وَجْهَهُ، لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيهِ مَطْعَنًا، وَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ!

﴿لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ مَعْنَى اللُّوَا حَةِ: مُغَيَّرَةٌ، يُقَالُ: لَوْحُهُ السَّفَرُ إِذَا غَيَّرَهُ. وَالْبَشَرُ: جَمْعُ بَشْرَةٍ. وَهِيَ: الْجِلْدَةُ. فَالْمَعْنَى: أَنَّهَا تَحْرَقُ الْجُلُودَ وَتَسْوَدُّهَا، وَقِيلَ: لَوْاحَةٌ: مِنْ لَاحَ إِذَا ظَهَرَ. وَالْبَشَرُ: النَّاسُ، أَي: تَلُوحُ لِلنَّاسِ، فَتُظْهِرُ لَهُمْ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أَي: شَدِيدِي الْخَلْقِ، لَا يُقَاوِمُونَ وَلَا يُغَالِبُونَ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! أَمَا يَسْتَطِيعُ كُلُّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ لَوْاحِدَ مِنْهُمْ فَتَغْلِبُونَهُمْ؟! فَتَنَزَّلَتْ...

وَقَدْ قِيلَ: إِنْ كَلَدَ بَنُ أُسَيْدٍ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! أَكْفُونِي مِنْهُمْ اثْنَيْنِ! وَأَنَا أَكْفِيكُمْ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ، إِعْجَابًا بِنَفْسِهِ!

وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْقُوَّةِ، أَنَّهُ كَانَ قَدْ يَقِفُ عَلَى جِلْدِ الْبَقَرَةِ، وَيَجَاذِبُهُ عَشْرَةٌ يَنْزِعُوهُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، فَيَتَخَرَّقُ الْجِلْدُ، وَلَا يَتَزَحُّزُّ عَنْهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ۝٣ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾

البحث

هذه السورة مكية، فهي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم، ولقد تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ، مدة قدرها الرواة: أربعين يوماً. فقال المشركون: إن محمداً قلاه ربه! يعني: بغضه؛ ولم يعد ينزل عليه الوحي بعد الآن.

فتزل قوله: ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ۝٣ ﴾.

أقسم الله بالضحى وهو: النهار. وأقسم بالليل الساجي: الساكن، ما ودعك ربك يا محمداً! وما بغضك.

وقيل: يريد الله بالضحى: نور الجنة. وبالليل الساجي: المظلم، يشير إلى الدنيا، فهي كالليل الساجي إليهم.

فكل مَنْ فيها مُتَحِيرٌ لَا يَعْرِفُ مَصِيرَهُ، وَلَا يَدْرِي إِلَى أَيْنَ الْمُسْتَقَرُّ؟.

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ مَنْ يَمْشِي فِي الظَّلَامِ، لَا يَهْتَدِي إِلَى الطَّرِيقِ، إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ وَجْهَدٍ...

أَوِ الضُّحَى: نورٌ في قلوب المؤمنين، والليل الساجي: ظلمةٌ في قلوب الكافرين.

أو المراد بالضحى: الوحي السماوي، فهو حين ينزل عليك، يُشبه الضحى في رابعة النهار، وانقطاعه عنك يُشبه الليل الساكن، المظلم الموحش.

واختار الله القسم بالضحى والليل: يُريد الحث والترغيب على العبادة فيهما. فما أقل العباد في الضحى؟ وما أقل العباد والليل ساكن مظلم؟.

ويرى بعض العلماء، أن وفداً من اليهود، سألوا النبي ﷺ عن قصة أهل الكهف، وعن الروح، وعن ذي القرنين؟.

فقال عليه الصلاة والسلام للوفد: «غداً أخبركم» ولم يقل: إن شاء الله، فتأخر الوحي.

فقال المشركون: إن محمداً قد قلاه ربه وبغضه. فنزل قوله تعالى: مُعَلِّلاً سَبَبَ تَأْخِيرِ الْوَحْيِ:

﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۖ﴾.

ثم رد الله على المشركين بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: لم يتركك يا محمد! ترك المودع، وما بغضك.

وكيف يكون ذلك؟ وأنت الحبيب المختار لرسالة كبرى، ومهمة عظيمة.

ثم قال: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾.

لقد أطلع الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام، على ما سينفتح لأمته في الدنيا، فسّر عليه الصلاة والسلام سروراً عظيماً.

فقال الله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾.

يعني : أَنْ ما أدخره الله لك في الآخرة، خير وأبقى وأحسن من ذلك.
ولقد خص الله النبي ﷺ، بعطايا كثيرة، ومزايا عدة.

فهو أول مَنْ يفتح باب الجنان. وأعطاه الله الكوثر، وهو: نهر في الجنة: حافته من اللؤلؤ، وترابه من المسك الأذفر.

وهو صاحب الحوض المورود: ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، كيزانه: عدد نجوم السماء، مَنْ شرب منه لم يظمأ بعد ذلك أبداً.

وهو صاحب الشفاعة الكبرى، في فصل القضاء، ففي هذا اليوم الشديد الكرب، تتمنى الخلائق الانصراف ولو إلى النار؛ ليعرف كل مصيره، فتقوم الخلائق إلى آدم عليه السلام، فيقولون له: يا أبا البشر! سل ربك الحساب.

فيعتذر آدم، بسبب زلة ارتكبها، حيث نهاه عن الأكل من الشجرة، فأكل منها، فيقول: نفسي، نفسي!.

ثم يذهبون إلى أبينا إبراهيم عليه السلام، فيقولون له: يا خليل الرحمن! سل ربك الحساب!.

فيعتذر إبراهيم، ويذكر له ذنباً، لقد كسر إبراهيم الأصنام وحطمها، فلما سُئل مَنْ فعل هذا بالهتنا يا إبراهيم؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا، وأشار إلى أكبر صنم بعد أن علق الفأس برقبته!.

فيقول: نفسي، نفسي!.

ثم بعد ذلك تتوجه الخلائق إلى عيسى عليه السلام، فيقولون له: يا روح الله وكلمته! سل ربك الحساب!..

فيعتذر عيسى عليه السلام ولا يذكر ذنباً، فيقول: أدلكم على النبي العربي الأمي، وهو محمد عليه الصلاة والسلام، فيتوجهون إليه، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: أنا لها، أنا لها!.

ثم يتوجه عليه الصلاة والسلام إلى الله، ومعه لواء الحمد، فيسجد تحت العرش. فيقول له ربه: إرفع رأسك يا محمد! وسل تُعط، واشفع تُشفع.

فيرفع رأسه ويقول: يا رب! أسألك القضاء. لقد أعطاه الله الوسيلة والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

روي أنه عليه الصلاة والسلام، تلا قول إبراهيم:

﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وقول عيسى عليه السلام:

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

فبكى عليه الصلاة والسلام، فقال الله تعالى: يا جبريل!! سل محمداً عن سبب بكائه - والله يعلم سبب ذلك -.

فقال جبريل: يا رسول الله ما يُكيك؟

فقال النبي ﷺ: «أمتي، أمتي!».

صعد جبريل إلى السماء، ونزل بالآية الكريمة: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

(١) إبراهيم: ٣٦.

(٢) المائدة: ١١٨.

فقال صلوات الله وسلامه عليه :
«إِذَا، لَا أَرْضِيْ وَوَاحِدٌ مِنْ أُمْتِي فِي النَّارِ» .
ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

«لَا أَزَالُ أَشْفَعُ فِي أُمْتِي ، حَتَّى يَقُولَ لِي رَبِّي : هَلْ رَضِيتَ يَا مُحَمَّدٌ؟ فَأَقُولُ : نَعَمْ رَضِيتَ» .

ولذلك ستعم شفاعته جميع المؤمنين ، وهذه الآية أرجى آية في كتاب الله تعالى . وفي رأي علي بن أبي طالب . فقد قال رضي الله عنه لأهل العراق :

يا أهل العراق ! إنكم تقولون : أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ...﴾ الآية^(١) ولكننا أهل البيت ، نعتقد أن أرجى آية قوله تعالى :
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ .

لقد كنت يتيماً مات أبوك ، وأنت في بطن أمك . ثم توفيت أمك وأنت في السادسة من عمرك ، فأواك إلى عمك أبي طالب ، فتولى تربيتك . ولقد أمت الله أبوك ، فلا يكون لأحد حق عليك ، سوى خالقك ومربيك .

ولقد قال أبو بكر للنبي ﷺ : يا رسول الله ! طفت العرب ، فما وجدت أحسن منك أدباً ، فمن أدبك وعلمك ؟! .

(١) وتمام الآية : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

فقال صلوات الله وسلامه عليه: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

ثم قال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾.

وجدك متحيراً، فهذاك بالنبوة. أو المراد بالضلال: ضلال العرب، فكانوا على غير هدى: فما بين عابدٍ شجر، ومؤله حجر، وراكعٍ لحيوان! فهداهم بك، وآمنوا بربهم وأسلموا.

ثم قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾.

وجدك فقيراً فأغناك بالعلم والنبوة، وملاً قلبك حكمةً ونوراً، وهدي وبقيناً، لم يُغنك الله بالمال: لأن المال عرض زائل، وغادٍ ورائح، أما النبوة: فباقية أبد الأبد؛ وذكرك: باقي لا يزول، نعمة عظيمة، ومنه كبرى، فأنت الحبيب المختار.

ثم قال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

اليتيم: من فقد أباه ولم يبلغ مبلغ الرجال!

فلقد ذقت يا محمد مرارة اليتيم، فلا تقهر اليتيم، ولا تحتقره، فإكرام اليتيم واجب؛ ولقد حرم الله أكل ماله، فقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا إِلَيْهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ وَجِبَتْ لَهُ

الجنة»^(٢).

(١) النساء: ١٠.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط. إلا أنه قال: له أو لغيره، حتى يغنيه الله عنه، وجبت له الجنة.

ثم قال: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

السائل: هو صاحب الحاجة، فلا تنهر السائل ولا تزجره؛ بل أكرمه وأعطه؛ فإن لم يكن عندك ما يطلب، فرده رداً جميلاً.

ثم قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

أي: حدث الناس بنعم الله عليك؛ لتشكر الله، وليعرفوا فضلك؛ فأنت خاتم الأنبياء، وصاحب الشفاعة، وأعطاك الله الحوض المورود، والمقام المحمود، وأعطيت السبع المثاني، ونصرت بالرعب، وجعلت لك الأرض سجداً وطهوراً، وأجلت لك الغنائم!

وواجب علينا، أن نتحدث بنعم الله تعالى؛ فيكون ذلك أدعى للشكر، والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١).

قال الله تعالى

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٢).

البحث

روي أنه عليه الصلاة والسلام، بعدما قرأ هذه الآية قال:
أما السابق بالخيرات: فيدخل الجنة بغير حساب!

(١) إبراهيم: ٧.

(٢) فاطر: ٣٢.

وأما المقتصد: فيحاسب حساباً يسيراً!.

وأما الظالم لنفسه: فيحبس في المقام، حتى يدخله الهم، ثم يدخل الجنة، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١).

حديث: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له!»^(٢).

قال عقبه: سألت عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية؟ فقالت: يا بُني! كلهم في الجنة!.

أما السابق: فمن مضى على عهد الرسول ﷺ، وشهد له بالجنة!.

وأما المقتصد: فمن تبع أثره من أصحابه، حتى لحق به!.

وأما الظالم لنفسه: فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسها رضي الله عنها

معنا!.

وقيل السابق: من رجحت حسناته على سيئاته!.

والمقتصد: من استوت حسناته وسيئاته!.

والظالم: من رجحت سيئاته على حسناته!.

وقيل السابق: الذي باطنه خير من ظاهره!.

والمقتصد: الذي استوى باطنه وظاهره!.

والظالم: من كان ظاهره خيراً من باطنه!.

وقيل السابق: العالم!.

(١) فاطر: ٣٤.

(٢) رواه ابن مردويه، والبيهقي في البعث، عن عمر رضي الله عنه، ورمز السيوطي لحسنه، كما في «الجامع الصغير».

والمقتصد: المتعلم!.

والظالم: الجاهل!.

وقيل السابق: هو الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة!.

والمقتصد: أهل الصغائر!.

والظالم: أهل الكبائر!.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١).

البحث

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَدْعُو نوحاً - عليه السلام - يومَ القيامة فيقول له:

هل بلغت قومك الرسالة؟ فيقول: نعم.

فيسأل أمته فتقول: ما جاءنا نذيراً!

فيقول الله لنوح: هل لك شاهدٌ على التبليغ؟

فيقول: نعم يا رب! «محمد وأُمته».

فيجاء بهم فيشهدون عليهم، بأن نوحاً قد بلغهم.

يقولون: كيف يشهدون علينا مع تأخيرهم عنا في الزمان؟!.

فتقول الأمة المحمدية: يا رب! علمنا من كلامك القديم، وأنت

أصدق القائلين: أن هؤلاء كانوا مكذبين.

فتطعن أمة نوح في شهادتهم، إلا إذا زكاهم معصوم...

فيجيء محمد ﷺ فيقول: «أمتي عدول»، فتنفذ شهادتهم.

(١) البقرة: ١٣٢.

وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدولاً.

﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: الكفار!

﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: مزيماً لكم!

وتلك الشهادة لا تكون إلا من خيار الأمة المحمدية^(١).

* * *

(١) التاج الحامع للأصول: (٤/٥٠).

آيات الظهار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكَ لَكُمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينَ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَتْمِزْ بِأَلْفِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

سبب نزول الآيات:

روي أن خولة بنت ثعلبة، امرأة أوس بن الصامت، راودها عن نفسها، فأراد موافقتها، فأبت! فغضب فظاهر منها.

فأتت خولة رسول الله ﷺ، وقالت: يا رسول الله! إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوبة في، فلما كبر سني،

(١) المجادلة: ١ - ٤.

وكثر ولدي، جعلني كأمه! وإن لي صبية صغاراً، إن ضمهم إليه ضاعوا،
وإن ضممتهم إليّ جاعوا!.

فقال لها عليه الصلاة والسلام: «ما عندي في أمركِ شيء». وفي رواية: «ما أراك إلا قد حرمت عليه». فتوقف عليه الصلاة والسلام في أمرها، ولم يبت شيئاً! قالت خولة: يا رسول الله! ما ذكر طلاقاً، وإنما هو أبو ولدي، وأحب الناس إليّ.

فكان لا يزيد على أن يجيئها: «ما أراك إلا قد حرمت عليه». فقالت خولة: أشكو إلى الله فاقتي ووجدني، وكلما قال لها رسول الله: «حرمت عليه» هتفت وشكت إلى الله أمرها!.

فبينما هي كذلك حتى بلغ الحزن منهاه... وإذا برسول الله ﷺ، قد تربد وجهه، وأخذه ما يأخذه عند نزول الوحي، فنزل جبريل بهذه الآيات، في أحكام الظهار، فأرسل عليه الصلاة والسلام إلى زوجها أوس وقال: ما حملك على ما صنعت؟!.

فقال: الشيطان، فهل من رخصة؟. فقال: نعم: وقرأ عليه الآيات الأربع. فقال له عليه الصلاة والسلام: «هل تستطيع العتق؟». فقال: لا والله!.

فقال: «هل تستطيع الصوم؟».

فقال: لا والله! لولا أنني أكل في اليوم مرة أو مرتين لكل بصري، وظننت أنني أموت!.

فقال: «هل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟».

فقال: لا والله يا رسول الله! إلا أن تُعينني منك بصدقة، فأعانه بخمسة عشر صاعاً، وأخرج أوس من عنده مثله، فتصدق به على ستين مسكيناً.
وتدل هذه الواقعة، على أن من انقطع رجاؤه عن الخلق، ولم يبق له في قلبه سوى الخالق، كفاه الله ذلك المَهم.

والظهار: من الكبائر لقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مَنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾^(١).

أي: إن هؤلاء المظاهرون، يقولون كلاماً منكراً، تُنكره الحقيقة، ويُنكره الشرع، وهو كذب وزور وبهتان.

روى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، ولقد جاءت المجادلة - أي: خولة - بنت ثعلبة، فكلمت رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفي علي بعضه، وتقول: يا رسول الله! أبلَى شبابي، ونثرتُ له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، إني أشكو إليك، فما برحتُ، حتى نزل جبريل بهذه الآيات...

وقد مر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في خلافته، والناس معه فاستوقفته طويلاً! ووعظته وقالت له:

يا عمر! قد كنت تُدعى عميراً، ثم قيل لك: عمر، ثم قيل لك: أمير المؤمنين! فاتق الله يا عمر في الرعية؛ فإنه من أيقن بالموت، خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب. وهو واقف يسمع كلامها! فقيل له:
يا أمير المؤمنين! أتقف لهذه العجوز، هذا الوقوف؟!.

(١) المجادلة: ٢.

فقال رضي الله تعالى عنه: لو حَبَسْتَنِي من أول النهار إلى آخره، لا زِلْتُ إلا للصلاة المكتوبة! أتدرون من هذه العجوز؟ هي: «خولة بنت ثعلبة» سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أسمع رب العالمين قولها، ولا يسمعه عمر؟!.

صيغة الظهار: بأن يقول الرجل لزوجته المظاهر منها: أنت علي كظهر أمي.

الظهار قبل الإسلام:

كان الرجل في الجاهلية يغضب لأمر من امرأته فيقول لها: «أنت علي كظهر أمي». فتحرم عليه، ولا تطلق منه، وتبقى لا هي جل له، فتقوم بينهما الصلوات الزوجية؛ ولا هي مطلقة منه، فتجد طريقاً!.

وكان هذا طرفاً من العنت الذي تلاقيه المرأة في الجاهلية.

والكفارة تجب بالظهار مع العود، ككفارة اليمين، تجب باليمين والحنث.

والكفارة: عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب.

فإن لم يجد، فصيام شهرين متتابعين.

فإن لم يستطع، فإطعام ستين مسكيناً، كل مسكين مد، ولا يحل له وطؤها حتى يكفر^(١).

(١) راجع العلماء في موضوع الظهار، وعد إلى كتب الفقه، لينكشف لك أحكام هذا الباب الدقيق.

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

يُخْشَى عَلَى الْعَاقِ سُوءُ الْخَاتِمَةِ :

رُوي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَتَاهُ آتٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! شَابَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ ! .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَكَانَ يُصَلِّي » ؟ . فَقَالَ : نَعَمْ .
فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَنَهَضْنَا مَعَهُ ، فَدَخَلَ عَلَى الشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ :
« قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ! فَقَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ .
قَالَ : « لِمَ ؟ » قَالَ : كَانَ يَعْقُ وَالِدَتَهُ ! .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَحْيَةُ وَالِدَتُهُ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَ : « أَدْعُوهَا » . فَدَعَوْهَا ،
فَجَاءَتْ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « هَذَا ابْنُكَ ؟ » . قَالَتْ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ لَهَا :
« أَرَأَيْتَ إِنْ أُجِجَتْ نَارٌ ضَخْمَةٌ ، فَقِيلَ لَكَ : إِنْ شَفَعْتَ لَهُ خَلِينَا عَنْهُ ، وَإِلَّا
أَحْرَقْنَاهُ بِهَذِهِ النَّارِ ، أَكُنْتَ تَشْفَعِينَ لَهُ » ؟ .

قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا أَشْفَعُ .
قَالَ : « فَأَشْهَدِي اللَّهَ وَأَشْهَدِينِي ! أَنْكَ قَدْ رَضِيتَ عَنْهُ » .
قَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ ، وَأَشْهَدُ رَسُولَكَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنْهُ ! .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « يَا غُلَامُ ! قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا

شريك له، واشهد أن محمداً عبده ورسوله». فقالها الغلام! فقال عليه الصلاة والسلام: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»^(١).

الفروض لا تنفع مع العقوق:

وروي عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! شهدت أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت رمضان؛ ما لي؟ - يعني من الأجر والثواب - فقال عليه الصلاة والسلام:

«مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا - وَنَصَبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْهِ - مَا لَمْ يَعْقُ وَالِدِيهِ»^(٢).

العقوق ذنب معجل عقوبته:

وروي عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«كُلُّ الذَّنُوبِ يُؤَخَّرُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا عَقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ»^(٣).

الولدان هما الجنة والنار:

وروي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما حقُّ الوالدين على ولديهما؟ قال: «هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ»^(٤).

(١) رواه الطبراني، وأحمد.

(٢) رواه أحمد، والطبراني.

(٣) رواه المحاكم وقال: «صحيح الإسناد».

(٤) رواه ابن ماجه.

بِرُّ الوالدين من أحبِّ الأعمالِ إلى الله تعالى :

وروى الشيخان مرفوعاً: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه قال: يا رسول الله! أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله تعالى؟

قال: «الصلاة على وقتها». قال: ثم أيُّ؟ قال: «بِرُّ الوالدين».

الجنة تحت أقدام الأمهات :

روى أبو يعلى والطبراني؛ أَنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! إني أشتهي الجهاد، ولا أقدرُ عليه! فقال عليه الصلاة والسلام:

«هل بقي من والدك أحدٌ؟» قال: أُمِّي. قال: «فأتقِ الله في برِّها، فإذا فعلتَ ذلك، فأنت حاجٌّ ومُعْتَمِرٌ ومجاهدٌ».

وفي رواية: قلتُ: يا رسول الله! إني أريدُ الجهادَ: فقال: «أُمك حيةٌ؟» قلتُ: نعم: قال: «إلزمَ رجلها فثمَّ الجنة».

أنت ومالك لأبيك :

وروي أَنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن لي مالاً وولداً، وإنَّ أبي يُريدُ أن يجتاحَ مالي!

فقال له رسولُ الله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»^(١).

نموذج شعري :

وَبِرُّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرُّ الْأَبَاعِدِ	عَلَيْكَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
عَفِيفاً ذَكِيّاً مُنْجِزاً لِلْمَوَاعِدِ	وَلَا تَصْحَبَنَّ إِلَّا تَقِيّاً مُهَذَّباً
فَتَى مِنْ بَنِي الْأَحْرَارِ زَيْنَ الْمَشَاهِدِ	وَقَارِنٌ إِذَا قَارَنْتَ حُرّاً مُؤَدَّباً

(١) رواه ابن ماجه، عن علي رضي الله عنه.

وَكُفَّتِ الْأَذَى وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاتَّقِ
وَنَافِسْ بِذَلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَا
وَكُنْ وَاثِقاً بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
هَبَالَهُ فَاسْتَعِصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
وَعُضِّ عَنْ الْمَكْرُوهِ طَرْفَكَ وَاجْتَنِبْ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

غَذَوْتُكَ^(١) مَوْلُوداً وَمُتُّكَ^(٢) يَافِعاً
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبْتَ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ^(٣) دُونَكَ بِالَّذِي
تَخَافُ الرَّدَى^(٤) نَفْسِي عَلَيْكَ، وَإِنِّهَا
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي
جَعَلْتَ جِزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاطَةً^(٥)
فَلَيْتَكَ إِذَا لَمْ تَرْعَ حَقَّ أَبَوَتِي
تَرَاهُ مُعَدَّاً لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ

فَدَيْتَكَ فِي وُدِّ الْخَلِيلِ الْمُسَاعِدِ
بِهِمَّةٍ مَحْمُودِ الْخِلَاقِ مَا جَدَّ
يَصُنُّكَ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ
وَلَا تَكُ فِي النِّعْمَاءِ عَنْهُ بِجَاحِدٍ
أَذَى الْجَارِ وَاسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ الْمَحَامِدِ

تَعَلَّ^(٦) بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ^(٧)
لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلَّمُ^(٨)
طَرِقتَ بِهِ دُونِي، فَعَيْنِي تَهْمَلُ^(٩)
لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُؤَجَّلٍ
إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمَلُ
كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ
فَعَلْتَ كَمَا^(١٠) الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
بَرْدٌ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

(١) غَذَوْتُ الصَّبِيَّ بِاللَبَنِ، مِنْ بَابِ عَدَا، أَيِ: رَبَيْتَهُ.

(٢) قَمْتُ بِكَفَايَتِكَ.

(٣) عَلَّمَهُ بِالشَّيْءِ: لَهَا بِه.

(٤) مِنَ النَّهْلِ وَهُوَ الشَّرْبُ أَوَّلًا، مِنْ بَابِ طَرَبَ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ.

(٥) إِذَا لَمْ يَسْتَقِرَّ مِنَ الْوَجَعِ، أَتَمَلَّمُ: أَتَقَلَّبُ.

(٦) طَرَقَ مِنْ دَخَلَ دَخَلَ، فَهُوَ طَارِقٌ إِذَا جَاءَ لَيْلاً.

(٧) هَمَلْتُ عَيْنَهُ: إِذَا فَاضَتْ، وَبَابُهُ نَصَرَ.

(٨) رَدَى: مِنْ بَابِ صَدَى إِذَا هَلَكَ.

(٩) فَظٌ يَفْظُ فِظَاطَةً إِذَا هَلَكَ.

(١٠) الْكَافُ: حَرْفُ جَرٍّ وَتَشْبِيهِ، وَالْمَصْدَرُ الْمُؤَوَّلُ مِنْ مَا وَمَا بَعْدَهَا، فِي مَحَلِّ جَرٍّ،

وَالْتَقْدِيرُ: فَعَلْتُ كَفَعَلِ الْجَارُ الْمُجَاوِرُ.

نموذج نثري:

عن طاوسٍ عن أبيه قال: كان رجل له أربعة بنين، فمرض، فقال
أحدهم:

إما أن تُمرضوه - أي تتعهدوه بالخدمة - وليس لكم من ميراثه شيء، وإما
أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء؟!.

قالوا: بل تُمرضه وليس لك من ميراثه شيء.
فمرضه حتى مات، ولم يأخذ من ميراثه شيئاً!.

قال: فأتيت في المنام فقيل له: إئت مكان كذا وكذا، فخذ منه مئة دينار!.
فقال: أفيها بركة؟ قال: لا. فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته.

فقالت: خذها، فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش بها.
فلما أمسى أتني في النوم، فقيل له: إئت مكان كذا وكذا، فخذ منها
عشرة دنانير!.

قال: أفيها بركة؟ قالوا: لا.
فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته، فقالت له مثل ذلك.

فأبى أن يأخذها، فأتيت في الليلة الثالثة، فقيل له: إئت مكان كذا وكذا،
وخذ منه ديناراً!.

قال: أفيه بركة؟ قالوا: نعم!.

قال: فذهب فأخذ الدينار، ثم خرج به إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل
حوتين، فقال: بكم هما؟ قال: بدينار. فأخذهما منه وانطلق بهما إلى بيته.

فلما شقهما، وجد في بطن كل واحد منهما دُرّة لم يرَ الناسُ مثلها!.

فبعث المَلِكُ يطلب درةً يشتريها، فلم توجد إلا عنده. فباعها بثلاثين
وقراً - حملاً - ذهباً! فلما رآها المَلِكُ قال:

ما تصلح هذه إلا بأخت، فاطلبوا أختها ولو أضعفتُم الثمن! فجاءوه،
فقالوا: أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟.

قال: نعم، فأعطاهم الثانيةً بضعف ما باع به الأولى!.

نموذج:

كان في بني إسرائيل رجلٌ غني، وله ابنٌ عمٌ فقير، ولا وارث له سواه.
فلما طال عليه موته، قتله ليرثه! وحمله إلى قريةٍ أخرى،
فألقيه بفنائهم... ثم أصبح يطلب ثأره، وجاء بناس إلى موسى عليه السلام،
يَدَّعي عليهم القتل! فسألهم موسى عليه السلام، فجحدوا.
فاشتبه أمرُ القتل على موسى عليه السلام، فسأله أن يدعو الله ليبين
لهم حالَ القاتل. فأمرهم بذبح بقرة... ﴿قَالُوا أَلَنَتَّخِذُنَا هُزُؤًا؟﴾.

نحن نسألك عن أمر القتل، وتأمُرنا بذبح بقرة؟ قالوا ذلك: لُبعد ما بين
الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمةُ فيه؟!.

فقال موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

أي: أن أكون من المستهزئين بالمؤمنين.

فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزمٌ من الله عز وجل، استوصفوها!.
ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم؛ ولكنهم شددوا
على أنفسهم، فشدد الله عليهم؛ وكان تحت ذلك حكمةٌ، وهي: أنه كان في
بني إسرائيل رجلٌ صالح، له ابنٌ طِفْلٌ، وله عَجَلَةٌ، فأتى بهذه العجلة إلى
غِيضَةٍ وقال:

اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر! ومات الرجل، وصارت العجلة في الغيضة: (عواناً) - أي لا مسنة ولا صغيرة - وكانت تهرب من كل من رآها.

فلما كبر الابن، وكان باراً بوالدته؛ فكان يقسم الليلة ثلاثاً ثلاثاً: يصلي ثلاثاً، وينام ثلاثاً، ويجلس عند رأس أمه ثلاثاً.

فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره، ويأتي به السوق، فيبيعه بما شاء الله: ثم يتصدق بثلته، ويأكل ثلته، ويعطي أمه ثلته.

فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة، استودعها الله في غيضة كذا، فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل، وإسحاق ويعقوب، أن يردها عليك!. وعلامتها: أنك إذا نظرت إليها تخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدتها.

وكانت تسمى «المذهبة» لحسنها وصفتها.

فأتى الفتى الغيضة، فرآها ترعى، فصاح عليها قائلاً: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل، وإسحاق ويعقوب!.

فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها، فتكلمت بإذن الله تعالى وقالت:

أيها الفتى البار بوالدته! اركبني فإن ذلك أهون عليك!.

فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك؛ ولكن قالت لي: خذ بعنقها.

فقالت البقرة: بإله بني إسرائيل، لو ركبتني ما تقدر عليّ أبداً! فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن يقطع من أصله، وينطلق معك لفعل «ببرك بأملك»، فسار الفتى بها إلى أمه.

فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّكَ فَقِيرٌ لَا مَالَ لَكَ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيْكَ الْاِحْتِطَابُ بِالنَّهَارِ،
وَالْقِيَامُ بِاللَّيْلِ، فَانْطَلِقْ فَبِعْ هَذِهِ الْبَقْرَةَ!.

قَالَ الْوَلَدُ: بِكُمْ أُبَيْعُهَا؟ قَالَتْ: بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ، وَلَا تَبِعْ بِغَيْرِ مَشُورَتِي! - وَكَانَ
ثَمَنُ الْبَقْرَةِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ - فَانْطَلَقَ بِهَا إِلَى السُّوقِ، فَبِعَثَ اللَّهُ مَلَكًا لِيُرِيَ خَلْقَهُ
وَقُدْرَتَهُ، وَلِيُخْتَبِرَ الْفَتَى، وَكَيْفَ بَرُّهُ بِوَالِدَتِهِ، وَكَانَ اللَّهُ بِهِ خَبِيرًا.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: بِكُمْ تَبِيعَ هَذِهِ الْبَقْرَةَ؟ قَالَ: بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ، وَأَشْتَرِطُ
عَلَيْكَ رِضَا وَالِدَتِي.

فَقَالَ الْمَلِكُ: لَكَ سِتَّةُ دَنَانِيرَ، وَلَا تَسْتَأْمِرْ وَالِدَتَكَ!.

فَقَالَ الْفَتَى: لَوْ أُعْطِيتَنِي وَزْنَهَا، لَمْ آخُذْهُ إِلَّا بِرِضَا أُمِّي، فَرَدَّهَا إِلَى
أُمِّهِ. فَأَخْبَرَهَا بِالثَّمَنِ.

فَقَالَتْ: ارْجِعْ وَبِيعْهَا بِسِتَّةِ دَنَانِيرَ، عَلَى رِضَا مِنِّي!.

فَانْطَلَقَتْ بِهَا إِلَى السُّوقِ؛ وَأَتَى الْمَلِكُ فَقَالَ: اسْتَأْمَرْتَ أُمَّكَ؟ قَالَ: إِنَّمَا
أَمَرْتَنِي إِلَّا أَنْقُصَهَا عَنِ السِّتَةِ، عَلَى أَنْ أُسْتَأْمَرَهَا.

فَقَالَ الْمَلِكُ: فَإِنِّي أُعْطِيكَ اثْنَيْ عَشَرَ، عَلَى إِلَّا تَسْتَأْمَرَهَا.

فَأَبَى، وَرَجَعَ الْفَتَى إِلَى أُمِّهِ، فَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ.

فَقَالَتْ: إِنَّ الَّذِي يَأْتِيكَ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِي، لِيُجَرِّبَكَ! فَإِذَا أَتَاكَ فَقُلْ
لَهُ: أَتَأْمَرُنَا أَنْ نَبِيعَ هَذِهِ الْبَقْرَةَ أَمْ لَا؟ فَفَعَلَ الْوَلَدُ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: اذْهَبْ إِلَى أُمِّكَ وَقُلْ لَهَا: أُمْسِكِي هَذِهِ الْبَقْرَةَ! فَإِن

مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ يَشْتَرِيهَا مِنْكُمْ، لَقَتِيلٌ يُقْتَلُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا
بِمَلَأٍ مَسْكِيهَا - جُلْدَهَا - دَنَانِيرًا! فَأَمْسَكُوهَا.

وَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَبْحَ تِلْكَ الْبَقْرَةِ بِعَيْنِهَا، فَمَا زَالُوا

يتواصفوها حتى وصف لهم تلك البقرة، مكافأةً للولد على برِّه بوالدته، فضلاً من الله ورحمة.

ثم إن الله تعالى، أمر موسى عليه السلام، أن يأمر قومه بضرب القتيل ببعضها، فلما فعلوا ذلك، قام القتيل حياً بإذن الله تعالى، وأوداجه تشخبُ دماً وقال: قتلني فلان - أي ابن عمه - ثم سقط ميتاً مكانه.

فحرم قاتله ميراثه!

عقوبة العاق في القبر:

وعن العوام بن حوشب رضي الله تعالى عنه قال: نزلت مرةً حياً، وإلى جانب ذلك الحي مقبرة، فلما كان بعد العصر، انشق منها قبرٌ فخرج رجل: رأسه رأس حمار، وجسده جسد إنسان، فنهق ثلاث نهقات، ثم انطبق عليه القبر!

فإذا عجوز تغزل شعراً، أو صوفاً، فقالت امرأة: ترى تلك العجوز؟ قلت: ما لها؟ قالت: تلك أمٌ هذا؟ قلت: وما كانت قصته؟

قالت: كان يشرب الخمر، فإذا راح تقول له أمه: يا بُني! اتق الله إلى متى تشرب هذه الخمر؟

فيقول لها: إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار!

قالت: فمات بعد العصر. قالت: فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم، فينهق ثلاث نهقات، ثم ينطبق عليه القبر^(١).

(١) «الترغيب والترهيب» (٣/٣٣٢).

ولقد ذكرنا في قسم التفسير من هذا الكتاب، معنى قوله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾.

فارجع إليه إن شئت، ولو أردنا بسط هذا الموضوع، والتعرض لمعاني بعض الآيات المتعلقة به، لضاق بنا هذا الكتاب^(١).

(١) راجع كتابي «صوت المنبر» ص [٢٠٨] تحت عنوان: «الولد والوالدان» ج ١.

الوعظ والرقائق^(١)

الأبرص^(٢) - والأقرع^(٣) - والأعمى^(٤) :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى بَدَأَ^(٥) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ^(٦)، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا: فَأَتَى الْأَبْرَصَ.

فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: لَوْ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَدَّرَنِي^(٧) النَّاسُ! .
قَالَ: فَمَسَحَ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأَعْطَى لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا.

(١) والرقائق: جمع رقيقة، وهي ما ترقق القلب وتؤثر فيه: آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو موعظة خطيب؛ أو آية كونية: كحيوان عجيب الخلقة، أو رؤية الجبال الشاهقة، أو البحار الزاخرة، أو رؤية مبتلى، ونحو ذلك، مما يجلب الخوف والخشية من الله تعالى اهـ. من التاج باختصار.

(٢) الأبرص: هو الذي ابيض ظاهر بدنه لفساد مزاجه.

(٣) الأقرع: هو من ذهب شعر رأسه بآفة.

(٤) الأعمى: معروف، هو من ذهب بصره.

(٥) بدا: أي سبق في علم الله، فأراد إظهاره، لا أنه ظهر له بعد أن كان خافياً، إذ ذاك محال في حق الله تعالى.

(٦) يبتليهم: أي يختبرهم ليميز الخبيث من الطيب، وليظهر الشاكر من غيره.

(٧) قدرني: أي اشمأزوا من رؤيتي، وعدوني في نظرهم مستقذراً، وكرهوني لما نزل بي من البلاء! .

قال: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قال: الإِبِلُ، فَأَعْطَنِي نَاقَةً عُشْرَاءَ^(١)، فَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

فَقَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ!

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأَعْطَنِي شَعْرًا حَسَنًا.

قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقْرُ. فَأَعْطَاهُ بَقْرَةً حَامِلًا، وَقَالَ:

يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ لَهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ.

قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا^(٢)، فَأَنْتَجَ

هَذَا، وَوُلِدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَاِدٌ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَاِدٌ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَاِدٌ
مِنَ الْغَنَمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مَسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ

بَنِي الْجِبَالِ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَغَ^(٣) الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي

أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ: بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي

سَفَرِي!.

(١) عَشْرَاءُ: بَضْمُ الْعَيْنِ وَفَتْحُ الْمَعْجَمَةِ، هِيَ الْحَامِلُ الَّتِي أَتَى عَلَى حَمْلِهَا عَشْرَةُ أَشْهُرٍ
مِنْ يَوْمِ طَرُوقِهَا الْفَحْلِ، وَهِيَ أَنْفُسُ الْإِبِلِ عِنْدَ الْعَرَبِ.

(٢) الْوَالِدُ: هِيَ ذَاتُ الْوَلَدِ، أَوْ مَا كَانَتْ حَامِلًا.

(٣) الْبَلَغُ: هُوَ مَا يَبْلُغُ بِهِ الْإِنْسَانُ غَرَضَهُ، أَيُّ: فَلَا كِفَايَةَ لِي إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بَكَ.

فقال له : إن الحقوق كثيرة . فقال له : كأني أعرفك ! ألم تكن أبرص يقذرُك الناس ، فقيراً فأعطاك الله ! .

فقال : لقد ورثتُ كابراً عن كابر^(١) ! فقال : إن كنت كاذباً فصيرك^(٢) الله إلى ما كنت ! .

وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا ؛ فرد عليه مثل ما رد عليه هذا ! فقال : إن كنت كاذباً ، فصيرك الله إلى ما كنت ! .

وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين ، وابن سبيل ، تقطعت بي الجبال في سفري ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ، ثم بك ؛ أسألك بالذي رد عليك بصرك : شاة أتبلغ بها في سفري ! .

فقال : قد كنت أعمى فرد الله بصري ، وفقيراً فقد أغنانني ، فخذ ما شئت ! فوالله لا أجهدك^(٣) اليوم بشيء أخذته الله ! .

فقال : أمسك مالك ! فإنما ابتليتم ؛ فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبك^(٤) .

(١) كابر عن كابر، أي : ورثت المال عن آبائي وأجدادي ، حال كوني كل واحد منهم كبيراً ، ورث عن كبير فكذب - والله - وجحد نعمة الله ، وكفر بها فاستحق السلب .

(٢) فصيرك الله : عبر بالماضي لقصد المبالغة في الدعاء عليه ، ولتحقق وقوعه . والشرط ليس على حقيقته ؛ لأن «الملك» لم يشك في كذبه .

(٣) أجهدك ، أي : أشق عليك في رد شيء تطلبه مني ، ولا أمنعك شيئاً تأخذه ، معترفاً بالماضي ، وشاكراً للحاضر .

(٤) رواه البخاري .

أسلوب رائع في الترغيب في العلم:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه مر بسوق المدينة، فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟

قال: ذاك ميراث «محمد» ﷺ، يُقسَّم وأنتم هنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه! قالوا: وأين هو؟

قال: في المسجد. فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة! لقد أتينا المسجد، فدخلنا فلم نر فيه شيئاً يُقسَّم!

فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟

قالوا: بلى؛ رأينا قوماً يُصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذكرون الحلال والحرام.

فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث «محمد» ﷺ^(١).

المسجد مدرسة الإيمان:

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ غدا إلى المسجد لا يُريد إلا أن يتعلم خيراً، أو يعلمه، كان له كأجر حاج تامّة حجته»^(٢).

رياض الجنة:

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه الطبراني.

«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا! قالوا: يا رسول الله! وما رياض الجنة؟ قال: مجالس العلم»^(١).

موعظة لقمان لابنه:

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن لقمان قال لابنه: يا بُنَيَّ عليك بمجالسة العلماء! وأسمع كلام الحكماء! فإن الله ليُحيي القلب الميت بنور الحكمة، كما يُحيي الأرض الميتة بوابل المطر»^(٢).

خير الجلساء:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله! أيُّ جلسائنا خير؟ قال:

«مَنْ ذَكَرَكُمْ اللهُ رُؤْيَاهُ، وزادكم في علمكم منطقهُ، وذكركم بالآخرة عَمَلُهُ»^(٣).

أدب المتعلم:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«تعلّموا العلم، وتعلّموا للعلم: السكينة، والوقار، وتواضعوا لِمَنْ تَعَلَّمُون منه»^(٤)!.

(١) رواه الطبراني.

(٢) لقمان: حكيم، وليس بنبي، باتفاق الجمهور، وهو من أسرة إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان يوازر سيدنا داود عليه السلام؛ وسئل: فيما بلغت الحكمة؟ قال: بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعني.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه الطبراني.

التعوذ من العلم الذي لا ينفع:

عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ
نَفْسٍ لَا تَتَّبِعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»^(١).

الصبر على ثلاثة أقسام:

صبر على البلاء، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية.

والذي يعين على الأول ثلاثة أشياء:

١ - ملاحظة حسن الجزاء، بأن يلاحظ مَنْ أُصِيبَ ببلاءٍ أنه بصبره عليه
يؤجره الله أجراً جزيلاً، كما وعد بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢).

يُحكى عن امرأة من العابدات، أنها عثرت فانقطعت أصبعها
فضحكت! ف قيل لها: أتضحكين وقد انقطعت أصبعك؟.

ف قالت: حلاوة أجرها، أنستني مرارة ذكرها!.

٢ - انتظار الفرج، فإن انتظار الفرج ومراقبته يخفف حمل المشقة مع
قوة الرجاء.

قال بعض الأدباء:

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ مُنْقَطِعٌ
أُبَشِّرُ بخيرٍ فإنَّ الفارجَ الله

(١) رواه مسلم.

(٢) الزمر: ١٠.

الْيَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَاناً بِصَاحِبِهِ
لَا تَيَأْسَنَّ فَإِنَّ الصَّانِعَ اللَّهَ
قَدْ يُحْدِثُ اللَّهُ بَعْدَ الْعُسْرِ مَيْسَرَةً
لَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الْكَافِيَ اللَّهَ

٣ - ذِكْرُ النِّعَمِ، لَأَنَّ مَنْ عَدَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، هَانَ عَلَيْهِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ
الْبَلَاءِ، وَرَأَاهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَيْدِي اللَّهِ وَنِعَمِهِ: كَقَطْرَةٍ فِي بَحْرٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١).

والذي يعين على الثاني ثلاثة أشياء:

١ - بالمحافظة عليها دواماً.

٢ - برعايتها إخلاصاً.

٣ - بتحسينها علماً.

وللصبر عن المعصية: سببان، وفائدة.

أما السببان:

١ - الخوف من الوعيد المترتب عليها.

٢ - الحياء من الله تعالى

والثاني: أقرب من الأول، لأن صاحبه حاضر مع الله، والأول حاضر
مع العقوبة.

وأما الفائدة:

فالإبقاء على الإيمان، لأن المعصية لا بد أن تُنْقِصَ الإيمان، أو تذهب
به رأساً، أو تُضَعِفَ قُوَّتَهُ، أو تُطْفِئَ نَوْرَهُ.

(١) النحل: ١٨.

القلب وأقسامه :

أخرج الإمام أحمد بإسناد جيد؛ عن النبي ﷺ أنه قال :

«القلوبُ أربعة: قلبٌ أجردٌ فيه مثلُ السراجِ يزهرُ، وقلبٌ أغلفٌ مربوطٌ على غِلافه، وقلبٌ منكوسٌ، وقلبٌ مصفَّحٌ».

١ - فأما القلبُ الأجردُ: فقلبُ المؤمنِ، سراجُه فيه نورُه، أي أجرد عن الصفاتِ الذميمة، لا حقدَ فيه ولا غش ولا مكر ولا حسد.

٢ - وأما القلبُ الأغلفُ: أي مختومٌ عليه، وهو قلبُ الكافر.

٣ - وأما القلبُ المنكوسُ: فهو قلبُ المنافق، عرف ثم انتكس.

٤ - وأما القلبُ المصفَّحُ: ففيه إيمانٌ ونفاقٌ!

فمثلُ الإيمانِ فيه: كمثلُ البقلةِ يمدُّها الماءُ الطيبُ.

ومثلُ النفاقِ فيه: كمثلُ القَرَحَةِ^(١) يمدُّها القيحُ، فأَيُّ المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه!

فإن غلبت مادةُ الإيمانِ، أثبت في ديوانِ المؤمنين.

وإن غلبت مادةُ النفاقِ، أثبت في ديوانِ المنافقين^(٢).

موت القلب :

حكى عن شقيقِ البلخي أنه قال: كان إبراهيم بنُ أدَهمَ يمشي في الدُّرَّة، فاجتمع إليه الناسُ فقالوا:

ما بالنا ندعو فلا يُستجابُ لنا؟ وإن الله تعالى يقول:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣).

(١) القرَح بالفتح الجراح، وبالضم ألم الجراح.

(٢) «الرياض النضرة، في تفسير الفاتحة والبقرة»: (١/٢٢٣).

(٣) المؤمن: ٦٠.

فقال: يا أهل البصرة! قد ماتت قلوبكم بعشرة أشياء، فكيف يُستجاب لكم؟.

- ١ - عرفتم الله، ولم تُؤدوا حقّه!
- ٢ - قرأتم القرآن، ولم تعملوا به!
- ٣ - ادعيتم حبَّ الرسول ﷺ، وتركتم سنته!
- ٤ - ادعيتم عداوة الشيطان، وأطعتموه!
- ٥ - ادعيتم دخول الجنة، ولم تعملوا لها!
- ٦ - ادعيتم النجاة من النار، ورمىتم فيها أنفسكم!
- ٧ - قلتم الموت حق، ولم تستعدوا له!
- ٨ - اشتغلتم بعيوب الناس، وتركتم عيوبكم!
- ٩ - دفتتم الأموات، ولم تعتبروا!
- ١٠ - أكلتم نعمة الله، ولم تشكروه عليها^(١)!

دواء القلوب:

قال سيدي إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى، دفين منطف^(٢): دواء القلب خمسة أشياء:

(١) فرضي الله تعالى عن هذا العالم النحرير، والزاهد الكبير، والطبيب الوقاف، الذي شخص المرض، ووقف على الداء، وبين بأن أبواب السماء مفتوحة، وعطاء الله محقق، وكرمه واسع، وغناه لا يدخل تحت حدا.

إلا أن الإجابة لم تتأخر إلا بما قدمته أيدينا، من اجتراح السيئات، وفعل المخالفات، وأكل الحرام!

(٢) قرية شرقي جبل أريحا، بسورية.

- ١ - قراءة القرآن بالتدبر.
- ٢ - وخلاء البطن.
- ٣ - وقيام الليل.
- ٤ - والتضرع عند السحر.
- ٥ - ومجالسة الصالحين.

وقال بعضهم:

القلب لا يخلو من حلاوة المحبة؛ إما محبة الدنيا، وإما محبة الله.
وهما في القلب: كالماء، والهواء في القدح، فالماء إذا دخل في
القدح خرج الهواء، ولا يجتمعان^(١).

من روائع الأسلوب الحكيم:

عن عبدالله بن سلمان، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: جاء
رجلٌ يومَ خيرٍ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! لقد ربحْتُ اليومَ ربحاً، ما
ربحه أحدٌ من أهل هذا الوادي، قال عليه الصلاة والسلام:

«وَيْحَكَ وما ربحْتَ؟». قال: ما زلتُ أبيع وأبتاع؛ حتى ربحْتُ ثلاثمائة
أوقية!

(١) لا علاج للقلب أنجع من الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، مع الاشتغال
بالذكر الدائم، حتى ينطبع حب المذكور في قلبه!
فإذا ذاق القلب حلاوة حب الله، أعرض عن حب غيره، وإلا فمن لازمه التعلق
بالمكونات والاشتغال بها عن المكون!

وقد قال «حبر الأمة» سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الدنيا خمر، فمن
شرب منه لم يُفّق إلا وهو في عسكر الموتى خائب، خاسر، نادم!

فقال ﷺ: «أفلا أنبئك بخير ربح؟». فقال: ما هو يا رسول الله؟! قال: «ركعتين بعد صلاة»^(١).

المؤمن والإيمان:

عن صهيب بن سنان رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً»^(٢).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: وسأله رجل: ما الصراط المستقيم؟.

قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد. وثم رجال يدعون من مر بهم! فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار!

ومن أخذ على الصراط المستقيم، انتهى به إلى الجنة؛ ثم قرأ ابن مسعود:

(١) فصلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله! يا فخر الأنبياء، وإمام الأتقياء، وأشرف الموجودات! يا مربّي البشرية! ومهذب الإنسانية! ويا من غرس في قلوب طلابه حب الله والدار الآخرة! ويا من حطم بإيمانه، بإخلاصه، بصدقه: الماديات التي تحجب العبد عن خالقه، وتصدّه عن طريق الهداية والحق. وأعلّمت الناس بأن الدنيا لا تزن شيئاً في نظر العقلاء، لأنها فانية وأن ما يتعلق في الآخرة من صلاة، وذكر، ودعاء، هو الباقي، الذي يجد الإنسان غداً ثوابه أفقر ما يكون. والحديث رواه أبو داود.

(٢) أخرجه مسلم.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١) (٢).

وعن وهب بن منبه، وقيل له: «أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟». قال: بلى؛ وليس مفتاح إلا وله أسنان؛ فإذا جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال:

«لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث! أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه»^(٤).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾»^(٥) (٦).

محاورة طريفة:

حكى أن سيدنا علياً - كرم الله وجهه - دخل مقابر المدينة، ونادى: يا

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) أخرجه رزين.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً.

(٤) رواه البخاري.

(٥) التوبة: ١٨.

(٦) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

أَهْلَ الْقُبُورِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، تُخْبِرُونَنَا بِأَخْبَارِكُمْ، أَمْ نُخْبِرُكُمْ
بِأَخْبَارِنَا؟ فَسَمِعَ صَوْتًا يَقُولُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، أَخْبِرْنَا بِمَا كَانَ بَعْدَنَا؟! .

فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ: أَمَّا أَزْوَاجُكُمْ: قَدْ تَزَوَّجْتُ! وَأَمَّا أَمْوَالُكُمْ: قَدْ
قُسِمَتْ! وَأَمَّا الْأَوْلَادُ: فَقَدْ حُشِرُوا فِي زُمَرَةِ الْيَتَامَى! وَأَمَّا الْبِنَاءُ الَّذِي شِئِدْتُمْ:
فَقَدْ سَكَنَهُ أَعْدَاؤُكُمْ. فَهَذِهِ أَخْبَارُ مَا عِنْدَنَا، فَمَا أَخْبَارُ مَا عِنْدَكُمْ؟ فَأَجَابَهُ
الْمَيِّتُ:

قَدْ تَخَرَّقَتِ الْأَكْفَانُ، وَانْتَشَرَتِ الشُّعُورُ، وَتَقَطَّعَتِ الْجُلُودُ، وَسَالَتِ
الْمَنَاخِيرُ بِالْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ، فَمَا قَدَمْنَاهُ وَجَدْنَاهُ، وَمَا تَرَكْنَاهُ خَسِرْنَاهُ.
قِيلَ لِأَوَيْسِ الْقُرْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟
فَقَالَ: إِنْ أَصْبَحْتُ مَا ظَنَنْتُ أَنِّي أُمْسِي، وَإِنْ أُمْسَيْتُ مَا ظَنَنْتُ أَنِّي
أُصْبِحُ! .

قَالَ دَاوُدُ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: يُسْتَدَلُّ عَلَى تَقْوَى
الْمُؤْمِنِ بِثَلَاثَ:

١ - حُسْنِ التَّوَكُّلِ فِي مَا لَمْ يَنْلُ .

٢ - وَحُسْنِ الرِّضَا فِي مَا نَالَ .

٣ - وَحُسْنِ الصَّبْرِ فِي مَا فَاتَ .

قَالَ بَعْضُهُمْ:

لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَطْلُبَ طَاعَةَ غَيْرِهِ، وَطَاعَةَ نَفْسِهِ مَمْتَنَةً عَلَيْهِ! .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

عَجَبًا مِمَّنْ يَحْتَمِي مِنَ الْمَأْكَلِ الرَّدِيئَةِ، مَخَافَةَ الضَّرِّ، وَلَا يَدْعُ الذُّنُوبَ
مَخَافَةَ الْآخِرَةِ! .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

أتى رجل إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه فقال:
يا أبا إسحاق! إني مسرف على نفسي، فأعرض علي ما يكون لها
زاجراً ومستنقذاً.
فقال إبراهيم: إن قبلت خمس خصال، وقدرت عليها لم تضرك
المعصية.

قال: هات يا أبا إسحاق!
قال أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله تعالى، فلا تأكل رزقه!
قال: فمن أين أكل؟ وكل ما في الأرض رزقه؟!
قال: يا هذا! أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟!
قال: لا، هات الثانية!
قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده؟!
قال: هذه أعظم! فأين أسكن؟!
قال: يا هذا! أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه؟!
قال: لا، هات الثالثة!

قال: وإذا أردت أن تعصيه، وأنت تأكل رزقه، وتسكن بلاده، فأنظر موضِعاً لا يراك فيه فأعصه فيه؟!.

قال: يا إبراهيم! ما هذا؟ وهو يطلع على ما في السرائر؟!.

قال: يا هذا! أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك، ويعلم ما تجاهر به؟!.

قال: لا، هاتِ الرابعة!.

قال: فإذا جاءك ملك الموت ليقبضَ روحك، فقل له: أخرني حتى أتوب توبةً نصوحاً، وأعملَ لله صالحاً!.

قال: لا يقبل مني؟.

قال: يا هذا! فأنت إذا لم تقدر أن تدفعَ عنك الموتَ لتتوبَ، وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجهَ الخلاص؟!.

قال: هاتِ الخامسة!.

قال: إذا جاءك الزبانيةُ يومَ القيامة، ليأخذوك إلى النار، فلا تذهب معهم؟!.

قال: إنهم لا يدعونني، ولا يقبلون مني؟!.

قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟!.

قال: يا إبراهيم! حسبي، حسبي! أنا أستغفر الله وأتوبُ إليه.

فكان لتوبته وفيّاً، فلزم العبادة، واجتنب المعاصي حتى فارق الدنيا.

من مظاهر النجدة والسخاء:

حكى أن عبد الله بن عامر، اشترى من خالد بن عقبة داره، بتسعين ألف درهم، وكانا جارين، فلما كان من الليل، سمع عبد الله بن عامر، بكاء أهل خالد، فقال عبد الله لزوجته: ما هذا البكاء؟.

قالت: سيكون لدارهم، ولولا الحاجة ما باعوها!.
فقال: يا غلام! اتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم!.

من مظاهر الحب والإخاء:

وحكى أن رجلاً أتى صديقاً له، فدق عليه الباب.
فقال: أهلاً وسهلاً، ما جاء بك؟
قال: عليّ أربعمئة درهم دين. فدخل مسرعاً وأخرج أربعمئة درهم،
ثم عاد يبكي!.

فقالت امرأته: لِمَ أعطيتَه إذ شقَّ عليك ذلك؟ فقال: إنما أبكي لأني
لم أَتَفَقَّدْ حاله؛ حتى احتاجَ إلى مفاتيحي!.

من مظاهر الجود والإعطاء:

وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله، فأمر له بمائة ألف درهم،
فأخذها السائل وبكى!.

فقال له سعيد بن العاص: ما يُبكيك؟ قال السائل: أبكي على
الأرض أن تأكلَ مثلك. فأمر له بمائة ألف أخرى!.

ما هو أشرف شيء؟:

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال:

«أشرف الإيمان، أن يأمنك الناس، وأشرف الإسلام، أن يسلم الناس
من لسانك ويدك، وأشرف الهجرة، أن تهجر السيئات، وأشرف الجهاد، أن
تقتل وتُعقر فرسك، وأشرف الزهد، أن يسكن قلبك على ما رزقت، وإن
أشرف ما تسأل الله عز وجل: العافية في الدين والدنيا»^(١).

(١) «أشرف الجهاد في الدين والأدب، والطبراني في الكبير.

يا ابن آدم!

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله عز وجل يقول: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني.

قال: يا رب! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو

عُدته لوجدتني عنده؟

يا ابن آدم! استطعمتك فلم تُطعمني.

قال: يا رب! كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلاناً فلم تُطعمه، أما علمت أنك

لو أطعمته لوجدت ذلك عندي.

يا ابن آدم! استسقيتك فلم تَسقني.

قال: يا رب! كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟

قال: استسقاك عبدي فلاناً فلم تَسقه، أما أنك لو سقيته وجدت ذلك

عندي»^(١).

(١) رواه مسلم.

فَوَائِدُ التَّقْوَى

اعلم أيها الأخ المسلم! أن التقوى هي الوسيلة العظمى؛ لنيل مرضاة الله تعالى، والقرب من جنابه، والفوز بسعادة الدنيا، وكرامة الآخرة. وهي بغية السالكين، وأمنية الذاكرين، وهدف العابدين، وزاد الصالحين.

وها أنذا أقدم لك فوائدها؛ لتكون من طلابها. وقد كان عليه الصلاة والسلام، يُكثر طلبها بدعوته الكثيرة الماثورة. فأقول:

- ١ - منها: الحفظ والحراسة من الأعداء، لقوله تعالى:
﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾^(١).
- ٢ - ومنها: إصلاح العمل، وغفران الذنوب، لقوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٢).
- ٣ - ومنها: المحبة لقوله تعالى:
﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

(١) آل عمران: ١٢٠.

(٢) الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

(٣) آل عمران: ٧٦.

٤ - ومنها: الإكرام، لقوله تعالى:

﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقِمُكُمْ﴾^(١).

٥ - ومنها: البشارة عند الموت، لقوله تعالى:

﴿الْآيَاتِ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) الَّذِينَ آمَنُوا

وَكَانُوا يُتَّقُونَ﴾^(٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ

لِكَلِمَاتِهِ^(٤).

٦ - ومنها: النجاة من النار، لقوله تعالى:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾^(٥).

٧ - ومنها: الخلود في الجنة، لقوله تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٦).

٨ - ومنها: النجاة من الشدائد، وحصول الرزق الحلال، لقوله تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٧) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٨).

هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

رُوي أن المشركين أسروا ابناً له، فأتى رسول الله ﷺ، وشكا إليه
الفاقة، وأخبره بأسر ولده، وجزع الأم.

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) يونس: ٦٢ - ٦٤.

(٣) مريم: ٧٢.

(٤) آل عمران: ١٣٣.

(٥) الطلاق: ٢ - ٣.

قال عوف: فما تأمرنا يا رسول الله؟! فقال عليه الصلاة والسلام: «اتقِ واصبر، وأمرِك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله».

فعاد لبيته، وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك: أن نستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالت: نعم ما أمرنا به. فجعلا يقولان ذلك، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم، وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة! فنزلت الآية... اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: عند قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾.

هو: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى.

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه، معرِّفاً التقوى بقوله:

هي: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

وقال أنس رضي الله تعالى عنه:

لَا يَتَّقِي اللَّهَ عَبْدٌ حَقَّ تَقَاتِهِ، حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ.

صورة الأعمال:

قال أبو بكر الكتاني: رأيت في المنام شاباً لم أر أحسن منه، فقلت: مَنْ أنت؟ فقال: التقوى. قلت: فأين تسكن؟ قال: في كل قلب حزين.

ثم التفت، فإذا امرأة سوداء كأوحش ما يكون! فقلت من أنت؟.

فقلت: الضحك. فقلت: وأين تسكنين؟ فقالت: في كل قلب فرح.

مرح!

للسافرة عقوبتان ! :

قال الرافعي : لو كنت قاضياً، ورُفِعَ إليَّ شابٌ تجراً على امرأة، فمسها أو احتك بها! وتحقق عندي أن المرأة كانت سافرةً متبرجة! لعاقبت هذه المرأة عقوبتين :

١ - إحداها : أنها اعتدت على عِفَّةِ الشاب ! .

٢ - والثانية : أنها خرَّقاء حمقاء، كشفت اللحم للهر! فما رأيك؟! .

فكاهة طريفة ! :

روى أبو نعيم عن شجاع بن الوليد قال : كان فيمن كان قبلكم، رجل حلف لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس ! .

وإنه استشار تسعة وتسعين رجلاً، واختلفوا عليه : فَمِنْ مُرَغَّبٍ، ومن محذَرٍ .

فقال : بقي واحدٌ، وهو أول من يطلع من هذا الفج، وأخذ بقوله ولا أعدوه، فبينما هو كذلك، إذ طلع عليه رجل راكب قسبةً، فأخبره بقصته ! فقال : النساء ثلاث :

١ - واحدة لك .

٢ - وواحدة عليك .

٣ - وواحدة لا لك، ولا عليك ! .

فالبكر لك، وذات الولد من غيرك عليك، والشيب لا لك، ولا عليك ! .

ثم أطلق الجواد وعاد إلى طبيعته، فقلت : أخبرني بقصتك ! .

فقال : أنا رجل من علماء بني إسرائيل، مات قاضيهم، فركبت هذه القسبة وتهابلت - أي : أظهرت الهبل والهذيان - لأخلص من القضاء! كيف أخلص من القضاء؟! .

وفي البكر ثلاث فوائد:

- ١ - إحداها: أن تُحب الزوج الأول وتُألفه، والطباعُ مجبولة على الأُنس بأول مألوف، وأما التي مارست الرجال، فربما لا ترضى ببعض الأوصاف التي تخالف ما ألفتها، فتكره الزوج الثاني.
- ٢ - وأما الفائدة الثانية: أن ذلك أكمل في مودته لها.
- ٣ - وأما الثالثة: لا تحنُّ إلا للزوج الأول.

ولذلك قال بعضهم:

نَقُلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى
وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ^(١)

الآيات الخمس:

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال:
«خمس آيات ما يسرنني أن لي بهن الدنيا وما فيها.

١ - ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٢).

٢ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

(١) من البجيرمي، على الخطيب.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) النساء: ٤٠.

٣ - ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ
لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ^(١).

٤ - ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ
افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ^(٢).

٥ - ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴾ ^(٣).

الصدق:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال:
«أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق
حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة» ^(٤).

وعنه رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال النبي ﷺ:
«إذا كذب العبد تباعد الملك ميلاً من نتن ما جاء به» ^(٥).

وعن شهر بن حوشب رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:
«ما لي أراكم تتهافون في الكذب، كما تهافت الفراش في النار؟ ألا
إن كل كذب مكتوب على ابن آدم إلا في ثلاث: كذب الرجل امرأته

(١) (٣، ٢، ١) النساء: ٦٤، ١١٦ و ١١٠.

(٤) رواه الطبراني، والحاكم.

(٥) رواه الترمذي، وأبو نعيم في «الحلية».

لِإِصْلَاحِ بَيْنِ الزَّوْجَيْنِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١، ٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«عليكم بالصدق! فَإِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ! فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» (٣).

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال:

«أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا» (٤).

وقال بعضهم:

مَنْ لَمْ يُوَدِّ الْفَرْضَ الدَّائِمَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ الْفَرْضُ الْمُؤَقَّتُ.
قيل: ما الفرض الدائم؟ قال: الصدق.

(١) النساء: ١١٤.

(٢) أخرجه ابن جرير في تهذيبه، والخرائطي في مساوي الاختلاف، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.

(٤) رواه أبو داود.

وقيل : إذا طلبتُ الله بالصدق : أعطاك مِرْآةً تُبصر فيها كلَّ شيءٍ من عجائب الدنيا والآخرة ! .

وقيل عليك بالصدق ! حيث تخاف أنه يضرك ، فإنه ينفعك ، ودع الكذب ! حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك ! .

الذكر القلبي :

روى أبو عوانة ، وابن حبان في صحيحيهما ، والبيهقي :

«خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ ، وخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي» .

وقال : «الذِّكْرُ الَّذِي لَا تَسْمَعُهُ الْحَفَظَةُ ، يَزِيدُ عَلَى الذِّكْرِ الَّذِي تَسْمَعُهُ الْحَفَظَةُ سَبْعِينَ ضِعْفًا»^(١) .

وقالوا : من أراد الله به خيراً ، فتح له قُفْلَ قلبه ، وجعل فيه اليقين .

وقال السيد أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه :

الذرة من أعمال القلوب ؛ أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح .

وقال بعضهم :

بِقَلْبٍ فَادْكِرِ اللَّهَ خَفِيًّا عَنْ الْخَلْقِ بِلَا حَرْفٍ وَقَالَ
وَهَذَا الذِّكْرُ أَفْضَلُ كُلِّ ذِكْرٍ بِهِذَا قَدْ جَرَى قَوْلُ الرِّجَالِ

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

«يَفْضَلُ الذِّكْرُ - أَي : الْخَفِيُّ - عَلَى الذِّكْرِ - أَي : الْجَهْرِيِّ - سَبْعِينَ

ضِعْفًا ! إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ رَجَعَ الْخَلَائِقُ إِلَى حَسَابِهِ ، وَجَاءَتِ الْحَفَظَةُ بِمَا

حَفَظُوا وَكَتَبُوا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «انْظُرُوا هَلْ بَقِيَ لِعَبْدِي مِنْ شَيْءٍ !» .

(١) رواه البيهقي .

فَيَقُولُونَ: مَا تَرَكْنَا شَيْئاً مِمَّا عَلَّمَنَا وَحَفَظَنَا، إِلَّا وَقَدْ أَحْصَيْنَاهُ وَكَتَبْنَاهُ،
فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ لَكَ عِنْدِي حُسْناً، وَأَنَا أَجْزَيْكَ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْخَفِيُّ^(١).

وَوَرَدَ فِي الصَّحَاحِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي
فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ»^(٢).

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ:

الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ: سَيْفُ الْمُرِيدِينَ، بِهِ يَقَاتِلُونَ أَعْدَاءَهُمْ، بِهِ يَدْفَعُونَ
الْآفَاتِ الَّتِي تَقْصِدُهُمْ.

وَإِنَّ الْبَلَاءَ إِذَا أُدْخِلَ عَلَى الْعَبْدِ، وَفَزَعَ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يُنَمِّعَ عَنْهُ فِي
الْحَالِ مَا يَكْرَهُهُ.

وَقَالَ ذُو النُّونِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

صَلَاحُ الْقَلْبِ سَاعَةً، أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ^(٣).

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَغَيْرُهُ.

(٣) مِنْ «تَنْوِيرِ الْقُلُوبِ» بِاخْتِصَارٍ.

التلميذ الثاني

حُكِيَ أَنَّ حَاتِمًا الْأَصَمَ، كَانَ تَلْمِيزًا لَشَقِيقِ الْبَلْخِي رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ لَهُ يَوْمًا: مِنْذُ كَمْ صَحَبْتَنِي؟

قال: منذ ثلاثٍ وثلاثين سنةً.

قال: فما تعلمتَ مني في هذه المدة؟

قال: ثمان مسائلًا!

قال شقيق: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ذهب عُمْرِي معك، ولم تتعلم

إلا ثمان مسائل! فما هي؟ قال:

الأولى: نظرتُ إلى هذا الخلقِ، فرأيتُ كلَّ واحدٍ يُحب شيئًا، فلا يزال

محبوبه معه، فإذا ذهب إلى قبره، فارقه محبوبه! فجعلتُ الحسناتِ محبوبي،

فإذا دخلتُ قبري، دخل محبوبي معي.

قال: أحسنتَ، فما الثانية؟

قال: الثانية: نظرتُ في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى

النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾، فعلمتُ أن قوله تعالى حق،

فأجهدتُ نفسي في دفع الهوى، حتى استقرتُ على طاعة الله تعالى.

الثالثة: أني نظرتُ إلى هذا الخلقِ، فرأيتُ كلَّ من معه شيءٌ له قيمة،

وله عنده مقدار يحفظه، ثم نظرتُ في قول الله عز وجل: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ

وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴿١﴾ ، فكلُّما وقع لي شيءٌ له قيمة ومقدار، وجهته إلى الله تعالى ليبقى لي عنده.

الرابعة: نظرتُ إلى هذا الخلق فرأيت كلَّ واحد منهم يرجع إلى المال والحسب، والشرف والنسب.

فنظرتُ فإذا هي لا شيء، ثم نظرتُ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ ، فعمدتُ إلى التقوى حتى أكون عند الله كريماً.

الخامسة: نظرتُ إلى هذا الخلق، فوجدت بعضهم يطعن في بعض، ويلعن بعضهم بعضاً! فعلمت أن أصل ذلك كله الحسد، فنظرتُ إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ . . . فتركت الحسد، وعداوة الخلق، وعلمتُ أن الذي قَسِمَ لي كائن لا بد منه.

السادسة: نظرتُ إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض! ويعادي بعضهم بعضاً! فنظرتُ إلى عدوي في الحقيقة؛ فإذا هو الشيطان، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ ، فعاديتُه وأحببتُ الناسَ أجمعين.

السابعة: نظرتُ إلى الخلق، فوجدتهم يطلبون الكثرة، ويذِلُّون أنفسهم بسببها! ثم نظرتُ قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ ، فعلمتُ أنني من جملة المرزوقين، فاشتغلت بالله عز وجل، وتركتُ ما سواه.

الثامنة: نظرتُ إلى هذا الخلق، فرأيتهم يتوكل بعضهم على بعض! ويتوكل هذا على تجارته، وهذا على صنعته، وهذا على صحته! وكل مخلوق يتوكل

على مخلوق! فرجعتُ إلى قوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾
فتوكلت على الله تعالى.

فقال شقيق:

« وَفَّقَكَ اللَّهُ يَا هَاتِمُ ! فَلَقَدْ جَمَعْتَ الْأُمُورَ كُلَّهَا » .

الْفِتْنِ وَالْأَهْوَاءُ^(١)

فِتْنَةُ الشَّيْطَانِ وَقَسَمُهُ الْكَاذِبُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنَاصِحٌ حَقٌّ﴾ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴿٢٢﴾

معنى الآية: أن إبليس - عليه اللعنة - غرَّ سيدنا آدم باليمين الكاذبة! وكان آدم عليه السلام يظن ويعتقد، أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً! وإبليس أول من حلف بالله كاذباً، فلما حلف إبليس، ظن آدم أنه صادق، فاغترَّ به! .

(١) الفتن: جمع فتنة، وهي المحنة والشدة والعذاب، وكلُّ مكروه، فإن كانت من الله تعالى: كالأمراض، فهي لحكمة ممدوحة، وإن كانت من الإنسان، فهي مذمومة. والهوى: مقصورٌ هوى النفس. والجمع أهواء. فالهوى: هو الدافع القوي لكل طغيان وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى، وينبوع الشر.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٢٤﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٢٥﴾ ولذا تعرضت في كتابي هذا لهما لاستفحالهما في الأمة، وانتشارهما في الناس، وليكون المسلم على حذر ووجل من شرهما، والله در القائل:

إني بليت بأربع ترمينني	بالنبل قد نصبوا علي شراكا
إبليس.. والدنيا ونفسي والهوى	من أين أرجو بينهن فكاك
يا رب، وفقني لعفوك إنني	أصبحت لا أرجو لهذا سواكا

(٢) الأعراف: ٢١ - ٢٢.

فدلاهما: أي حطهما عن منزلتهما من العلو، وهو: الجنة، إلى
السفل، وهو الأرض، بغرور منه.

إغواؤه لآدم عليه السلام:

﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ
وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ۖ ﴾ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ
وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۖ ﴿ ١٢١ ۝ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۖ ﴿ ١٢٢ ۝ قَالَ
أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ
هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۖ ﴾

خُطْبَتُهُ فِي أَهْلِ النَّارِ:

وورد عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ
وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ
دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ
وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ ﴾ (١).

ومعنى قُضِيَ: أي فُرغ منه، بأن دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار
النار.

(١) إبراهيم: ٢٢.

أُخِذَ أَهْلُ النَّارِ فِي لَوْمِ إِبْلِيسَ وَتَقْرِيعِهِ وَتَوْبِيخِهِ، فَيَقُومُ فِيهَا خَطِيباً،
يُوضَعُ لَهُ مَنبَرٌ فِي النَّارِ مِنَ النَّارِ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ يَلُومُونَهُ، فَيَقُولُ لَهُمْ
هَذِهِ الْآيَةُ! اهـ.

غُرُورُهُ لِلْمُشْرِكِينَ :

﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(١).

غَرَّهُمْ - عليه اللعنة - في «بدر» حتى ساروا، وسار معهم منزلة منزلة،
ومعه جنوده ورايائه، فأسلمهم إلى مصارعهم!.

فَلَمَّا رَأَى الْجُنْدَ وَالْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ لِلنَّصْرِ، وَعَايَنَ جَبْرِيلُ، نَكَصَ عَلَى
عَقَبَيْهِ! وهذا كقوله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢).

فتنة الدنيا :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : «ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غِنًى، وَأُسْدُ
فَقْرِكَ، وَإِنْ لَا تَفْعَلْ أَمَلًا يَدُوكَ شُغْلًا، وَلَمْ أُسْدُ فَقْرَكَ!»^(٣).

(١) الأنفال : ٤٨ هـ.

(٢) الحشر : ١٦ .

(٣) رواه الترمذي .

من مظاهر تربية النفس :

عن عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما، أن أبا طلحة الأنصاري - رضي الله تعالى عنه - كان يصلي في «حائط» له، فطار «دبسي» فطفق يتردد ويلتمس مخرجاً فلا يجد!

فأعجب أبا طلحة ذلك، فتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته! فإذا هو لا يدري كم صلى؟.

فقال: فقد أصابني في مالي هذا فتنة! فجاء إلى رسول الله ﷺ وذكر له الذي أصابه في صلاته، وقال: يا رسول الله!

«هو صدقة فضعه حيث شئت»^(١).

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخمير جماع الإثم، والنساء حبال الشيطان، وحُب الدنيا رأس كل خطيئة»^(٢).

روى الإمام أحمد في «مسنده» عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضُرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضُرَّ بِدُنْيَاهُ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى!».

أقول: لأنهما متضادتان:

- ١ - كالضرتين، مهما أرضيت إحداهما سخطت الأخرى!
- ٢ - وككفتي الميزان، مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى.

(١) أخرجه مالك.

(٢) أخرجه رزين.

- ٣ - وكالمشرق والمغرب، مهما قربت من أحدهما بُعدت عن الآخر.
- ٤ - وكقَدَحِين، أحدهما مملوء والآخر فارغ، فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلئ، يفرغ الآخر.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«من كانت الآخرة همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة».

ومن كانت الدنيا همَّه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له، فلا يُمسي إلا فقيراً، ولا يُصبح إلا فقيراً، ولا أقبل عبد على الله بقلبه، إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالمودَّة والرحمة، وكان الله بكل خير إليه أسرع»^(١).

فتنة القبر:

روى عن هانيء مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان - رضي الله تعالى عنه - إذا وقف على قبر، بكى حتى يبلُّ لحيته.

ف قيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي؟ وتذكر القبر فتبكي!

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«القبر أول منزل من منازل الآخرة؛ فإن نجا منه، فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه!».

وقال عليه الصلاة والسلام:

«مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ، إِلَّا وَالْقَبْرُ أَقْطَعُ مِنْهُ».

(١) أخرجه الترمذي.

قال هانيء: سمعتُ عثمانَ رضي الله تعالى عنه ينشد:
 فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا^(١)
 وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: ما زِلْنَا نَشْكُ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَتَّى
 نَزَلَ: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾^(٢) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ
 رسولَ الله ﷺ يقول:

«يُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ تَنِيْنًا، تَنْهَشُهُ وَتَلْدَغُهُ حَتَّى
 تَقُومَ السَّاعَةُ، لَوْ أَنَّ تَنِيْنًا مِنْهَا نَفَخَ عَلَى الْأَرْضِ مَا أَنبَتَتْ خَضِرَاءً»^(٣).

وقد روى الشيخان حديثاً: في أنه عليه الصلاة والسلام مرُّ بقبرين فقال:
 «إِنَهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَبِرِيءُ مِنْ بَوْلِهِ!
 وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ».

قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
 أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٤).

فتنة الآخرة:

روى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ذكرتُ النارَ
 فَبَكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
 «مَا يُبْكِيكَ يَا عَائِشَةُ؟».

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) أخرجه ابن ماجه.

(٤) المؤمن: ٤٦.

قلتُ: ذكرتُ النارَ فبكيت، فهل تذكرونَ أهليكم يومَ القيامة؟
فقال عليه الصلاة والسلام:

«أما في ثلاثة مواطنَ، فلا يذكرُ أحدٌ أحداً، عندَ الميزانِ حتى يعلمَ
أبخفُ ميزانه أم يثقلُ؟ وعندَ تطايرِ الصحفِ حتى يعلمَ أينَ يقعُ كتابه في
يمينه، أم في شماله، أم من وراء ظهره؟ وعند الصراطِ إذا وُضعَ بينَ ظَهري
جهنمَ، حتى يجوزَ»^(١).

الخوف من الفتنة:

حكى أنه قيل لإبراهيم بن أدهم: اجلس إلينا فحدثنا!
قال: حتى أفرغَ من ثلاثٍ. قيل: وما هي؟ قال:

١ - الأولى: لما نزل الملكُ لتصويري في الرحم، وقال: يا ربُّ!
أشقيُّ أم سعيدٌ؟ فما أدري ما كان الجوابُ؟.

٢ - الثانية: حينما ينزل الملكُ لقبضِ روحي ويقول: يا ربُّ! على
الإيمان أم على الكفر؟ فما أدري ما يكون الجوابُ؟.

٣ - الثالثة: لما يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، وينادي
المنادي يا أهلَ الجنةِ! خلودٌ بلا موتٍ، ويا أهلَ النارِ! خلودٌ بلا موتٍ، فما
أدري معَ أي الفريقين أكونُ؟^(٢).

(١) رواه أبو داود، والحاكم.

(٢) «الرياض النضرة، في تفسير الفاتحة والبقرة» (١/٣٣٩).

فتنة التسويف :

رُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
«النادِمُ ينتظرُ من الله الرحمة ، والمُعْجَبُ ينتظرُ من الله تعالى المَقْتِ !
واعلموا عبادَ الله ! أنَّ كلَّ عاملٍ سَيَقْدَمُ على عمله ، ولا يخرجُ من الدنيا حتى
يرى حُسْنَ عمله ، وسوءَ عمله ، وإنما الأعمالُ بخواتيمها ، والليلُ والنهارُ
مطيتان ، فأحسِنوا السَّيْرَ عليهما إلى الآخرة ، واحذروا التسويفَ ! فإنَّ الموتَ
يأتي بغتةً ، ولا يغترونَ أحدُكم بحِلْمِ الله عز وجل ، فإنَّ الجنةَ والنارَ أقربُ إلى
أحدِكم من شِراكِ نعله ، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ (١) » .

فتنة الطعام :

قال بعضُ الحكماء : مَنْ كَثُرَ أَكْلُهُ كَثُرَ شَرْبُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ شَرْبُهُ ، كَثُرَ
نَوْمُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ نَوْمُهُ كَثُرَ تُخْمُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ تُخْمُهُ قَسَا قَلْبُهُ ، وَمَنْ قَسَا قَلْبُهُ غَرِقَ
فِي الْآثَامِ ! قال بعضهم :
يُمِيتُ الطَّعَامُ الْقَلْبَ إِنْ زَادَ كَثْرَةً كَزُرْعٍ إِذَا بِالْمَاءِ قَدْ زَادَ سَقْيُهُ
وَإِنْ لَيْبَأْ يَرْتَضِي نَقْصَ عَقْلِهِ بِأَكْلِ لُقَيْمَاتٍ لَقَدْ ضَلَّ سَعْيُهُ
قيل : لو سُئِلَ أَهْلُ الْقُبُورِ ! مَا سَبَبُ قِصْرِ أَجَالِكُمْ ؟ لَقَالُوا : التُّخْمَةُ .
وروي عن أنس مرفوعاً :
«أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ الْبَرْدَةُ» (٢) .

(١) رواه الأصبهاني .

(٢) بمعنى التُّخْمَةُ ؛ لأنها تبرد حرارة الشهوة ، أو لأنها ثقيلة على المعدة ، بطيئة الذهاب .
من برد إذا ثبت وسكن . اهـ من كشف الخفاء (١/١٧٤) .

وأخرج أحمد بإسنادٍ جيّدٍ، أنه عليه الصلاة والسلام نظرَ إلى رجلٍ سمين البطر، فأومأَ إلى بطنه بأصبعه وقال: «لو كان هذا في غير هذا، لكان خيراً لك».

أي: لو قدمته لآخرتك، وآثرت به غيرك، لكان خيراً لك وأفضل.
وروى الشيخان:

«المؤمن يأكل في معيٍّ واحدٍ، والمنافق يأكل في سبعة أمعاء».

أي: يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن! أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته.

وقال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه: إياكم والبطنة! فإنها ثقلٌ في الحياة، تننّ في الممات!

وقال لقمان لابنه:

يا بُني! إذا ملئت المعدة، نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة!

وقال أبو سليمان:

لأنّ أذكّ لقمةً من عَشائِي، أحبُّ إليّ من قيام ليلةٍ إلى الصُّبح! (١).

(١) وأخرج البخاري في كتاب «الضعفاء» وابن أبي الدنيا في كتاب «الجوع»، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «أولُ بلاءٍ حدث في هذه الأمة بعد نبيها: الشُّبع، فإن القوم لما شبعَ بطونُهم، سمنت أبدانُهم، فضعفت قلوبُهم، وجمحت شهواتُهم! كذا في «الترغيب»: (٤٢٠/٣).

وللتوسع انظر «حياة الصحابة» للشيخ محمد يوسف رحمه الله تعالى... وهكذا تضافرت أقوال الحكماء، واتفقت آراء العلماء، بأن فتنة الطعام من الفتن الجسام، التي تذهب بدين الرجل، وهو لا يعلم.

فتنة النساء :

تلا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه هذه الآية : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿ (١) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه :

كانت امرأة ترعى الغنم ، وكان لها إخوة أربعة ، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب ، قال : فنزل الراهب ففجر فيها ، فحملت ! .

= لأن من اعتاد التوسع في شهوة البطن ، حتى أصبح أسيراً لها ، صرعت نفسه ، وغلبته شهوته ، ولو من طريق غير مشروع ، أو مورد غير صحيح ، فلا يقبل له عند ذلك عمل ، ولا يرفع له دعاء ! .

وإذا شبت البطن جاعت الأعضاء ، فتندلع من هذه المجاعة ، شهوة خطرُها أعظم ، وأمرُها أجسم ، وهي شهوة الفرج ، ولهذا أعقبتها بفتنة النساء ، وهي أدهى وأمر من الأولى ، فهما أختان في الإغواء ، وشقيقتان في الافتتان .

ولو أجلنا نظرنا اليوم ، لرأينا العالم الإسلامي من أقصاه لأقصاه ، يمج بهاتين الفتنتين ! والواقع يؤكد هذا ويكشفه .

فترى الكبار والصغار ، والنساء والرجال ، والفقراء والأغنياء ، والعلماء جل حديثهم يدور حول هذا ، وقصّر نظرهم عن غيره ! .

فظهر التفاخر ، ووقع التحاسد والتباغض ، فكل في هذا الميدان يتسابق ، وفي المجالس يتفاخر ، بأن مصروفه اليومي ، يُعادل مصروف غيره الشهري ، وزواجه كلفه ما كلف العشرات ممن سواه .

فقامت الفتنة على قدم وساق ، حتى أصبح الكثير منا يأكل كما تأكل الأنعام ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) الحشر : ١٦ - ١٧ .

فجاء الشيطان فقال له : أقتلها ثم ادفنها ! فإنك رجلٌ تُصدِّقُ ويُسمع قولك ! فقتلها ثم دفنها .

قال : فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة ، فجر بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ، ثم دفنها في مكان كذا وكذا ! .

فلما أصبحوا قال رجل منهم : - والله - لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك ؟ ! .

قالوا : لا ؛ بل قصها علينا . قال : فقصها .
فقال الآخر : وأنا - والله - لقد رأيت ذلك ! .

قالوا : - فوالله - ما هذا إلا لشيء . فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب ! فأتوه فأنزلوه ، ثم انطلقوا به ، فأتاه الشيطان ، فقال : إني أوقعتك في هذا ، ولن يُنجيك منه غيري ، فاسجد لي سجدة واحدة ، وأنجيك مما أوقعتك فيه ! .
قال : فسجد له ! فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه الشيطان وأخذ فقتل .

وفي رواية :

أن راهباً عبد الله ستين سنة ، وإن الشيطان أراد فاعياه ، فعمد إلى امرأة فأجنها ، ولها إخوة ، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القس ! فيداويها .

قال : فجاءوا بها إليه فداواها ، وكانت عنده ، فبينما هي يوماً عنده ؛ إذ أعجته فأتاها فحملت ، فعمد إليها فقتلها ! فجاء إخوتها .

فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك إنك أعيتني ! أنا صنعتُ هذا بك ، فأطعني ! أنجك مما صنعتُ بك ، أسجد لي سجدة ! فسجد له .

قال : إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين .

وهذا الراهب يقال له : «برصيصا»^(١).

وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال : «ما تركت بعدي فتنة أضرب على الرجال من النساء»^(٢).

وقال بعضهم :

إن الشيطان يقول للمرأة : أَنْتِ نِصْفُ جُنْدِي ، وَأَنْتِ سَهْمِي الَّذِي أُرْمِي بِهِ فَلَا أُخْطِئُ ، وَأَنْتِ مَوْضِعُ سِرِّي ، وَأَنْتِ رَسُولِي فِي حَاجَتِي ! فَنِصْفُ جُنْدِيهِ الشَّهْوَةُ ، وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

«النساء حبائل الشيطان»^(٣) ، ولولا هذه الشهوة ، لما كان للنساء سلطنة على الرجال».

وأوصى سيدنا داود ابنه قائلاً :

«يا بني ! امشِ خَلْفَ الْأَسَدِ وَالْأَسُودِ ، وَلَا تَمْشِ خَلْفَ الْمَرْأَةِ».

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :

«اتقوا فتنة الدنيا ، وفتنة النساء ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي

النساء»^(٤).

ولقد تعرضنا في هذا الكتاب ، في موضوع [التفسير] عند قوله تعالى :

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ﴾ لبعض ما ورد نقلاً ، وذكرنا ما يَنْجُمُ من جرأ هذه

الفتنة فارجع إليه تجد ما تقرُّبه عينك ، إن شاء الله تعالى ص ٢١٠ .

(١) البداية والنهاية : (١٣٦/٢).

(٢) رواه الستة ، إلا مسلم .

(٣) أخرجه الأصفهاني .

(٤) رواه مسلم .

فتنة المال :

روى البغوي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال :

جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، النبي ﷺ فقال : يا رسول الله !
أدع الله أن يرزقني مالاً ! فقال رسول الله ﷺ :

«ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» .

ثم أتاه بعد ذلك فقال : يا رسول الله ! أدع الله أن يرزقني مالاً !
فقال ﷺ :

«أما لك في أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده ! لو أردت أن تسير الجبال
معي ذهباً وفضة لسارت» .

ثم أتاه بعد ذلك فقال : يا رسول الله ! أدع الله أن يرزقني مالاً ! والذي
بعثك بالحق ، لئن رزقني الله لأعطين كل ذي حق حقه .

فقال ﷺ : «اللهم ارزق ثعلبة مالاً» .

قال : فاتخذ غنماً ، فَنَمَتْ كما ينمي الدود ، فضاقت عليه المدينة ،
فتنحى عنها ، فنزل وادياً من أوديتها ، وهي تنمي كما ينمي الدود ، فكان
يُصلي مع الرسول ﷺ : الظهر والعصر ، ويصلي في غنماته سائر الصلوات ! .

ثم كثرَتْ ونَمَتْ حتى تباعد عن المدينة ، فصار لا يشهد جمعة ولا
جماعة ! فكان إذا كان يوم الجمعة ، فخرج يتلقى الركبان ، يسألهم عن
الأخبار ؟ فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم فقال :

«ما فعل ثعلبة؟» .

فقالوا : يا رسول الله ! اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها وادٍ ! .

فقال رسول الله ﷺ :

«يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة !» .

نزول آية الزكاة:

فأنزل الله آية الصدقة^(١). فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سليم، ورجلاً من بني جُهينة، وكتب لهما أسنان الصدقة، وكيف يأخذانها؟ وقال لهما: مُراً على ثعلبة بن أبي حاطب! ومُراً على رجل من بني سليم، فخذوا صدقاتهما!.

فخرجوا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ. فقال: ما هذه إلا جزية! ما هذه إلا أخت الجزية! انطلقا حتى تفرغا، ثم عودا إلي!.

فانطلقا، وسمع بهما السلمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها! فلما رأياه قالا: ما هذه عليك!.

قال: خذاه فإن نفسي بذلك طيبة. فمراً على الناس، وأخذوا الصدقات، ثم رجعا إلى ثعلبة. فقال: أروني كتابكما! فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية! ما هذه إلا أخت الجزية! اذهبا حتى أرى رأيي!.

قال: فأقبلا، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يتكلما: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة!».

ثم دعا للسلمي بخير. فأخبراه في الذي صنع ثعلبة! فأنزل الله في حقه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾^(٢) الآيات.

(١) وهي قوله سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾... الآية.

(٢) التوبة: ٧٥ - ٧٨.

وكان عند رسول الله رجلٌ من أقاربه، فسمع ذلك، فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة! لقد أنزل الله فيك: كذا وكذا.

الرسول يردُّ صدقة ثعلبة:

ثم جاء ثعلبةً بزكاته، غير تائب في الباطن، فقال عليه الصلاة والسلام:

«إِنَّ اللَّهَ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ!».

فجعل يحشو الترابَ على رأسه، أي: تستراً وخوفاً من أن يُنظم في سلك الكفار، ويُخرج من سلك المؤمنين، ويعامله معاملة الكفار!

الصديق يردها أيضاً:

فلما قبض رسول الله ﷺ. فأتى أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقال: اقبل صدقتي!

فقال أبو بكر رضي الله عنه: لم يقبلها رسول الله ﷺ منك، وأنا لم أقبلها منك، فلم يقبلها.

الفاروق يردها أيضاً:

فلما قبض أبو بكر ووليَّ عمر - رضي الله عنهما - أتاه فقال: اقبل صدقتي! فقال: لم يقبلها رسول الله، ولا أبو بكر، فأنا لم أقبلها منك، فلم يقبلها.

هلاكه في خلافة عثمان:

ثم ولي عثمان رضي الله تعالى عنه، فأتاه فلم يقبلها منه. وهلك في خلافة عثمان.

قال بعض العلماء: وإنما لم يقبلها رسول الله ﷺ؛ لأن الله تعالى منعه

من قبولها، مجازاةً على خلاف ما عاهد الله عليه، وإهانةً له على قوله: إنما هي جزية، أو أخت الجزية!

فلما صدر هذا القول منه، رُدَّتْ صدقته عليه، إهانةً له، وليعتبر غيره.

حمامة المسجد:

كان ثعلبةً هذا ملازماً مسجد رسول الله ﷺ، حتى لُقِّب بحمامة المسجد! ثم رآه عليه الصلاة والسلام يُسرِعُ الخروجَ من المسجد عقب الصلاة، فقال عليه الصلاة والسلام:

«ما لك تفعلُ فِعْلَ المنافقين»^(١).

فقال: إني افتقرتُ! ولي ولامرأتي ثوبٌ واحد، أجيءُ به للصلاة، ثم أذهبُ فأنزِعُهُ لتلبسه وتصلي، فادعُ الله تعالى أن يوسع عليَّ رزقي! ثم ذكر قصته^(٢).

الفتن العامة:

عن أبي أميمة الشعباني قال: قلتُ يا أبا ثعلبة! كيف تقولُ في هذه الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٣).

(١) ملاحظة: وقع خلاف في ثعلبة هذا من هو؟.

والصواب: بعد البحث والتثبت فيه، بأن «ثعلبة بن حاطب» هو بدري شهد بدرًا وقُتِلَ في «أُحُد»، وهذا لا يتفق مع فضل أهل «بدر» والحالة هذه.

وأما المنافق المنوه بذكره في هذه الآيات: هو «ثعلبة بن أبي حاطب» الأنصاري الذي تعاون ببناء مسجد الضرار. اهـ الإصابة: (١: حرف الثاء).

(٢) حاشية الجمل على الجلالين، مع ذكر بعض الزيادات: (٣١٤/٢)، وأخرجه

الطبراني، والبيهقي في الدلائل، وابن المنذر، وغيرهم.

(٣) المائدة: ١٠٥.

فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ
فقال:

«اتمروا بالمعروف، وانتهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً،
وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسيك، ودع
عنك أقر العوام! فإن من ورائكم أياماً، الصبر فيهن كالقبض على الجمر،
للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم!»^(١).

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«يوشك أن يكون خير مال المسلم: غنماً يتبع بها شَعَفَ^(٢) الجبال،
ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«بادروا بالأعمال! فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً،
ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(٤).

وعن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«العِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ، كَهَجْرَةِ إِلَى».

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي.

(٢) شعفة كل شيء: أعلاه. وجمعها: شعاف، يريد به رأس جبل من الجبال، وهو
معتزل الناس، حتى يأتيه الموت وهو على ذلك. انتهى من النهاية في غريب
الحديث.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي.

(٥) الهرج: الاختلاف والفتن، وأصل الهرج: الكثرة في الشيء والانتساع فيه. وروي
«بين يدي الساعة هرج» أي: قتال واختلاط. والحديث رواه أحمد، ومسلم،
والترمذي، وابن ماجه.

عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عَوْدًا عَوْدًا»^(١)، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بِيضَاءٌ، حَتَّى يَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا يَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا^(٢) كَالْكُوزِ مُجْخِيًا^(٣) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»^(٤).

وفيه قال حذيفة لعمر: إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مَغْلَقٌ، يَوْشِكُ أَنْ يُكْسَرَ. قال عمر: أَكْسَرًا - لَا أَبَا لَكَ -! فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ، لَعَلَّهُ كَانَ يَعَاد. قلت: لَا؛ بَلْ يُكْسَرُ^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ!». «

(١) هذه الرواية بالفتح، أي: مرة بعد مرة، وروى بالضم، وهو واحد العيدان، يعني: ما ينسج به الحصير من طاقاته. اهـ من النهاية في غريب الحديث.

(٢) وفي رواية: مربدًا، هما من اربد وارباد، ويريد اربداد القلب من حيث المعنى، لا الصورة، فإن لون القلب إلى السواد ما هو. ومن حديث عمرو بن العاص، أنه قام من عند عمر مربد الوجه في كلام أسمعه. اهـ من النهاية.

(٣) المجخي: المائل عن الاستقامة والاعتدال، فشبّه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المائل، الذي لا يثبت فيه شيء!.

وهو: بضم أوله، وفتح ثانيه، وكسر ثالثه مع الشدة: اهـ من النهاية.

(٤) رواه مسلم.

(٥) التاج الجامع للأصول: (٣١٠/٥) باختصار.

وفي رواية:

«والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ، ويقول: يا ليتني كنت مكان هذا القبر! وليس به الدين، إلا البلاء»^(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال:

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني!

فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: «نعم».

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر».

فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها».

قلت: يا رسول الله! صفهم لنا!

قال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا».

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم».

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

(١) رواهما مسلم.

قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «يوشك أن يأتي زمانٌ يُغربلُ فيه الناسُ غربلةً، وتبقى حُثالةٌ من الناس، قد مرَّجتْ عُهودُهم وأماناتهم، واختلفوا، فكانوا هكذا» - وشبك بين أصابعه -.

قالوا: كيف بنا يا رسول الله؟! قال:

قال: «تأخذون ما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على أمرٍ خاصتكم، وتذرون أمرَ عامتكم»^(٢).

روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يأتي على الناس زمانٌ يُتزوجُ الغلامُ كما تُتزوج المرأة!»^(٣).

وروي عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي أنه قال:

«يأتي على الناس زمانٌ: يحجُّ أغنياءُ أمتي للنزهة، وأوسطهم للتجارة، وقراؤهم للرياء والسمعة، وفقراؤهم للمسألة»^(٤).

روي عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«يأتي على الناس زمانٌ، لأنَّ يُربِّي أحدكم جرَّو كلبٍ، خيرٌ له من أن يُربِّي ولدًا»^(٥).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم.

(٣) رواه الديلمي.

(٤) رواه الخطيب، والديلمي.

(٥) رواه الديلمي.

«يأتي على الناس زمانٌ: همُّهم بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبْلَتهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم، أولئك شرُّ الخلق لا خلاق لهم عند الله تعالى»^(١).

روي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:
«يأتي على الناس زمانٌ، يتمنى فيه الرجال الموت، لما يلقون في الدنيا، من الزلازل والفتن والبلايا»^(٢).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي أنه قال:
«الصَّابِرُ فيهم على دينه كالقَابِضِ على الجَمْرِ»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:
«يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيُظْهَرُ الجَهْلُ والْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ»^(٤).

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«يوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا».
فقال قائل: وَمِنْ قِلَةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟

قال: «لا! بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل! وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عِدْوِكُمُ المَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهْنَ»، قيل: وما الوهنُ يا رسول الله؟ قال: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ»^(٥).

(١) رواه السلمي عن علي رضي الله عنه. هذه الأحاديث الأربعة: ظاهرة المعنى مجلية الوضوح، محققة الوقوع، وقد يكون في سندها شيء. نسأله تعالى الوقاية من المعاصي، والمحفظ من الفتن!.

(٢) رواه أبو نعيم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه أبو داود.

خمس بـ خمس :

رُوي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال :

«كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا وَقَعَتْ فِيكُمْ خَمْسٌ؟ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ فِيكُمْ، أَوْ تُدْرِكُوهُمْ :

١ - ما ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، يُعْمَلُ بِهَا فِيهِمْ عِلَانِيَةً، إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ.

٢ - وما مَنَعَ قَوْمُ الزُّكَاةِ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا.

٣ - وما بَخَسَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشُدَّةِ الْمُؤَنَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ.

٤ - وَلَا حَكَمَ أُمْرَاؤُهُمْ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا سَلَّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، فَاسْتَنْقَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

٥ - وما عَطَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، إِلَّا جَعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»^(١).

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ جَذَوَ النِّعْلِ بِالنِّعْلِ ! حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً، لِيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي مَنْ يُصْنَعُ ذَلِكَ !»

وإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَاسْتَفْتَرَقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً !

قالوا : ما هي ؟ .

(١) أخرجه ابن ماجه، والطبراني .

قال: «مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا كَانَتْ أُمْرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سَمَحَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهَرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا!.

وَإِذَا كَانَتْ أُمْرَاؤُكُمْ شَرَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بَخْلَاءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ، فَبَطَنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا»^(٢).

روى أبو قلابة عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»^(٣).

وفي رواية: «تُزْخَرَفُ الْمَخَارِيبُ، وَتُخَرَّبُ الْقُلُوبُ».

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا فَعَلْتُ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حُلَّ فِيهَا الْبَلَاءُ!!.

قيل: وما هي يا رسول الله؟.

قال: إِذَا كَانَ الْمَغْنَمُ دُولًا! وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا! وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا! وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ! وَعَقَّى أُمَّهُ! وَبَرَّ صَدِيقَهُ! وَجَفَا أَبَاهُ! وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرَذْلَهُمْ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ، وَلُبِسَ الْحَرِيرُ، وَاتُّخِذَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلِيرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ، أَوْ خُسْفًا، أَوْ مَسْخًا»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

(٤) رواه الترمذي وقال: «حديث غريب».

وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى
أُطَم^(١) مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟».

قالوا: لا.

قال: فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتْنَ تَقَعُ خِلَالَ بَيْوتِكُمْ، كَوُقْعِ الْقَطْرِ».

وفي رواية:

«يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ، وَيُلْقَى الشَّحُّ، وَتُظْهِرُ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ
الْهَرْجُ. قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّمَا هُوَ؟ قال: الْقَتْلُ»^(٢).

وعن الزبير بن عدي قال: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَشَكُونَا
إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، إِلَّا
الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ^(٣).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ
الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي»^(٤).

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُظْهِرَ
الْجَهْلُ، وَيَقْلُ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرُ النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ قِيَمَ خَمْسِينَ امْرَأَةً رَجُلًا!».

(١) الأطم: كل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع.

(٢) رواهما البخاري، ومعنى تقارب الزمن: محق بركته، حتى تكون السنة كالشهر،
والشهر كالأسبوع، والأسبوع كالיום، واليوم كالساعة، فينطوي العمر طياً، من غير
حصول على ما يُطلب ويراد. فلا حول ولا قوة إلا بالله!

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى يُقاتَلَ المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا اليهودي من خلفي، فتعال فاقته! إلا الغرقاء فإنه من شجر اليهود»^(١).

فهذه الأمور عَلِمَ من أعلام النبوة ونبأ من أنباء الغيب، التي تفوه بها رسول الله ﷺ الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

فلم يترك عليه الصلاة والسلام أمراً من الأمور، أو خطباً من الخطوب، حتى انتهاء الدنيا، إلا ذكره للناس، وبينه لأمة.

وقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، التلميذ الأول لرسول الله ﷺ، المتفوق في هذا الحقل الواسع، الواعي له، الخائف منه.

ثبت عنه أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني... الحديث.

وقد بلغ رضي الله عنه في الأمانة مبلغاً كبيراً، حتى كان أمين سر رسول الله في المنافقين، أعداء الإسلام والمسلمين، يعرفهم بأسمائهم وذواتهم، فكان عمر رضي الله عنه، يأتي حذيفة مرتعدة فرائضه، خائفاً قلبه، يقول لحذيفة بصوت منخفض، ونفس خاشعة: هل لي اسم عندك يا حذيفة؟

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: (٢/٢١٧) في حديث طويل أوله: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض».

هكذا كان شيوخ الصحابة وكبارهم، كلٌّ يَخْشَى النفاق، ويخافُ
الفتنة. فما بالك - يا أخي المسلم - ونحن الآن أصبحنا في دبر الزمن، عم
فيه الجهلُ، وتغلب الهوى، واستعصت الشهواتُ في النفوس، وتزلزلتِ
العقيدةُ من القلوب، سادت السفهاءُ، وذلت العلماءُ، كلٌّ مُعْجَبٌ في رأيه،
مغرور بسيره، منتقد لغيره، مُدَّعٍ الصوابَ في جانبه، والخطأُ في باقي
الجوانب.

والبعض استحلَّ الحرامَ! وحرَّم الحلال! فتح للناس بابَ الإباحة، وأن الأصل
في الأشياءِ الحِلُّ! فتكشَّف المرأةُ عن أطرافها حلال! اختلاطها بالرجال الأجانب
حلال! بروزها في الشوارع العامة والدوائر الرسمية والخاصة حلال! النظر
إلى التليفزيون مع مختلف برامجه حلال! التصوير على اختلاف أنواعه
حلال! تخنث الرجل ومزاحمته المرأة في أزيائها، وتكسرها في مشيتها
وملبسها حلال! استرجال المرأة حلال! معاملة المصارف بالفوائد حلال!.

والبعض من أبناء هذا الزمن، طعن في رأي السلف، والأئمة
المجتهدين، والعلماء الأعلام العاملين، المتفق على فضلهم وعلو كعبهم،
في العلم والورع والدين، يدعي هذا البعض الاجتهادَ في الحكم، والأخذ
بالقرآن والسنة فحسب، يدعو إلى اللامذهبية في الإسلام، التي هي قنطرة
الإلحاد، وخطوة إلى اللادينية، والإسلامُ منه براء!.

وهكذا انتشرت «الفتن والأهواء» انتشاراً واسعاً، حتى في الفئة الصالحة
من الناس، فضلاً عن غيرهم، ممن أعرض وتولى.

ولهذا جئتُ لك بهذا المختصرِ المفيد، وذكرتُ موجزَ الفتن: خاصَّها
وعامَّها، لتكونَ على حذر من ذلك، داعياً لي وللمسلمين بالحفظ والوقاية
والسلامة، والعصمة من ظواهرها وبواطنها، جليها وخفيها.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(١)

جَوَامِعُ الدَّعَاءِ

الحمد لله السميع البصير، الغني الكريم، القريب المجيب.
وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد المعبود، الملك المقصود، القائل في
محكم تنزيله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾^(٢).
والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد أفضل من تبثل
ودعا.

ورضى الله تعالى عن صحابته الكرام، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان.
وبعد؛ فقد تم - والحمد لله - كتاب «سمير المؤمنين» وكان ختامه
«بجوامع الدعاء» المنقولة عن أشرف الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.
فأفضل ما يدعو العبد به ربه، بما دعا به نبيه ﷺ، متبركاً بألفاظه
وكلماته، متحلياً بأوصافه وعاداته.

(١) المؤمن: ٦٠.

(٢) البقرة: ١٨٦.

فالدعاء - معشر الإخوان - مُخُّ العبادة، ورأسُ المعرفة والزَّهادة، فهو
اعترافٌ بالفقر والافتقار، اللتان هما من لوازم العبودية:

فالعبدُ يَفْزَعُ إلى مولاه في الشدة والرخاء، والمنع والعطاء، والصحة
والسقم، والفقر والغنى...

فهو يتقلبُ بين الحمد والشكر، والضراعة والصبر: فإذا أُعْطِيَ شَكَرَ،
وإذا مُنِعَ فَزَعَ إلى الله وصبرَ.

ولقد اخترتُ لك كلماتٍ منتخبةً، وأدعيةً منتقاةً، تحتاجها في جميع
أمورك: في حضرك وسفرك، في صحتك وسقمك، في فقرك وغناك، في
صلاتك وعبادتك، في نومك ويقظتك، في فراغك وشغلك...

فالدعواتُ الماثورةُ عنه عليه الصلاة والسلام، عَاقِرٌ للنفس، وشفاءٌ
للروح.

تمسِّكُ بها تَظْفَرُ، وحافظُ عليها تُنَصِّرُ.
فأقول: مستفتحاً ومتبركاً بأسمائه تعالى الحسنی:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
فَادْعُوهُ بِهَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الرَّحْمَنُ *

الرَّحِيمُ * الْمَلِكُ * الْقُدُّوسُ * السَّلَامُ
الْمُؤْمِنُ * الْمُهَيَّمِنُ * الْعَزِيزُ * الْجَبَّارُ * الْمُتَكَبِّرُ
الْخَالِقُ * الْبَارِئُ * الْمَصْطَوِرُ * الْفَقَّارُ * الْقَهَّارُ * الْوَهَّابُ
الرَّزَّاقُ * الْفَتَّاحُ * الْعَلِيمُ * الْقَابِضُ * الْبَاسِطُ * الْخَافِضُ
الرَّافِعُ * الْغَزَّ * الْمَذِلُّ * السَّمِيعُ * الْبَصِيرُ * الْحَكَمُ * الْعَدْلُ
اللطيفُ * الْخَبِيرُ * الْحَلِيمُ * الْعَظِيمُ * الْغَفُورُ * الشَّكُورُ * الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ * الْحَفِيزُ * الْمُفِيتُ * الْحَسِيبُ * الْجَلِيلُ * الْكَرِيمُ * الرَّقِيبُ
الْجَنِيبُ * الْوَاسِعُ * الْحَكِيمُ * الْوَدُودُ * الْجَمِيدُ * الْبَاسِطُ * الشَّهِيدُ * الْحَقُّ
الْوَكِيلُ * الْقَوِيُّ * الْمُتِينُ * الْوَلِيُّ * الْحَمِيدُ * الْمُحْصِي * الْبَدِيُّ * الْمُغْنِي
الْمُحَمَّدُ * الْمُتَيْ * الْحَيُّ * الْقَيُّومُ * الْوَاحِدُ * الْمَلْجَأُ * الْوَاحِدُ * الْقَهْمُ
الْقَادِرُ * الْمُقْتَدِرُ * الْمُقْتَدِرُ * الْوَحْدُ * الْأَوَّلُ * الْآخِرُ * الظَّاهِرُ
الْبَاطِنُ * الْوَالِي * الْمُتَعَالِي * الْبَرُّ * التَّوَّابُ * الْمُتَّقِمُ * الْقَفُورُ
الرَّؤُوفُ * مَالِكُ الْمُلْكِ * ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * الْمُقْسِطُ
الْجَامِعُ * الْغَنِيُّ * الْغَنِيُّ * الْمَانِعُ * الضَّارُّ * النَّافِعُ
النُّورُ * الْهَادِي * الْبَدِيعُ * الْبَاقِي

الْوَارِثُ * الرَّشِيدُ

الصَّبُورُ *

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا

مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

* * *

الشمس ج الموهج ل لأسماء الله تعالى:

الله هو علم على الذات العلية، الواجب الوجود. وقال بعضهم: إنه الاسم الأعظم.

الرحمن هو المنعم بجلال النعم وعظيمها.

الرحيم هو المنعم بدقائق النعم. فهما من الرحمة، بمعنى مُريد الإحسان، أو محسن بالفعل، والأمران واقعان، فهما: صفة ذات على الأول، وصفة فعل على الثاني.

الملك ذو الملك. أو المتصرف في ملكه، بالإيجاد والإعدام.

القادر أي المُطَهِّرُ والمنزه عن سمات النقص والحدوث؛ بل هو مبرأ عن أن يدركه حس، أو يتصوره خيال، أو يُحيط به عقل. فهو من أسماء التنزيه.

السلام أي ذو السلام من كل نقص وآفة: في ذاته وصفاته، وأفعاله.

المصدق لرسله بخلق المعجزات لهم.

القيوم أي الرقيب، المبالغ في المراقبة والحفظ، فهو العالم الشاهد لا يغيب عنه مثقال ذرة.

- العزیز : هو الغالبُ، فمرجعُه للقدرة المتعالیة عن المعارضة.
- الجبار : هو المصلحُ لأُمور عبادِه، المتكفلُ بمصالحهم.
- المتكبر : هو مَنْ یَرى غیرَه بالنسبةِ إلیه رؤیةً مالکٍ لعبیدِه. وهو مِنْ أَسْمَاءِ الذَاتِ.
- الخالق، الباریء، المصورُ : هی ألفاظٌ مترادفةٌ علی معنی واحد، وهو: الإیجادُ من العدم، والإبداعُ كما شاء. وقیل : غیر ذلك.
- الغفار : أي کثیرُ الغفرِ، وسترِ القبائحِ علی العباد، بدونِ مؤاخذه فضلًا منه تعالی.
- القهار : الذي کُلُ مخلوقٍ فی قبضته، ومسخرٌ لقضائه، ومقهورٌ بقدرته.
- الوهاب : کثیرُ النعمِ، دائمُ العطاءِ والهباتِ.
- الرزاق : خالقُ الأرزاقِ وأسبابِها کُلِّها، ومفیضُها علی عبادِه.
- الفتاح : الحاکمُ بینَ العباد، أو الناصرُ لمن شاء، أو مَنْ یفتحُ خزائنَ رحمته لعبادِه. قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ فهو اسمُ ذاتٍ علی الأول، واسمُ فعلٍ علی ما بعده.
- العلیم : الذي علم ما کان، وما یكون، أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، فی المملک والملكوت؛ لأنَّه خلق الأشياءَ کُلِّها.
- القابض : مضیقُ الرزقِ علی مَنْ شاء.
- الباسط : موسعُ الرزقِ علی مَنْ شاء.
- الخافض : مَنْ یخفضُ القسطَ، أو مَنْ یخفضُ الکفارَ والفجارَ، بالخزي والذل والصغارِ، وعذابِ النار.
- الرافع : یرفعُ القسطَ، ویرفعُ الأبرارَ بالإجلال فی دار السلام.
- المعز : لمن شاء بتوفيقه للفعل الملیح، فهو المعز لمن شاء إعزازه.
- المذل : لمن شاء بهديه للقبیح، والمذل لمن شاء إذلاله.

- الذي يسمع كُلَّ شيءٍ من الأصواتِ وغيرها بدون حواس .
- الذي يُبصر كُلَّ شيءٍ، ولو صوتاً بدون حاسة .
- الحاكمُ الذي لا مَرَدَّ لقضائه، ولا مُعَقَّبَ لحكمه، فمرجعه للقول الفاصل بين الحق والباطل، والبر والفاجر.
- مصدرٌ وُصِفَ به للمبالغة، أي العادل المبالغ في العدل.
- بأوليائه، الخبيرُ بهم، أو اللطيف: العالم بخفيات الأمور ودقائقها.
- العليمُ ببواطن الأشياء.
- الذي لا يستفزه غضبٌ، ولا يَحْمِلُه على استعجال عقوبة.
- البالغ أَقْصَى مراتب العظمة، فلا يتصوره عقلٌ، ولا تُحيط بكنهه بصيرة.
- كثيرُ الغفران واسعُ المغفرة.
- الذي يُعطي الجزيلَ على العمل القليل.
- البالغُ في علو الرتبة بلا نهاية، فما من شيءٍ إلا وهو منحط عنه سبحانه.
- في كل شيءٍ؛ لأنه أزلي وغني على الإطلاق.
- الذي يحفظ الأشياء من الزوال والاختلال ما شاء ذلك.
- خالقُ الأقوات بدنيةً وروحانيةً، وموصلُها للأشباح والأرواح.
- الكافي لعبده، أو الذي يُحاسب الخلق يومَ القيامة.
- المتصفُ بصفات الجلال، قال الإمام الرازي: الفرق بينه وبين الكبير والعظيم، أن الكبير: الكامل في الذات، والجليل: الكامل في الصفات. والعظيم: الكامل فيهما.
- المتفضلُ المعطي، من غير سؤالٍ، ولا عوض.
- الذي يُراقب الأشياء ويلاحظها، فلا يَغيب عنه ذرة.

المجيب	: الذي يُجيب الداعي إذا دعاه .
الواسع	: المحيط بكل شيء علماً .
الحكيم	: ذو الحكمة ، وهي : كمال العلم ، وإحسان الفعل ، وإتقانه .
الودود	: مبالغة في الود ، أي : الذي يُحب الخير لكل خلقه .
المجيد	: الماجد البالغ في المجد والشرف .
الباعث	: باعثُ الرسل للأمم ، وباعثُ الهِمَم للترقي في ساحات التوحيد .
الشهيد	: من الشهود والحضور ، أي العالم بكل مخلوق الحاضر معه .
الحق	: أي الثابت الذي لا يتحول ، أو المظهر للحق .
الوكيل	: القائم بأمور عباده ، وتسخير ما يحتاجون إليه .
القوي	: ذو القدرة التامة البالغة للكمال .
المتين	: البالغ في الشدة من المتانة ، وهي شدة الشيء واستحكامه .
الولي	: المحبُّ الناصر ، المتولي أمر خلقه .
الحميد	: المحمود المستحق لكل ثناء ؛ لأنه الموصوفُ بكل كمال .
المحصي	: الذي أحصى بعلمه كل شيء .
المبدئ	: الذي أظهر الأشياء من العدم .
المعيد	: والذي يُعيدها بعد العدم .
المحيي المميت	: الذي خلق الحياة في كل حي ، وخلق الموت في كل من أماته .
الحي	: ذو الحياة الدائمة ، وهذه صفة قائمة بذاته .
القيوم	: القائم بنفسه ، والمقيم لغيره ذاتاً وتديراً .
الواجد	: الذي يجد كل ما أراده ، فلا يُعوزه شيء .
الماجد	: من المجد والشرف ، كالمجيد ؛ ولكنه أبلغ منه .
الواحد	: الذي لا ينقسم بحال : فهو واحد في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله .

- السيّد، الذي يُصمّد ويُفزع إليه في الشدائد.
- القادر، المقتدر، ذو القدرة البالغة، إلا أن المقتدر أبلغ.
- المؤتمن، الذي يقدم بعض الأشياء على بعض في الوجود: كتقديم الأسباب على مسبباتها، أو في الشرف والقربة: كتقديم الأنبياء والصالحين على من عداهم.
- الأول، القديم السابق على كل شيء، فهو أول بلا بداية.
- الآخر، الباقي وحده بعد فناء كل شيء، وهو آخر بلا نهاية.
- الظاهر، الجلي وجوده بآياته الباهرة؛ فليس فوقه شيء.
- الباطن، فليس دونه شيء، فهو الخفي بكنه ذاته عن نظر الخلائق إليه.
- الوالي، الذي تولى كل شيء وملكه.
- المتعالى، المرتفع عن النقائص، البالغ في العلاء.
- البار، المحسن العظيم في إحسانه.
- الهادي، الذي وفق المذنبين للتوبة، وقبلها منهم.
- المستقم، المعاقب للظلمة والعصاة الشاردين.
- الغفور، الذي يمحو السيئات عن تاب إليه، فهو أبلغ من الغفور، لأن الغفر الستر، والعفو المحو.
- الرفيع، شديد الرأفة والرحمة، فهو أبلغ من الرحمن الرحيم.
- الخالق، الذي يجري الأمور فيه كما يشاء، لا مردّ لقضائه ولا معقب لحكمه.
- المتعالى، الإكرام، الذي لا شرف ولا كمال إلا له وحده، ولا كرامة ولا مكرومة إلا وهي منه سبحانه وتعالى.
- المتكبر، العادل الذي يُنصف المظلومين، ويكسر شوكة الظالمين.
- المتكبر، المؤلف بين شتات حقائق مختلفة، وجامع الناس ليوم القصاص: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

الغني : المستغني بذاته وأسمائه وصفاته، عن كل ما عداه، المفتقر إليه كل ما سواه.

المغني : الذي يُغني بفضلِه مَنْ شاءَ مِنْ عِبَادِهِ.

المانع : الذي يدفع أسبابَ الهلاكِ والنقصانِ.

الضار النافع : فلا ضَرٌّ ولا نفعٌ، ولا شرٌّ ولا خيرٌ، إلا وهو بإرادته : ﴿ قُلْ كُلُّ

مَنْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾، ولكن الأدب أن يُنسبَ الشرُّ للعبد، والخيرُ لله،

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾.

النور : الظاهرُ بنفسه، المظهرُ لغيره.

الهادي : الذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَه ثم هَدَى.

البديع : المبدعُ الذي يأتي بما لم يُسبقْ إليه.

الباقي : الموجود وحده بعدَ فناءِ كلِّ شيءٍ.

الوارث : الباقي بعدَ فناءِ الموجوداتِ، فتبقى بيده الأملاكُ بعدَ فناءِ المَلَكِ.

الرشيد : المرشدُ لعباده.

الصبور : الذي لا يُعاجِلُ بالقصاصِ مَنْ عَصَاهُ.

ولهذه الأسماءُ الرفيعةُ، معانٍ وأسرارٌ، لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تعالى، وهُـ^٥ ارتضاهم مِنْ عِبَادِهِ؛ ولها مؤلفاتٌ خاصةٌ للعلماء^(١).

فَضْلُ الدَّعَاءِ:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«ليس شيءٌ أكرمَ على الله تعالى من الدعاء»^(٢).

(١) راجع التاج الجامع للأصول: (٩١/٥).

(٢) رواه الترمذي، والحاكم، وأحمد.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:
«الدعاء مُخَّ العبادَةِ»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:
«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ، فَلْيُكْثِرْ مِنَ الدَّعَاءِ فِي الرِّخَاءِ»^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال:
«مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدَّعَاءِ، فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سَأَلَ اللَّهَ شَيْئاً يُعْطَى أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسَأَلَ الْعَافِيَةَ»^(٣).

وعنه - أيضاً - عن النبي ﷺ قال:
«إِنَّ الدَّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدَّعَاءِ»^(٤).

(١) وإنما كان الدعاء مخ العبادَةِ، لأن كل عابد لله ربما غاب قلبه، وغفل لُبه، إلا الداعي، فإنه حاضر مع الله بقوله، وظاهره، وباطنه.

فهو في هذه الحال؛ عَبْدُ اللَّهِ بكل جوارحه، وهذه أسعدُ أحوال الإنسان وأشرفها. ويُطلق المخ على الخالص من كل شيء. والحديث رواه الترمذي.

(٢) وهذا كحديث الإمام أحمد: تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة.

فالإنسان في هذه الحياة يتراوح بين عسر ويسر، وصحة وسقم، وغنى وفقر، وعز وذل، وشباب وهرم. فإذا لم يغفل عن الله في الأحوال الأولى، وقام بشكرها حق القيام، فإن الله لا يتركه عند تحول النعمة، ووقوع الشدة. والحديث رواه الترمذي.

(٣) من الإثم بمحوه والعفو عنه، والعافية للجسم، لأنها تعينه على طاعة الله. فجمعت العافية: خير الدنيا والآخرة؛ والحديث رواه الترمذي.

(٤) رواه الترمذي.

دواء الهم والكرب :

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب :

« لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات السبع وربُّ الأرضين، وربُّ العرش الكريم»^(١).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال :
«دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»^(٢).

دواء الهم والدين :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد؛ فإذا هو برجل من الأنصار، يُقال له أبو أمامة .

فقال : يا أبا أمامة ! مالي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة؟ .

فقال : همومٌ لزممتني وديونٌ، يا رسول الله ! فقال عليه الصلاة والسلام :
«أفلا أعلمك كلاماً، إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك، وقضى عنك دينك؟» قال : قلت بلى يا رسول الله ! قال :

«قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» .

قال : ففعلت ذلك، فأذهب الله همي، وقضى عني ديني^(٣).

(١) رواه البخاري، ومسلم .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه أبو داود .

دواء الفقر :

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أَنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! إِنَّ الدنيا أدبرت عني وتولت...

قال له عليه الصلاة والسلام:

«فَإِنَّ أَنْتَ مِنْ صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ، وَتَسْبِيحِ الْخَلَائِقِ، وَبِهِ يُرْزَقُونَ؟ قُلْ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، مِائَةَ مَرَّةٍ، تَأْتِكَ الدُّنْيَا صَاحِرَةً».

أي: ذليلةً وحقيرةً؛ فَوَلَّى الرَّجُلُ فَمَكَثَ ثُمَّ عَادَ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ أَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا، فَمَا أَدْرِي أَيْنَ أَضَعُهَا! (١).

دواء وجع الضرس :

روي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَجَعَ ضَرْسِهِ؛ فَوَضَعَ ﷺ يَدَهُ عَلَى خَدِّهِ الَّذِي فِيهِ الْوَجَعُ وَقَالَ:

«اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ سُوءَ مَا يَجِدُ، وَفُحْشَهُ، بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الْمَكِينِ الْمُبَارَكِ عِنْدَكَ» سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَشَفَاهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَبْرَحَ (٢).

دواء أم الصبيان :

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى، وَأَقَامَ فِي الْيَسْرَى، لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصَّبِيَّانِ» (٣).

(١) رواه الخطيب.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) وأم الصبيان: هي: الريح التي تعرض لهم، فربما يخشى عليهم منها.

الدعاء لمن وجد ألماً:

عن عثمان بن أبي العاص رضي الله تعالى عنه، أنه شكى إلى النبي ﷺ وجعاً يجده في جسده. فقال عليه الصلاة والسلام:

«ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله، ثلاثاً، وقل سبع مرات: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ»^(١).

دعاء الأرق:

عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: شكوتُ إلى النبي ﷺ أرقاً أصابني فقال:

«قل: اللهم غارتِ النجومُ، وهدأتِ العيونُ، وأنتَ حيُّ قيومٌ، لا تأخذُكَ سِنَّةٌ ولا نَوْمٌ، يا حيُّ يا قيومُ! أَهْدِءْ ليلي وأُنِمْ عيني».

فقلتها فأذهبَ اللهُ عني ما كنتُ أجِدُ!.

وشكا خالد بن الوليد رضي الله عنه، إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما أنام الليلَ من الأرقِ!.

فقال: «إذا أويتَ إلى فراشِكَ فقل: اللهم ربَّ السمواتِ السبعِ وما أظَلَّتْ، وربَّ الأرضينَ وما أقلتُ، وربَّ الشياطينَ وما أضَلَّتْ، كن لي جاراً

= وقال في «فتح العلام» باب الأذان: (٦١٤/١) أم الصبيان: هي التابعة من الجن، وهي المسماة عند الناس بالقرينة. وعلى كلِّ فالأذان والإقامة في أذن «المولود» سنة، ليكونَ أولَ ما يترقَّ سمعه ذكرُ اللهِ تعالى، والحديث رواه ابن السني.

(١) رواه مسلم.

• مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعاً، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ أَوْ يَبْغِيَ عَلَيَّ، عَزَّ جَارُكَ،
وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

الدعاء بعد الطعام:

عن معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

• «مَنْ أَكَلَ طَعَاماً، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ
وَرَزَقَنِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

الدعاء بعد لبس الثوب الجديد:

وفي كتاب ابن السني، عن معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه، أن
رسول الله ﷺ قال:

• «مَنْ لَبَسَ ثَوْباً جَدِيداً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ
غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(٣).

الدعاء عند رؤية الهلال:

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا
رأى الهلال قال:

• «اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي
وَرَبُّكَ اللَّهُ»^(٤).

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي.

(٣) رواه أبو داود، والحاكم.

(٤) رواه الترمذي.

وعن قتادة رضي الله تعالى عنه، أن نبي الله ﷺ، كان إذا رأى الهلال قال:

«هلالٌ خيرٌ ورُشدٌ، هلالٌ خيرٌ ورُشدٌ، هلالٌ خيرٌ ورُشدٌ، آمَنْتُ بالذي خَلَقَكَ - ثلاثَ مراتٍ - الحمدُ لله الذي ذَهَبَ بشهرٍ كذا، وجاءَ بشهرٍ كذا»^(١).

دعاء سيدنا آدم عليه السلام:

«اللهم إنك تعلم سري وعلايتي فأقبلْ مَعذِرَتِي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفرْ لي ذنبي.

«اللهم إني أسألك إيماناً يُباشِرُ قلبي، و يقيناً صادقاً حتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُصِيبُنِي إِلَّا مَا كَتَبَ عَلَيَّ، ورضي بما قَسَمْتَ لي، يا ذا الجلال والإكرام»^(٢).

الدعاء عند رؤية مُبتلى:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ»^(٣).

الدعاء عند دخول المدفن:

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ - كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ - يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول:

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الترمذي.

«السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لأحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»^(١).

الدعاء عند النوم :

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن، ثم قال :

«اللهم أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وفَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»^(٢).

الدعاء عند جمود العين :

«اللهم ارزقني عينين هطالتين، تشفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك، قبل أن تكون الدموع دماً، والأضراسُ جمرًا»^(٣).

الدعاء لكفارة المجلس :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال :
«من جلس في مجلسٍ فكثر فيه لَغَطُهُ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوبُ إليك، إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسه ذلك»^(٤).

(١) رواه مسلم. وفي رواية : «نسأل الله لنا ولكم العافية».

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الطبراني، وأبو نعيم، وابن عساكر، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه أصحاب السنن.

الدعاء عند الخلاء:

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال:

«اللهم إني أعوذ بك من الخُبثِ والخبائث»^(١).

سيد الاستغفار:

عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«سَيِّدُ الاستِغْفَارِ»^(٢) أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ^(٣) مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ^(٤) لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي^(٥) فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

وقال عليه الصلاة والسلام:

«مَنْ قَالَهَا مَوْقِنًا»^(٦) بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ

(١) ذكران الشياطين وإنائهم، وهو بضم الخاء والباء، والحديث رواه البخاري.

(٢) أفضله وأعظمه أجراً وأكثره ثواباً وأشدّه تأثيراً.

(٣) ما عاهدتك ووعدتك عليه من الإيمان والاستقامة على الأعمال، التي ألقاك وأنت راضٍ عني.

(٤) اعترف بما أسبغت عليّ من نعم.

(٥) اعترف بما أحمله برغمي من ذنب وتقصير في جانبك، فلا أستطيع صرفه عني إلا بمعونة منك.

(٦) قالها مخلصاً مبتغياً بها وجه الله تعالى.

الجنة^(١)، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(٢).

الدعاء عند خوف الأعداء:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خاف قوماً قال:

«اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»^(٣).

«فائدة» للفرع في النوم:

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، رضي الله تعالى عنهم، أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا فرغ أحدكم في النوم، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون، فإنها لن تضره».

قال: وكان ابن عمرو يعلمها مَنْ بلغ من ولده، وَمَنْ لم يبلغ منهم كتبها في صكٍّ وعلقها في عنقه^(٤).

(١) الداخلين لها ابتداء من غير دخول نار أو سبق عذاب.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

(٤) رواه أصحاب السنن.

دعاء الاستخارة:

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول:

«إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ:
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ
الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ
أُمْرِي، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ.

وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي،
فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ».

استحباب تكرار الدعاء:

روينا عن ابن مسعود رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ كان يُعْجِبُهُ أَنْ
يَدْعُو ثَلَاثًا، وَيَسْتَغْفِرُ ثَلَاثًا)^(١).

الحث على حضور القلب في الدعاء:

اعلم أن مقصود الدعاء هو حضور القلب كما سبق بيانه، والدلائل عليه
أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، والعلم به أوضح من أن يذكر، لكن نتبرك بذكر حديث
فيه.

روينا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ

(١) أخرجه أبو داود في سننه.

وَادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ»^(١).

فضل الدعاء بظهر الغيب:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾. وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَاراً عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾.

روينا عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ»^(٢).

وفي رواية أخرى لمسلم: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»^(٣).

وروينا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أَرْغُ الدُّعَاءِ إِجَابَةٌ دَعْوَةِ غَائِبٍ لِغَائِبٍ»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي وفي إسناده ضعف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٤) أخرجه أبو داود والترمذي وسنده ضعيف.

الدعاء لمن أحسن إليه :

عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَنَعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّاءِ »^(١) .

وقد قدّمنا في كتاب حفظ اللسان قوله ﷺ : « وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِتُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » .

رفع اليدين بالدعاء ثم المسح بهما :

روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : (كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء ، لم يحطّهما حتى يمسح بهما وجهه) .

وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ نحوه .

«فائدة» آيات الشفاء :

نقل عن الشيخ الإمام أبي القاسم القشيري - رحمه الله تعالى - أن ولده مرض مرضاً شديداً ، قال : حتى أيست منه ، واشتد الأمر عليّ ! فرأيت النبي ﷺ في منامي ، فشكوت له ما بولدي ، فقال لي :

«أين أنت من آيات الشفاء؟ فانتبهتُ ، ففكرتُ فيها فإذا هي في ستة مواضع من كتاب الله تعالى ، وهي قوله تعالى :

١ - ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

٢ - ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ .

٣ - ﴿ يَخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ .

(١) أخرجه الترمذي بسند صحيح .

٤ - ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾

٥ - ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ ﴾

٦ - ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوهٗ هُدًى وَشِفَاءً ۝ ﴾

من دعاء الحبيب المصطفى ﷺ :

كان رسولنا ومرشدنا وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه يدعو بما يلي :

اللَّهُمَّ : إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفعُ، وعَمَلٍ لا يُرفعُ، ودعاءٍ لا يُسمعُ.

اللَّهُمَّ : أحييني مسكيناً، وتوفني مسكيناً، واحشُرني في زُمرَةِ المساكين.

اللَّهُمَّ : اجعلني من الذين إذا أَحْسَنُوا، استَبَشَرُوا، وإذا أَسَاءُوا استَغْفَرُوا.

اللَّهُمَّ : اغفر لي وارحمني، وألحِقني بالرفيق الأعلى^(١).

اللَّهُمَّ : اغفر لي ذنبي، ووسّع لي في داري، وبارك لي في رزقي.

اللَّهُمَّ : لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا تتزعّج مني صالح ما أعطيتني.

اللَّهُمَّ : اجعلني شكوراً، واجعلني صبوراً، واجعلني في عيني صغيراً، وفي أعين الناس كبيراً.

اللَّهُمَّ : أصلح ذات بيننا، وألّف بين قلوبنا، واهدنا سُبُلَ السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور.

اللَّهُمَّ : اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سني، وانقطاع عمري.

اللَّهُمَّ : إني أسألك إيماناً يباشِر قلبي، حتّى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي، ورَضّني من المعيشة بما قَسَمت لي.

(١) قاله حين الاحتضار.

اللَّهُمَّ : اجْعَلْنِي أَكْثَرَ ذِكْرِكَ ، وَأَتَّبِعْ نَصِيحَتَكَ ، وَأَحْفَظْ وَصِيَّتَكَ .

اللَّهُمَّ : إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى ، وَالتَّقَى ، وَالْعِفَافَ ، وَالْغِنَى .

اللَّهُمَّ : اسْتُرْ عَوْرَتِي ، وَآمِنْ رَوْعَتِي ، وَأَقْضِ عَنِّي دَيْنِي .

اللَّهُمَّ : افْتَحْ مَسَامِعَ قَلْبِي لِذِكْرِكَ ، وَارْزُقْنِي طَاعَتَكَ وَطَاعَةَ رَسُولِكَ .

اللَّهُمَّ : اعْفُ عَنِّي ، فَإِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ .

اللَّهُمَّ : الطُّفُّ بِي فِي تَيْسِيرِ كُلِّ عَسِيرٍ ، فَإِنْ تَيْسِيرَ كُلِّ عَسِيرٍ عَلَيْكَ يَسِيرٌ .

اللَّهُمَّ : إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّسَاءِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .

اللَّهُمَّ : آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا .

اللَّهُمَّ : إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ .

اللَّهُمَّ : زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ .

اللَّهُمَّ : رَبِّ النَّاسِ ، مُذْهِبِ الْبَاسِ ، اشف أنت الشافي ، لا شافي إلا أنت ، اشف شفاء لا يغادر سقماً .

اللَّهُمَّ : إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ خَلِيلٍ مَآكِرٍ ، عَيْنَاهُ تَرِيَانِي ، وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي ، إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَدَاعَهَا .

اللَّهُمَّ : أَغْنِنِي بِالْعِلْمِ ، وَزَيِّنِي بِالْحِلْمِ ، وَأَكْرَمْنِي بِالتَّقْوَى ، وَجَمِّلْنِي بِالْعَافِيَةِ .

إلى هنا انتهى كتاب : «سمير المؤمنين»

بحمد الله تعالى ، تمَّ تصحيحُ هذا الكتاب للطبعة السادسة

والحمد لله حمداً يليقُ بنعمه ، وصلى الله وسلم

على سيدنا ومولانا محمدٍ ، كُلِّمَا ذَكَرَهُ

ذاكراً ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ

غَافِلٌ

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقرىظ	٤
المقدمة	٥
المنخبط والوصايا	٧
أول خطبة للنبي ﷺ	٧
خطبة الوداع، خطبة النبي ﷺ في النساء	٨
خطبة الصديق أبوبكر	٩
رثاء السيدة عائشة، خطبة الفاروق عمر، خطبة عمر بن عبدالعزيز	١٠
خطبة طارق بن زياد، خطبة أبي طالب	١١
مدح أبي طالب للنبي ﷺ، خطبة قس بن ساعدة الإيادي	١٢
وصية سيدنا نوح عليه السلام	١٣
وصية سيدنا يحيى عليه السلام	١٤
وصية عمر لأبي موسى الأشعري	١٥
وصية عثمان ذي النورين، وصية أبي عبيدة بن الجراح	١٦
وصية لقمان لابنه، وصية ابن عباس، معاوية يستوصي عائشة	١٧
وصية الحسن البصري	١٨
وصية الفضيل بن عياض، وصية مالك بن دينار	١٩
وصية إبراهيم بن أدهم، وصية السلطان محمد الفاتح	٢٠

٢٢	وصية أسماء بنت خارجة ، وصية علي الخواص
٢٣	الشعر الأدبي روائع شعرية
٢٥	شعر لابن المبارك
٢٦	عتاب أدبي ، احذر البغي ، معانق الدنيا ، ذم الحرص ، الزهد في الزهد
٢٧	الموت والغفلة ، الموت كالبحر ، القناعة ، اغتنام الوقت
٢٨	شعر للأعشى ، البهلول يخاطب الرشيد ، شعر لابن عصفرون ، الخليل لا يدوم ، القدوم على الكريم
٢٩	قبض الكف وبسطها ، الاستعداد للموت ، الشح في السلام ، التزود للآخرة
٣٠	إذا أعجبك شيء فقل ، الضحك والبكاء ، الحب الباقي
٣١	المبادرة إلى العمل ، عز العلم ، فرس المرء ، الرضا والتسليم ...
٣٢	لولا فئة لعذب الآخرون ، شعر للجوهري ، العز في العزلة ، دواء القلب ، الموت باب
٣٣	القلب القاسي ، أصول الدين ، آداب الزيارة ، الغناء والبقاء
٣٤	الصيف والشتاء ، الحيلة في الرزق ، التنفير من شرب الدخان ، أنا أغنى الناس
٣٥	الورع لطلاب العلم ، العجلة في طلب الرزق ، من الغني يا ترى؟ ، لا تسأل غير الله
٣٦	سراقة المؤمن وأبو جهل الكافر ، قصة سراقة
٣٧	الدفن بعد العز في التراب ، شروط شراء الدار
٣٨	اشترى ميت من ميت
٣٩	حاضر لكنه غائب
٤٠	عظ نفسك
٤١	أبيات في التصوف ، على هامش الهجرة لجني مؤمن ، عمر ورسول كسرى

٤٢ المال سلاح ولسان
٤٣ سخاء وحلم
٤٤ هارون الرشيد ومتوكل على الله
	التوكل على الرحمن، أثر الصاحب وموقعه، معاشره حمار، طين
٤٥ لكنه على الرؤوس
٤٦ من حكم ابن عطاء الله، معاوية وميسون
٤٧ من الأدب العربي
٤٨ علموا أولادكم الأدب
٤٩ حذيفة وابن أدهم، اللهم أنت المقصود
٥٠ احذر صفائر الذنوب، آثار المعاصي
٥٢ الفرح بولادة النبي ﷺ
٥٣ في الصبر
٥٤ الإنسان مرآة أخيه، في الحج المبرور، ابتداء الإنسان وانتهاءه
٥٥ رثاء رقيق، الحب اللطيف، الثناء الرقيق

٥٦ السيرة النبوية

٥٦ نسب النبي ﷺ
٥٧ أولاده الكرام رضي الله عنهم
٦٠ أزواجه الطاهرات رضي الله عنهن
٦١ فضل أم المؤمنين خديجة، قصة سودة أم المؤمنين
٦٢ قصة عائشة أم المؤمنين، قصة حفصة أم المؤمنين
٦٣ قصة أم سلمة أم المؤمنين، قصة أم حبيبة أم المؤمنين
٦٤ قصة زينب أم المؤمنين
٦٥ قصة زينب الهلالية أم المؤمنين، قصة ميمونة أم المؤمنين
٦٦ قصة جويرية أم المؤمنين
٦٧ قصة صفية أم المؤمنين
٦٨ رد شبهة

٧٠	حكمة تعدد الزوجات
٧١	سراريه ﷺ، أعمامه ﷺ، عماته ﷺ، من شمائله ﷺ
٧٤	من مظاهر عفو النبي ﷺ
٧٥	قصة زكاة
٧٧	أبطال المسلمين رضي الله تعالى عنهم
٧٧	عمر الفاروق
٧٨	عمر يضرب أخته، أخته تظهر إسلامها
٧٩	أخته تطمع في إسلامه، عمر يمدح القرآن، عمر يدخل على النبي ﷺ
٨٠	موقف حمزة أسد الله، الرسول ﷺ يأذن لعمر بالدخول، أبو جهل يضرب الباب
٨١	عمر يعلن إسلامه في مجمع قريش، كلمة ابن مسعود في عمر، فضل عمر
٨٣	خوفه من الله تعالى
٨٤	وضعه التراب على رأسه، عمر يتعهد العجوز، نظره للدنيا، زهده فيها
٨٥	فرار الشيطان من عمر
٨٨	من مظاهر عدله
٩٠	حمزة بن عبد المطلب أسد الله ورسوله
٩٢	دفاعه عن الرسول ﷺ
٩٤	حمزة يعلن إسلامه
٩٥	حمزة ورؤية جبريل، حمزة يجاهد في سبيل الله
٩٦	البطل الشهيد في أحد
٩٧	زهده حياً وميتاً

٩٨ موجز من حياته المباركة، أولاد حمزة وأزواجه

٩٩ أحفاده، الذين نزلوا قبره

١٠١ **عبد الله بن عباس**
حزب الأمة

١٠١ ولادته، نشأته

١٠٢ دعاء النبي ﷺ له

١٠٣ تعلمه العلم، شهادة بعض الصحابة له

١٠٤ تقديم عمر له، وصية أبيه له، حكمته

١٠٥ شمائله

١٠٦ وفاته

١٠٧ **عثمان بن مظعون**

١٠٧ الوليد بن المغيرة يمدح القرآن، عثمان وزوجه

١٠٨ زهده، تقبيل النبي ﷺ له

١٠٩ جري عمله بعد موته، رثاء زوجه له عند موته، شهادة الرسول له

١١٠ دخوله بجوار الوليد، رد جواره على الوليد

١١١ موقفه مع لبيد الشاعر

١١٢ عزته بالله تعالى

١١٤ **سعد بن أبي وقاص**

١١٤ بعد عن الأمراء، دعوة النبي ﷺ له

١١٥ بعده عن الفتنة، شجاعته، دعوته المجابة

١١٦ زيارته مكة

١١٧ **سلمان الفارسي**
"سَلْمَانٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ"

١١٧ وصيته لسعد

١١٨ امتناعه عن الطعام، اشتياق الجنة له، وصيته وتقسيمه الناس

١١٩ مثله الرائع
١٢٠ موجز حياته
١٢٧ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ
١٢٧ نشأته، سنّه
١٢٨ الإسلام في يثرب
١٢٩ دعوة الأسرة لأبيهم
١٣٠ الصنم المستشار، موقف الأولاد
١٣١ إعلان إسلامه
١٣٢ طلبه الشهادة
١٣٣ ذكر المؤرخون
١٣٤ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ
١٤١ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ
١٤٣ جَارِثَةُ
١٤٤ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ
١٤٤ غيرته، كرمه
١٤٦ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٤٧ موقف مع ابنه، حاله في القبر
١٤٨ قول رعاة الشاء، زهده
١٤٩ حاله بعد الخلافة، سبب إنباته، حياته العلمية
١٥٣ الإِسَامُ الشَّافِعِيُّ
١٥٣ عبادته، زهده، سخاؤه
١٥٤ ورعه، خوفه
١٥٥ إرادته بعلمه وجه الله، شهادة أهل الفضل له

- ١٥٦ وعظه وإرشاده
١٥٧ حاله عند موته
١٥٨ شرحه لحاله، شعره الرائع

١٦٣ وأورد الطائي

- ١٦٣ سبب إنابته، زهده
١٦٤ حزنه، عزله، خوفه ومحاسناته
١٦٥ غيوبة، وعظه، سخاؤه

١٦٦ بطلونه في السخاء

١٦٨ البطولات الرائعة في الإيثار

١٦٩ قسمة الإيثار

١٧٢ التوجيه

- ١٧٢ أركان الدين، أركان الإسلام، معنى الشهادة
معنى إقام الصلاة، معنى إيتاء الزكاة، معنى الصوم، معنى الحج،
الإيمان من أركان الدين، الإيمان بالله تعالى
١٧٣ ما يستحيل على الله تعالى، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب
١٧٤ الإيمان بالرسول، عدد الأنبياء، الإيمان باليوم الآخر
١٧٥ التصديق بما في يوم القيامة، الإيمان بالقدر، الإحسان
١٧٦ الإيمان بالجن، رؤية الله تعالى
١٧٧ الجنة والنار
١٧٩ منكر ونكير
١٨١ الملائكة يزورون النبي ﷺ
١٨٢ الملائكة يزورون النبي ﷺ

١٨٣ الصلاة

- ١٨٥ حكم تاركها
١٨٦ رأي العلماء في تاركها

١٨٧ فضل جماعتها
١٨٨ حكم المتخلف عنها، تهديد كبير للمتخلف عن جماعتها
١٨٩ قول الشعراني في العهود
١٩٠ قول الحبيب الحداد في النصائح
١٩٢ تسوية الصفوف وحكمها
١٩٤ فضائل بعض السور
١٩٥ فضل سورة الفاتحة، فضل آية الكرسي
 فضل سورة الكهف، فضل سورة الدخان، فضل سورة آل عمران،
١٩٥ فضل سورة الواقعة
١٩٦ فضل سورة يس، فضل سورة تبارك
١٩٧ فضل سورة قل هو الله أحد
 فضل سور: التكويد، الانفطار، الانشقاق، فضل سور: الزلزلة،
١٩٨ الإخلاص، الكافرون، فضل سورة التكاثر
٢٠١ حكم سماع القرآن من المذيع
٢٠٢ البدع المستحدثة
٢٠٣ التفسير
٢٠٦ تفاوت الناس في البلاء
٢١١ حكمة تحريم الزنا، حكم الحد
٢١٢ التحذير من الزنى ومقدماته
٢١٣ شهادة الجوارح
٢٢٠ خذلان الكافر خليله
٢٢١ فائدة الصدقة
٢٣١ تفسير سورة الضحى
٢٣٧ السابق والمقتصد والظالم
٢٤١ آيات الظهار

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

- ٢٤٥
 ٢٤٥ يخشى على العاق سوء الخاتمة
 الفروض لا تنفع مع العقوق، العقوق ذنب معجل عقوبته، الوالدان
 ٢٤٦ هما الجنة والنار
 ٢٤٧ بر الوالدين من أحب الأعمال
 ٢٤٧ الجنة تحت أقدام الأمهات، أنت ومالك لأبيك، نموذج شعري
 ٢٤٩ نموذج نثري
 ٢٥٠ نموذج قصة البقرة في القرآن الكريم
 ٢٥٣ عقوبة العاق في القبر

الْوَعظُ وَالرِّقَالِقُ

- ٢٥٥
 ٢٥٥ أبرص، وأقرع، وأعمى
 ٢٥٨ أسلوب رائع في الترغيب في العلم
 ٢٥٨ المسجد مدرسة الإيمان، رياض الجنة
 ٢٥٩ وصية لقمان لابنه خير الجلساء، أدب المتعلم
 ٢٦٠ التعوذ من العلم الذي لا ينفع، الصبر وأقسامه
 ٢٦٠ يا صاحب الهم
 ٢٦٢ القلب وأقسامه
 ٢٦٢ موت القلب
 ٢٦٣ دواء القلوب
 ٢٦٤ من روائع الأسلوب الحكيم
 ٢٦٥ المؤمن والإيمان
 ٢٦٩ من مظاهر النجدة والسخاء
 ٢٧٠ الحب والإخاء، الجود والعطاء، ما هو أشرف شيء؟

فَوَائِدُ التَّقْوَى

٢٧٢

٢٧٤	صورة الأعمال
٢٧٥	للسافرة عقوبتان، فكاهة طريفة
٢٧٦	في البكر ثلاث فوائد، الآيات الخمس
٢٧٧	الصدق
٢٧٩	الذكر القلبي، قول بعض العارفين
٢٨١	التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ
٢٨٤	الْفِتْنَةُ وَالْأَهْوَاءُ
٢٨٤	فتنة الشيطان وقسمه الكاذب
٢٨٥	إغواؤه لأدم عليه السلام، خطبته في أهل النار
٢٨٦	غرور الشيطان للمشركين
٢٨٧	من مظاهر تربية النفس الضرتان: دنيا وآخره
٢٨٨	فتنة القبر
٢٨٩	فتنة الآخرة
٢٩٠	الخوف من الفتنة
٢٩١	فتنة التسويف، فتنة الطعام
٢٩٣	فتنة النساء، راهب فاجر
٢٩٦	فتنة المال، قصة ثعلبة
٢٩٧	نزول آية الزكاة
٢٩٨	هلاك ثعلبة
٢٩٩	حمامة المسجد، الفتن العامة
٣٠٥	خمس بخمس
٣١٠	جَوَامِعُ الدُّعَاءِ
٣١٣	أسماء الله الحسنى
٣١٤	شرح أسماء الله الحسنى
٣١٩	فضل الدعاء
٣٢١	دواء الهم والكرب، دواء الهم والدين

٣٢٢ دواء الفقر، دواء وجع الضرس، دواء أم الصبيان
٣٢٣ الدعاء لمن وجد الماء، دعاء الأرق
٣٢٤ الدعاء بعد الطعام، دعاء الثوب الجديد، الدعاء عند رؤية الهلال
٣٢٥ دعاء آدم، الدعاء عند رؤية مبتلى، الدعاء عند دخول المدفن
٣٢٦ الدعاء عند النوم، الدعاء عند جمود العين، الدعاء لكفارة المجلس
٣٢٧ الدعاء عند الخلاء، سيد الاستغفار
٣٢٨ الدعاء عند خوف الأعداء، «فائدة» للفرع في النوم
٣٢٩ دعاء الاستخارة، استحباب تكرار الدعاء، الحث على حضور القلب
٣٣٠ فضل الدعاء لظهور الغيب
٣٣١ الدعاء لمن أحسن إليه، رفع اليدين في الدعاء، «فائدة» آيات الشفاء
٣٣٢ من دعاء الحبيب المصطفى ﷺ
٣٣٤ الفهرس

